المستقبل العربي
٢٦
٢٠٠٣ / ٩
٢٩٥
يصدرها
مركز دراسات الوحدة العربية

• إفتتاحية العدد:
التيـاران القـومي العـربـي والإسـلامـي، جنـاحـان لا يحلقـان إلا معـاً
خير الدين حسيب

• الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية
عبد الرحمن عزي

العـراق والمنطقـة بعـد الحـرب: قضايـا إعـادة الإعمـار (ملف)

• الآثار السياسية - الاجتماعية للحرب على العراق والمنطقة
هـاني فـارس

• استراتيجيات التنمية في ظروف الأزمات
عاطف قبرصي وعلي قادري

• التنمية الاجتماعية في العراق: المسارات والآفاق
عدنان ياسين مصطفى

• السياسات الاقتصادية - الواقع والمستقبل
باسل جودت الحسيني

• نماذج من جهود إعادة الإعمار العراقية
جعفر ضياء جعفر

• الفضائيات العربية والحرب على العراق (حلقة نقاشية)
الحبيب الغريبي - فادي إسماعيل - فيصل القاسم
أدار الحوار: محمد الزياني

كتب وقراءات:
• الدولة في الفكر الإسلامي
• العولمة وتداعياتها
• صبرا وشاتيلا
• ليو شتراوس واليمين الأمريكي

مؤتمرات:
• مخيم الشباب القومي العربي

• موجز يوميات الوحدة العربية

• ببليوغرافيا الوحدة العربية

• الملف الإحصائي: حال الطفل العربي

قواعد النشر في المجلة

دعوة إلى الكتّاب والباحثين

ترحّب مجلة المستقبل العربي بإسهامات الكتّاب والمفكرين، من المدارس الفكرية المختلفة المقتنعة بقضية الوحدة العربية، ومن المهتمين بالواقع والمستقبل العربي والعلاقات العربية ـ الدولية، مع الاهتمام بشكل خاص بما يتعلق بالمشروع الحضاري النهضوي العربي وعناصره الستة: الوحدة ـ الديمقراطية ـ العدالة الاجتماعية ـ التنمية المستقلة ـ الاستقلال الوطني والقومي ـ التجدد الحضاري. وتحيطهم علماً بشروط النشر فيها:

١ ـ أن تعالج القضايا بأسلوب علمي موثّق.

٢ ـ يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع بأسلوب أكاديمي، يتضمن:

ـ في الكتب: اسم المؤلّف، عنوان الكتاب، مكان وتاريخ النشر، اسم الناشر.

ـ في المجلات: اسم كاتب المقال، عنوان المقال، رقم العدد وتاريخه، رقم الصفحة.

٣ ـ معيار النشر هو الموضوعية، والمستوى العلمي، والدقة، ودرجة التوثيق.

٤ ـ يفضّل أن يكون النص مطبوعاً على الحاسب الآلي ومرفقاً بالقرص تجنباً للأخطاء المحتملة، وإن تعذّر ذلك فبخط واضح.

٥ ـ أن لا يزيد حجم الدراسة أو البحث على ستة آلاف كلمة كحد أقصى، والمقال على أربعة آلاف كلمة، وأن يرفق كذلك بخلاصة للبحث أو المقال لا تتجاوز (٥٠ كلمة) تنشر معه عند نشره.

٦ ـ ترحّب المجلة بتغطية المؤتمرات والندوات عبر تقارير لا تتعدّى ٢٥٠٠ كلمة كحد أقصى، يذكر فيها مكان الندوة/ المؤتمر وزمانها وأبرز المشاركين فيها، مع رصد أبرز ما جاء في الأوراق والتعقيبات والتوصيات.

٧ ـ ترحّب المجلة بنشر مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠٠) كلمة كحد أقصى، على أن لا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدوّن في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركّزة لمحتويات الكتاب، مع الاهتمام بمناقشة طروحات المؤلف ومصداقية مصادره وصحة استنتاجاته.

٨ ـ يرفق مع كل دراسة أو بحث أو تقرير عن مؤتمر أو مراجعة كتاب تعريف بحياة الكاتب الفكرية وعمله الحالي.

٩ ـ لا تدفع المجلة أية مكافآت مالية عمّا تقبله للنشر فيها، ويعتبر ما ينشر فيها إسهاماً معنوياً من الكاتب في بثّ الفكر القومي وتنميته.

١٠ ـ يُشترط أن لا تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نُشرت أو أُرسلت للنشر في مجلات أخرى.

١١ ـ تخضع المواد الواردة لتحكيم اللجنة الاستشارية للمجلة، ولا تعاد المواد المعتذر عن نشرها إلى أصحابها.

١٢ ـ يجري إعلام الكاتب بقرار اللجنة الاستشارية خلال شهرين من تاريخ تسليم النص.

١٣ ـ تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.

المستقبل العربي

ISSN 1024 - 9834

مجلة فكرية شهرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي

يصدرها

مركز دراسات الوحدة العربية

منظمة دولية غير حكومية مقرها في لبنان

(مرسوم رقم ٤١٧٤ لعام ٢٠٠٠)

- **مركز متخصص في العمل الفكري المتجه رئيسياً نحو مسائل الوحدة العربية.**
- **يهدف إلى إيصال نداء الوحدة للجماهير العربية والأوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها.**
- **يعنى بدراسة الواقع العربي كخلفية للحالة الوحدوية المنشودة.**
- **لا يفرض شروطاً مسبقة على مساهمة المثقفين في نشاطاته سوى قناعتهم بالوحدة العربية.**
- **لا يتخذ أي مواقف سياسية مباشرة ولا يساهم في النشاط السياسي.**
- **لا يرتبط باي حكومة ولا يتبنى أي نظام ولا يدخل في محاور أو تحالفات.**

المراسلات: باسم المستقبل العربي

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣

الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان

تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ برقياً: «مرعربي» ـ بيروت

فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb

Web Site: http://www.caus.org.lb

الاشتراك السنوي:

ـ الأفراد: في اقطار الوطن العربي (٦٠ دولاراً أمريكياً)، وفي البلدان الاوروبية (٨٠ دولاراً أمريكياً)، وفي أمريكا وجميع البلدان العالمية الأخرى (٩٠ دولاراً أمريكياً).

ـ المؤسسات: في أقطار الوطن العربي (١٠٠ دولار أمريكي)، وخارج الوطن العربي (١٢٠ دولاراً أمريكياً).

الاشتراك لمدى الحياة:

ـ الافراد: ٥٠٠ دولار أمريكي

ـ المؤسسات: ٧٥٠ دولاراً أمريكياً

تدفع إشتراكات الأفراد مقدماً:

(١) إمّا بشيك لأمر المركز مباشرة مسحوب على أحد المصارف الأجنبية.

(٢) أو بتحويل إلى العنوان التالي: حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم (٢٥٢٠٧٠١٣٥٠٩) بنك بيبلوس ـ فرع الحمرا ـ السادات ص.ب ٥٦٠٥ ـ ١١ ـ بيروت ـ لبنان ـ تلكس Bybank 44078-41601 LE ـ تلفون: ٧٣٦١٥٢ ـ ٣١/٢٥٥٦٢٠.

المستقبل العربي

وعي الوحدة العربية
وحدة الوعي العربي

السنة السادسة والعشرون العدد مئتان وخمسة وتسعون أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣

المحتويات

□ **افتتاحية العدد: التياران القومي العربي والإسلامي:**
جناحان لا يحلقان إلا معاً ..... خير الدين حسيب ٦

□ **الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية** ..... عبد الرحمن عزي ١٥

يعالج د. عبد الرحمن عزي في هذه الدراسة العلاقة بين الثقافة ووسائل الإعلام ومدى التأثير المتبادل، ليستخلص أن محتويات وسائل الاتصال، أي الإعلام، تحمل التضاد الثنائي الإيجابي والسلبي.

العراق والمنطقة بعد الحرب: قضايا إعادة الإعمار (ملف):

■ **الآثار السياسية ـ الاجتماعية للحرب ضد العراق**
على العراق وعلى المنطقة العربية ..... هاني فارس ٣٥

تحذّر هذه الدراسة من أن الوجود العسكري الأمريكي في العراق هو وجود طويل الأجل في ظل تداعي النظام الإقليمي العربي، وغياب قواعد توجيه سلوك الدولة العربية، وغياب البنى والبرامج والسياسيات من أجل عمل عربي مشترك...

رئيس التحرير: خير الدين حسيب

■ **إعادة بناء العراق**
استراتيجيات التنمية في ظروف الأزمات ..... عاطف قبرصي وعلي قادري ٤٦

تعتبر هذه الدراسة أن أهداف التنمية تتناقض مع الاحتلال. كما أن التنمية لا يمكن أن تنجح من دون مشاركة أصلية للعراقيين في عملية صنع القرار الذي يحدد وجودهم كشعب وكدولة عراقية.

■ **التنمية الاجتماعية في العراق: المسارات والآفاق**
مع التركيز على شبكات الأمان الاجتماعي .....عدنان ياسين مصطفى ٦٨

تستهدف هذه الدراسة البحث في القضايا الاجتماعية العاجلة في العراق، والسعي لإعطاء تصورات وأفكار باتجاه معالجتها على شكل شروط لنجاح التنمية الاجتماعية في ضوء عوامل الإخفاق التي شهدها المجتمع العراقي خلال العقدين الأخيرين.

■ **السياسات الاقتصادية في العراق:**
الواقع الراهن مع نظرة مستقبلية .....باسل جودت الحسيني ٨٨

تركز هذه المقالة على الاقتصاد العراقي خلال فترة الحصار، وعلى السياسات الاقتصادية التي اعتمدت آنذاك، وتخلص إلى أن قوات الاحتلال لم تعلن عن منهاج عمل واضح، إضافة إلى تأخير تشكيل حكومة وطنية مما يثير الكثير من التساؤلات حول جدية الاجراءات المتخذة في هذا المجال.

■ **نماذج من جهود إعادة الإعمار العراقية أثناء الفترة من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٢** ..... جعفر ضياء جعفر ١٠٣

يستعرض الكاتب هنا بعض التجارب في إعادة الإعمار التي قامت بها السلطة العراقية بعد حرب الخليج الثانية على رغم الحصار وندرة الامكانيات ليستنتج أن المطلوب للنجاح استخدام كل الطاقات العراقية المتوافرة مع وضوح في الرؤية.

■ **الفضائيات العربية وتغطية الحرب على العراق (حلقة نقاشية)** ١١٧

الحبيب الغريبي فادي اسماعيل فيصل القاسم
أدار الحوار: محمد الزياني

الحرب الأخيرة على العراق أبرزت معادلة إعلامية جديدة لعب فيها الإعلام العربي المرئي دوراً شكل سابقة مهمة أسفرت عن نشوء نقل متبادل للأخبار بين الإعلام الغربي والعربي من شأنه إعادة التوازن للأنباء التي تبثها القنوات الغربية.. فما هو مستقبل الفضائيات العربية ودورها في صياغة الحدث والتأثير في المشاهد؟ أسئلة عديدة يجيب عنها المشاركون في هذه الندوة.

كتب وقراءات: تحرير نيفين عبد المنعم مسعد

□ **الدولة في الفكر الاسلامي المعاصر (عبد الإله بلقزيز)** ..... أمجد أحمد جبريل ١٥٣

□ **العولمة وتداعياتها على الوطن العربي (أحمد ثابت [وآخرون])** ..... أحمد محفوظ بيه ١٦٠

☐ صبرا وشاتيلا: أيلول ١٩٨٢ (بيان نويهض الحوت) .....عبد الإله بلقزيز ١٦٨

☐ ليو شتراوس واليمين الأمريكي (شاديا ب. دروري) ..... سمير كرم ١٧٣

☐ كتب مختارة (موجز) ١٨١

مؤتمرات

☐ تقرير عن: الدورة الثالثة عشرة لمخيم الشباب القومي العربي
الإسماعيلية ـ مصر، ١ ـ ١٥ آب/اغسطس ٢٠٠٣ .....عبد الإله بلقزيز ١٨٩

* موجز يوميات الوحدة العربية ١٩٦

* ببليوغرافيا الوحدة العربية ٢٠٤

* الملف الإحصائي:
(١٠٠) حال الطفل في الوطن العربي ..... إعداد: ربيع كسروان ٢١٤

آراء الكتّاب لا تُعبِّر بالضرورة عن اتجاهات يتبنّاها
«مركز دراسات الوحدة العربية» أو «المستقبل العربي»

المدير المسؤول: كمال فضل الله

التياران القومي العربي والإسلامي: جناحان لا يحلقان إلا معاً

لم يعد خافياً على أي مراقب محايد حجم الحملة التي تستهدف القومية العربية والإسلام معاً باعتبارهما إطارين للتوحيد والتواصل الحضاري في منطقة تمتلك حيوية استراتيجية فائقة بالنسبة إلى القوى الطامحة إلى الهيمنة على مقدرات العالم اليوم. وإذا كانت هذه الحرب لم تتوقف يوماً واحداً، ومنذ قرون، ضد العروبة والإسلام، إلا أنها تتميز في هذه المرحلة بأمرين بالغي الخطورة:

الأمر الأول: أنها تأخذ طابعاً بالغ الحدة والشراسة، على المستويات الأمنية والعسكرية والسياسية والثقافية، حيث تجرى باسم «الحرب على الإرهاب» حرب استئصال جسدية وفكرية وتربوية ضد الأمة تصل إلى استهداف مباشر للعقيدة الدينية والهوية القومية.

الأمر الثاني: أنها تأخذ طابع الحرب المباشرة على التيار القومي العربي والتيار الإسلامي في آن معاً، بعد أن سعت ولعقود خلت أن تستخدم الصراع بين التيارين كإحدى الأدوات الرئيسية في حربها على العروبة والإسلام.

وإذا كانت الشراسة التي تتسم بها هذه الحرب يمكن تفسيرها بمدى الصلابة التي تواجه بها الأمة مخططات أعدائها، وبعمق الروح الجهادية التي تتجلى في كل مواقع المقاومة في الأمة العربية والإسلامية، فإن مرد الاستهداف المزدوج للتيارين القومي العربي والإسلامي يعود إلى أن التيارين قد نجحا في السنوات الأخيرة، وتحديداً مع بداية التسعينيات، في بناء علاقة تفاعلية وتكاملية بينهما أدت إلى سد الكثير من الثغرات التي طالما نفذ منها أعداء العروبة والإسلام من أجل ضربهما معاً.

ولقد وقف وراء هذا التطور الإيجابي في العلاقة بين التيارين الإدراك المشترك

لقواهما ورموزهما الأبرز للمخاطر الجسيمة التي تواجه الأمة، وللتطور الخطير في مستوى المجابهة مع الأعداء، ولا سيما حين بدأت بعض الدوائر الغربية، الفكرية والسياسية والثقافية، تعتبر صراحة أن الخطر القادم، بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، هو ذلك المتمثل بالإسلام والعروبة، وتتصرف فعلاً على هذا الأساس وقد واكب هذا التيار دخول التيار اليساري إلى دائرة التيار القومي في عملية بدأت في النصف الأول من الستينيات وتعززت كرد على الهجمة التي تعرضت لها الحقبة الناصرية في مصر.

وقد عزّز هذا الإدراك أيضاً، مبادرات حثيثة قامت بها قوى ورموز قومية وإسلامية مستنيرة رفضت الصدام المفتعل بين العروبة والإسلام، مشددة على أن الإسلام هو مكوّن رئيسي للمحتوى الحضاري والروحي للحركة القومية العربية، بما يجعل للإسلام موقعاً مميزاً لدى كل عربي، حتى لو كان غير مسلم، باعتباره يرى في الإسلام حضارة له وثقافة وتاريخاً يعتز بهما، ومشددة كذلك على أن لغة القرآن الكريم، وهوية الرسول العربي، وأغلبية رواد الدعوة الأوائل، تجعل للعروبة، كما للعربية، مكانة خاصة لدى كل مسلم، حتى لو كان غير عربي، ولا سيما أن معارك العرب ضد الغزاة هي معارك المسلمين كلهم، وأنهم بدفاعهم عن المقدسات إنما يدافعون عن مقدسات الأمة كلها، بالإضافة إلى مشاركة كل العرب وكل المسلمين في صياغة النسيج الحضاري للأمة.

وقد كانت هذه العلاقة التفاعلية بين القومية العربية والإسلام محطّ اهتمام مركز دراسات الوحدة العربية منذ تأسيسه. فقد قام في بداية عام ١٩٧٩، وبعد سنة واحدة من بدء عمله في بيروت في أول عام ١٩٧٨، وقبل الثورة في إيران في أواخر عام ١٩٧٩، بتنظيم ندوة كبيرة حول «القومية العربية والإسلام»، وقد عقدت في أواخر عام ١٩٧٩، وساهم فيها مفكرون بارزون من التيارين، ونشر المركز وقائعها في كتاب صادر عن المركز بعنوان **القومية العربية والإسلام**[١]. وقد أوضحت هذه الندوة العلاقة الحضارية بين القومية العربية والإسلام، وأن الإسلام هو أحد المحتويات الرئيسية للجانب الحضاري للقومية العربية.

كما ارتبط هذا الاهتمام بقراءة مستقبلية للواقع العربي تمثل بـ «مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي» الذي قام به مركز دراسات الوحدة العربية في أواسط الثمانينيات، ونشر تقريره العام في أواخر عام ١٩٨٨ في كتاب صادر عن المركز بعنوان **مستقبل الأمة العربية: التحديات... والخيارات**[٢]، حيث دعا المشروع في مشهد (سيناريو) الوحدة الاتحادية الذي اقترحه، إلى قيام «حركة قومية

---

(١) انظر: **القومية العربية والإسلام: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٣ (بيروت: المركز، ١٩٨٨).

(٢) انظر: خير الدين حسيب [وآخرون]، **مستقبل الأمة العربية: التحديات... والخيارات: التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي**، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي: التقرير النهائي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨)، ص ٥٠٦-٥٠٧.

جديدة» تتبنى «المشروع الحضاري القومي العربي» الذي دعا المشروع إلى إعداده، بمطالبه الستة المتمثلة في:

- **الوحدة العربية**، في مواجهة التجزئة بكل صورها القطرية والطائفية والقبلية.
- **الديمقراطية**، في مواجهة الاستبداد بكل صوره وأشكاله.
- **التنمية المستقبلية**، في مواجهة التخلف أو النمو المشوّه والتابع.
- **العدالة الاجتماعية**، في مواجهة الظلم والاستغلال بكل صوره ومستوياته.
- **الاستقلال الوطني والقومي**، في مواجهة الهيمنة الأجنبية الإقليمية والدولية.
- **التجدد الحضاري**، في مواجهة التجمد الذاتي من الداخل والمسخ الثقافي من الخارج.

كما أكد المشروع على أن تكوّن هذه المطالب الستة في ما بينها مشروعاً قومياً، مترابطاً وعضوياً، ومتسقاً منطقياً، وملهماً جماهيرياً، وهو لا يصلح أساساً لإجماع عربي جديد فحسب، ولكن أيضاً كمخرج وحيد من حالة التردّي العربي التي عجزت كل الدول القطرية العربية عن الخروج منها. كما أكد المشروع على أن تؤخذ مقترحات هذا المشروع الحضاري القومي العربي ككل، ومن دون مقايضات زائفة بين بعض توجهاته على حساب البعض الآخر.

كما بيّن المشروع أنه لا بد من أن يقوم برنامج عمل وتحالفات هذه الحركة القومية الجديدة على فهم لحقيقة **قوى التغيير والتحول الحالية في الوطن العربي**، من منطلق الإبداع في التعامل مع الحقيقة، وليس مجرد التسليم بالإمتدادات الخطية لها. ومن هنا **ضرورة الحوار الجاد مع فصائل القوى التقدمية العربية الأخرى**، والتي حصلت لديها خلال العشرين سنة الأخيرة تحولات مهمة وأساسية في قناعاتها ومواقفها، وبدرجات مختلفة، من القومية العربية والوحدة العربية. ولم يعد هذا الموضوع مجرد شعار تكتيكي لدى الكثير منها بقدر ما هو قناعات أملتها الخبرة التاريخية التي مرت بها. ومما يمكن أن يساعد في بدء نجاح هذا الحوار هو أن يكون التركيز فيه على تطلعات وأهداف المستقبل، حيث يتوافر اتفاق كبير حولها، أكثر مما يدور حول تقويم وتفسير أحداث الماضي، حيث هناك اختلافات شديدة حولها. كما أن نجاح هذا الحوار منوط بمدى اقتناع فصائل الحركة التقدمية العربية الأخرى هذه بالديمقراطية ومتطلباتها؛ من تعددية سياسية واحترام الرأي الآخر وقبول التعايش والصراع السلمي الديمقراطي. ومن دون جو حقيقي من هذه الثقة والاعتراف المتبادل بحقيقة الوجود وحق الاستمرار والتعبير عن الرأي، يصبح الحوار ـ حتى إذا حصل ـ مجرد هدف مرحلي لا يلبث أن تتخلى عنه الجماعات التي تتاح لها فرصة الوصول أو القرب من السلطة.

كما لا بد للحركة القومية الجديدة من أن **تتفاعل وتتحاور مع القوى الثورية الإسلامية**، كقوى اجتماعية وكحقيقة موجودة، **شرط أن يكون إطارها المرجعي عربياً**،

وأن تكون ديمقراطية بما تتضمنه من إقرار للتعددية السياسية والاجتماعية واحترام هذه التعددية والتهيؤ للتعايش معها، حتى يمكنها أن تلعب دوراً إيجابياً في هذا المشهد، أي أن تتوجه بصوتها أصلاً إلى كل الوطن العربي، حتى إذا كان في مخططها البعيد أن تتجاوز هذا الإطار إلى ما هو أوسع. ذلك أن حركة إسلامية ثورية معادية للعروبة أو ذات توجهات خارج هذا الإطار من شأنها أن تعود بنا إلى مشهد التجزئة، فمن شأن ذلك أن يثير من الفرقة والانقسام الديني والطائفي والعرقي الشيء الكثير حتى داخل مجتمع الدولة القطرية نفسه، ناهيك عن المخاوف والهواجس التي يمكن أن تنشأ في الأقطار المجاورة. وما قيل عن مجالات الحوار وأسسه وقواعده مع الفصائل الأخرى للحركة التقدمية العربية، ينطبق على الحوار مع هذه القوى الثورية الإسلامية ذات الإطار المرجعي العربي والديمقراطي. وهذا يستبعد من الحوار بالضرورة الحركات الإسلامية المذهبية، وكذلك الحركات الدينية السرية التي تلجأ إلى العنف الإرهابي كوسيلة للوصول إلى السلطة، والحركات الدينية الفاشية في تنظيمها الداخلي أو في منطلقاتها في التعامل مع المجتمع ومع القوى السياسية الأخرى.

***

ولقد تم تنفيذ مقترحات مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي في ما يتعلق بالحوار القومي العربي ـ الإسلامي، وحسب المعايير التي حددها المشروع، في ندوة **الحوار القومي ـ الديني**[٣] التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في القاهرة في أيلول/سبتمبر ١٩٨٩، والتي جاءت بدورها استكمالاً لتنبّه المركز المبكر إلى أهمية إدراك الترابط التكاملي بين القومية العربية والإسلام من خلال الندوة الكبيرة التي نظمها المركز عام ١٩٧٩ في بيروت بعنوان «القومية العربية والإسلام» وتنفيذاً لما انتهى إليه مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي.

ولقد اكتسبت ندوة «الحوار القومي ـ الديني» أهمية مضاعفة لا لمجرد أنها جمعت قوميين وإسلاميين في إطار تحاوري مثمر، ولا لأنها أتت بعد الحرب العراقية ـ الايرانية التي حاول الكثيرون تصويرها، عن جهل او عن قصد، بأنها حرب بين العروبة والإسلام فقط، بل أيضاً لأن رموز كل تيار قاموا خلال الندوة بعملية نقد ذاتي للممارسات الخاطئة التي ارتكبها تيارهم ضد التيار الآخر، مما عزز الثقة بينهم وفتح الباب واسعاً أمام الرغبة المشتركة في الاستمرار في الحوار وترجمته في مؤسسات عمل مشترك أخذت تتشكل على المستويين القومي وداخل كل قطر.

***

(٣) انظر: **الحوار القومي ـ الديني: أوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ١٩٨٩).

ولقد أتت توجهات **المؤتمر القومي العربي الأول** الذي انعقد في تونس عام ١٩٩٠، لتستكمل هذا المنحى الحواري السليم عبر الدعوة إلى تأسيس مؤتمر قومي عربي ـ إسلامي، فجرى بمبادرة من المؤتمر تشكيل لجنة تحضيرية مشتركة من التيارين نجحت بعد ثلاث سنوات في عقد **أول مؤتمر قومي ـ إسلامي**[٤] في بيروت في خريف عام ١٩٩٤، ليتحول إلى مؤسسة دائمة للتحاور والتشاور والتفاعل والتلاقي حول برنامج سياسي وفكري محدد أقره المؤتمر، وكان أهم ما تضمنه هذا البرنامج ما يلي:

١ ـ **رفض التسويات المطروحة لإنهاء الصراع العربي ـ الصهيوني** وإغلاق ملف القضية الفلسطينية على نحو يهدر حقوق شعب فلسطين ويهدد الأمة العربية، ومتابعة النضال لتحقيق هدف تحرير فلسطين والجولان وجنوب لبنان.

٢ ـ **دعم الانتفاضة** المجاهدة في فلسطين والمقاومة الباسلة في لبنان.

٣ ـ **رفض التطبيع مع العدو الصهيوني** تحت أية صورة وفي أي مجال، وإدانة الخطوات التي تمت لاختراق المقاطعة لإسرائيل.

٤ ـ **رفض الوجود الأجنبي وأشكال الهيمنة الأجنبية كافة.**

٥ ـ **متابعة النضال والجهاد والكفاح لتحقيق هدف الوحدة العربية**، والعمل لإيجاد الحقائق الوحدوية على أرض الواقع في وطننا العربي الكبير، بما ينعكس على الحياة اليومية لأبناء أمتنا إقامة وتنقلاً وعملاً في نطاق التعبير عن مبدأ «المواطنة العربية».

٦ ـ **الدعوة إلى مصالحة عربية شاملة** تبدأ بمصالحة بين الحكومات العربية وشعوبها والانتقال مباشرة إلى **تفعيل وإحياء مؤسسات العمل العربي المشترك**، التي هي قوام نهوض النظام العربي في مواجهة مخططات الهيمنة التي تستهدف البلدان العربية بقدر ما تستهدف الأمة، وعلى طريق تحقيق هدف الوحدة العربية.

٧ ـ **المطالبة بالرفع الفوري للحصار عن العراق بشكل كامل وكلي**، ومن دون قيد او شرط، ودعوة جامعة الدول العربية والحكومات العربية كافة لبذل الجهود عربياً ودولياً لوضع حد لهذا الحصار، وفتح الحدود العربية مع العراق، وتزويد الشعب العراقي بكل الأدوية والأغذية التي يحتاجها لحين رفع الحصار الشامل، والعمل على استعادة العراق إلى الأمة العربية ليقوم بدوره القومي.. وكذا رفع الحصار المفروض على بلدان الأمة العربية الأخرى.

٨ ـ **التمسك بالوحدة الوطنية** في مواجهة محاولات التفتيت والتفكيك، واعتماد

---

(٤) انظر: **المؤتمر القومي ـ الإسلامي الأول: وثائق ومناقشات وقرارات المؤتمر الذي عقد في بيروت خلال جمادى الأولى ١٤١٥ هـ ـ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٤م** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥).

الشورى منهاجاً لتبادل الرأي وتحديد سبل العمل والتعددية قاعدة، **والديمقراطية** آلية للعمل السياسي، والحوار وسيلة لإدارة الخلاف السياسي.

٩ ـ **التأكيد على حق كل القوى السياسية في مباشرة العمل العام في ظل الشرعية الدستورية، والمشروعية القانونية.**

١٠ ـ **إدانة كل انتهاك للحريات وحقوق الإنسان** والعمل على إلغاء القوانين الاستثنائية في الوطن العربي، وضرورة الإفراج عن المعتقلين السياسيين، وتسهيل عودة المنفيين والمغتربين والمختطفين والمجاهدين.

١١ ـ **طرح قضية المدنيين المحتجزين والمعتقلين الإداريين في السجون الإسرائيلية على الرأي العام العالمي** وفضح الممارسات الصهيونية العنصرية، ودعوة المعنيين بحقوق الإنسان إلى الإسهام في ذلك.

١٢ ـ **التأكيد على خطورة سياسة الخصخصة**، وكذا **خطورة إنهاء دور الدولة في تأمين التنمية الداخلية، والخضوع لسياسة المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية**، واعتبار هذه السياسات من وجوه التبعية التي يراد أن تدفع أمتنا إليها، وتنبيه الرأي العام العربي وصناع القرار في الوطن العربي إلى **مخاطر نظام الشرق الأوسط وسوقه** على مختلف جوانب الحياة العربية واقتصادات البلدان العربية، واستنفار الطاقات العربية لإنجاح السوق العربية المشتركة.

١٣ ـ **العمل على توثيق العلاقات بين الأمة العربية وشعوب الدائرة الحضارية العربية والإسلامية** انطلاقاً من حقيقة أن النهوض العربي متكامل مع نهوض العالم الإسلامي، والدعوة إلى استنفار طاقاتنا العربية والإسلامية لمتابعة تحقيق تجددنا الحضاري والإسهام في عمران عالمنا.

وبالإضافة إلى الاتفاق على البرنامج السياسي الموحّد، عمل التياران على استحداث مؤسسات العمل المشترك بينهما، وكان من أبرزها «مؤسسة القدس» التي ولدت إثر «مؤتمر للقدس» الذي انعقد في بيروت بعد عام ونيف على انطلاقة الانتفاضة الفلسطينية، وهي المؤسسة التي ضمت إلى المشاركين العرب من التيارين مشاركين من دول إسلامية غير عربية أيضاً.

***

ولقد ساهمت أمور ثلاثة في تعزيز هذا التوجّه: **أولها، الاتفاق بين التيارين على تبني المشروع الحضاري النهضوي العربي بعناصره الستة** (الوحدة، الديمقراطية، الاستقلال الوطني القومي، العدالة الاجتماعية، التنمية المستقلة، التجدد الحضاري) واعتبار الالتزام بهذا المشروع شرطاً لعضوية المؤتمر.

أما الأمر الثاني، فكان **تنامي الهجمة الأمريكية ـ الصهيونية ضد الأمة بكل تياراتها، وخصوصاً في فلسطين والعراق**، مروراً بالحرب على أفغانستان، والتهديدات

المتواصلة لسوريا ولبنان وإيران والعديد من الأقطار العربية والإسلامية، مما وفّر قاعدة عمل مشترك للتيارين تمثلت في هيئات التضامن مع الانتفاضة، ورفض الحصار والعدوان ضد العراق، وصون المقاومة في لبنان، ومقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، ومقاطعة كل داعمي الكيان الصهيوني من دول ومؤسسات وأفراد.

والأمر الثالث أنه على الرغم من أن التلاقي بين التيارين لم **ينعكس دائماً، وفي كل الساحات، تعاوناً في الانتخابات التشريعية او المحلية او النقابية**، فإن النتائج كانت تشير بوضوح **إلى أنه حيث كان يتم مثل هذا الاتفاق كانت النتيجة تأتي كاسحة لمصلحة التيارين**، كما جرى مؤخراً في نقابتي المحامين والصحفيين المصريين.

***

إن قيام «الكتلة التاريخية» بين التيارات الرئيسية في الأمة، والتي توصل إلى إدراك أهميتها «مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي»، لم يعد في اللحظة الراهنة أحد الخيارات المتاحة أمام الأمة، بل بات خيارها الوحيد لمواجهة الهجمة التي تستهدف وجودها وهويتها واستقلالها ومواردها في آن معاً.

فمسيرة التلاقي بين التيارين ينبغي أن تستمر في كل اتجاه، وفي كل ساحة، وعلى كل مستوى، وفي كل إطار عمل، وفي كل انتخابات نيابية أو بلدية أو نقابية، لا كمجرد تعبير عن الإحساس المشترك بالمخاطر التي تواجه الأمة، بل أيضاً كتعبير عن مستوى النضج الذي وصلت إليه قيادات الأمة ومفكروها ومناضلوها بعد مسلسل التجارب المريرة التي مرت بالأمة، والتي كان الانقسام والتناحر بين قوى الأمة وتياراتها، بل داخل هذه القوى والتيارات نفسها، هما العنوانين البارزين والسببين المباشرين لتلك النكسات.

واليوم، وأكثر من أي وقت مضى، فإننا نقترب من تحقيق مهمات التحرير والتغيير والتطوير في الأمة بقدر ما نتقدم على طريق توحيد تيارات الأمة وطاقاتها.

***

إن الطريق إلى تعميق التحالف بين التيارين، وهو ما تستدعيه كثيراً اللحظة الراهنة، يستدعي التذكير بالمهام المرحلية التي أقرها المؤتمر القومي ـ الإسلامي الأول وقطع شوطاً في تنفيذ بعضها، وتعثر تنفيذ البعض الآخر.

على **صعيد التفاعل الفكري**، فلقد أوصى المؤتمر بما يلي:

١ ـ السعي إلى **تنظيم سلسلة من الندوات والحوارات على المستوى القومي بين الطرفين حول القضايا الفكرية التي تهمهما**، وفي مقدمتها صياغة المشروع النهضوي القومي ـ الإسلامي بجميع أبعاده الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، بما في ذلك مواضيع «العلمانية» و«تطبيق الشريعة»، ويعد مركز دراسات الوحدة العربية ندوة فكرية لمواصلة الحوار الفكري بين التيارين.

٢ ـ السعي إلى **تنظيم حوارات على المستوى القطري بين الطرفين** للخروج بتصورات مشتركة منبثقة من حاجات المواجهة للتحديات المطروحة في كل قطر.

٣ ـ بذل كل الجهود **للارتقاء بمستوى الخطاب، خاصة في أجهزة الإعلام، بما يساعد على دفع الحوار وإثرائه**، وتركيزه على القضايا والمصالح الأساسية للأمة مع العمل على فتح المنابر الإعلامية المتوافرة للطرفين، من أجل الإسهام في مزيد من التفاعل الفكري بينهما.

أما على **صعيد العمل السياسي**، فكان من أهم ما أوصى به المؤتمر:

١ ـ **إعادة بناء وهيكلة مؤسسات مواجهة التطبيع** في ضوء الظروف المستجدة، مع توسيع نطاق المشاركة فيها من قبل القوى الوطنية السياسية والنقابية المناهضة للتطبيع كافة، **وتعزيز المقاطعة الشعبية** للسلع والمنتجات وجميع صور التعاون الثقافي مع العدو الصهيوني، وإدانة المؤسسات أو الأشخاص الذين يمارسون التطبيع بأشكاله كافة على مستوى الوطن العربي.

٢ ـ **بناء مؤسسات لجمع ونشر المعلومات المتعلقة بمدى التغلغل الصهيوني في مختلف المجالات الاقتصادية والأكاديمية والثقافية في البلدان العربية**، وكشف مخاطرها دعماً للحملة المواجهة للتطبيع.

٣ ـ **إحياء لجان مناصرة المقاومة الفلسطينية وتعميمها في جميع البلدان العربية** وتقويتها بالسبل المتاحة كافة.

٤ ـ **العمل المشترك بين الباحثين في التيارين على إصدار سلسلة من الدراسات** حول المشروعات المقترحة للسوق الشرق أوسطية وأضرارها المباشرة على الاقتصاد العربي وعلى مستقبل التعاون بين البلدان العربية، مع اقتراح السياسات البديلة لتفعيل آليات العمل العربي المشترك.

٥ ـ **تكليف لجنة المتابعة المنبثقة عن المؤتمر لتنسيق الجهود الرامية إلى رفع الحصار عن الشعوب العربية وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين والمحتجزين في السجون العربية، وتسهيل عودة المنفيين، ورفع الحصار عن المحاصرين.**

٦ ـ **التنسيق بين فصائل التيارين بالتعاون مع منظمات حقوق الإنسان من أجل اتخاذ المواقف الواضحة من جميع الانتهاكات التي تمس الحريات العامة وحقوق الإنسان في أرجاء الوطن العربي.**

٧ ـ دعوة التيارين القومي والإسلامي إلى **التعاون والتنسيق في تعزيز الصف الوطني**، وبخاصة في **مجالات الانتخابات المحلية والتشريعية والنقابية.**

٨ ـ تكليف لجنة المتابعة بالسعي إلى دعم الحوار بين الحركة الإسلامية والدولة في أكثر من قطر عربي، وخاصة في القطر الجزائري.

***

وعلىٰ الرغم من أن تطورات هامة حصلت على مدى العقد الفاصل بيننا اليوم وبين إقرار تلك المهام، ولا سيما في ظل الاحتلال الأمريكي ـ البريطاني للعراق وما يتطلبه من رفع وتيرة المقاومة، بكل أشكالها ومستوياتها، ضده، بما في ذلك رفض التعامل مع الاحتلال وكل إفرازاته ونتائجه وتداعياتها، وإنجاز مصالحة تاريخية داخل المجتمع العراقي، وتكريس الديمقراطية والتعددية كمرجعية للعلاقات بين العراقيين، إلا أن هذه المهام الفكرية والسياسية ما زالت صالحة حتى الآن لتشكل برنامج العمل الفاعل لتطوير العلاقة بين التيارين وتطويرها، ونقلها من القوى القيادية والنخبوية إلى مستوى القواعد الشعبية والشبابية بشكل خاص.

إن التيارين يُستهدفان الآن معاً، ولا خيار أمامهما للخروج من هذا المأزق إلا بمزيد من التعاون والتحالف بينهما. فهذان الجناحان لا يحلقان إلا معاً لمواجهة التحديات □

خير الدين حسيب

رئيس التحرير

الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية

عبد الرحمن عزي

أستاذ في جامعة الإمارات العربية المتحدة.

تخص هذه الدراسة الارتباط البنيوي بين الثقافة ووسائل الاتصال[1] والذي ظل يعود إلى الواجهة كلما حدث تطور «مثير» تقنياً في تكنولوجيا الاتصال. وتاريخياً، فإن كل اكتشاف في الاتصالات يحدث هزة ثقافية خاصة، فاكتشاف الكتابة أوجد لغة الرموز، واكتشاف الطباعة نقل الثقافة من الحالة الشفوية إلى المكتوب، واكتشاف الإذاعة والتلفزيون أدخل ثقافة سمعية بصرية، وأخيراً أدى اكتشاف الحاسب والشبكات المعلوماتية كالإنترنت إلى بروز الثقافة التفاعلية. هذا التجاذب، وإن كان يمس شكل الثقافة وليس محتواها بالضرورة، فإنه يبرز مدى التفاعل الجدلي بين الثقافة ووسائل الاتصال. ويتضح أن أدبيات الاتصال الحديثة تركز على الوسيلة، وأن وسائل الاتصال أساس الثقافة «المعاصرة». ويتردد القول إننا في «عصر الوسيلة»، إلا أن مقاربتنا هذه تقوم على أولوية الثقافة على وسائل الاتصال. فالثقافة تستوعب وسائل الاتصال بينما تشمل وسائل الاتصال جزءاً محدداً ومحدوداً من الثقافة فقط ، أي ذلك الجزء الذي ينتقل إلى وسائل الاتصال. وفي منظورنا، فإنه من الأولى التساؤل : ماذا تفعل الثقافة بوسائل الاتصال؟ وليس: ماذا تفعل وسائل الاتصال بالثقافة؟ ويمكن معالجة ثنائية الثقافة ووسائل الاتصال في هذا الموضوع عل النحو التالي:

أولاً: تحديد مفهومي الثقافة وحتمية الاتصال.

ثانياً: إبراز التجاذب بين الثقافة كعالم معنوي ـ مادي معايش ووسائل الاتصال كعالم رمزي.

(١) نستخدم مصطلح وسائل الاتصال للدلالة على وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون وعلى وسائل الاتصال الأخرى كالهاتف والاتصالات بعامة.

ثالثاً: تبيان تأثير وسائل الاتصال في الثقافة بالإيجاب أو السلب، والآليات والأوضاع التي يتجسد فيها هذا التأثير وفق هذا المنظور المعياري .

أولاً: مفاهيم الثقافة والحتمية والقيمة

تزخر المراجع الأنثروبولوجية والاجتماعية بتعاريف عن الثقافة. وتركز هذه التعاريف على الجزء المعيوش في الثقافة حتى وإن كان يتضمن أبعاداً معنوية، أي أن الثقافة تمثل نمطاً من المعيشة أو الحياة. ويشمل ذلك كل ما ينتجه أو يمارسه المجتمع من عادات وتقاليد وطقوس وحرف وعمران وبنيات ذهنية ... الخ.

ويمكن سرد بعض هذه التعاريف في ما يلي:

١ ـ «مجموعة الإبداعات الإنسانية، أو النتيجة المنظمة لتجربة الجماعة حتى الوقت الحاضر. وتتضمن كل ما أنتجه الإنسان في شكل أدوات (مادية) أو أخرى، كالمواقف والأفكار والأحكام والمواثيق والمؤسسات والفنون والعلوم والفلسفة والتنظيم الاجتماعي».(٢)

٢ ـ «مجموعة من التقاليد والعوائد التي تصقل أحاسيس الجماعة وأفكارها وسلوكها».(٣)

٣ ـ «أنماط مستترة أو ظاهرة من السلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز، فضلاً عن الإنجازات المتميزة للجماعات الإنسانية».(٤)

٤ ـ «ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادة، وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع».(٥)

٥ ـ «سلوك مكتسب ويشمل مجموع التقنيات التي تمكن الفرد من التكيف مع العالم الذي حوله».(٦)

وتتكرر تعاريف مماثلة في عدد معتبر من الأدبيات الأنثروبولوجية الغربية أو في بعض الكتابات العربية التي عادة ما تعيد إنتاج هذه التعاريف بصيغ لا تؤثر في بنية هذه الأخيرة.

---

(٢) Alfred McClung Lee, *Principles of Sociology* (New York: Barnes and Noble Books, [n. d.]), p. 206.

(٣) Donald Light, Jr. and Suzanne Keller, *Sociology*, 3rd ed. (New York: Knopf, 1982), p. 83.

(٤) تعريف كروبير وكلالهون في: محمد علي محمد [وآخرون]، **المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية** (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥)، ص ١١٠.

(٥) تعريف تايلر في: المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٦) Scott G. McNall, ed., *The Sociological Perspective; Introductory Readings* (Boston, MA: Little, Brown, [1968]), p. 55.

يؤخذ على هذه التعاريف ذات النزعة الأنثروبولوجية **تبني ظاهرة النسبية** أولاً، أي أنها لا تعتمد معايير يمكن من خلالها دراسة طبيعة ثقافة ما كمستوى نضجها وقيمة ما تطرحه من عقائد وسلوكيات وكذلك مقارنة ثقافة بثقافة أخرى. يؤدي ذلك إلى تجنب الأحكام القيمية في دراسة الثقافة، فكل ثقافة في هذا النهج تؤدي وظيفتها في محيطها الزمكاني[٧]. إن الثقافة في هذا المنظور تدرس في حد ذاتها (sui generous) وليس في العلاقة مع قيمة خارجية أخرى. وفي منظورنا، فإن الثقافة عبارة عن سلم من القيم تسمو أو تدنو وفق العلاقة مع القيمة التي في أصلها دينية.

> إن الثقافة سلم تمثل مستواه الأعلى القيم. والقيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين . فالإنسان لا يكون مصدر القيم وإنما أداة يمكن أن تتجسد فيها القيم.

ويتمثل المأخذ **الثاني** في الافتراض بأن الثقافة **ناتج إنساني ليس** إلا، أي أن الثقافة ظاهرة اجتماعية يتم إنتاجها باستمرار في العلاقات الاجتماعية. وبتعبير آخر، فإن الثقافة حقيقة يتم تأسيسها اجتماعياً. إن هذا الطرح يعتبر الثقافة من صنع الإنسان ولأغراض وظيفية، ومن ثم فالثقافة ظاهرة نسبية ترتبط بالواقع المعايش في زمان معين ومكان محدد ، وما يكون وظيفياً في مجتمع قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر. وفي منظورنا، فإن الثقافة في أصلها ظاهرة دينية ثم أخذت بعداً اجتماعياً بالممارسة إما في العلاقة مع القيمة الدينية الأصلية اقتراباً منها أو ابتعاداً عنها.

ويخص المأخذ الأخير في أن هذه التعاريف تعتبر القضايا المعنوية في الثقافة إما **وظيفية**، أي تؤدي وظيفة ما في المجتمع، أو **تبريرية**، أي تبرر واقعاً ما في المجتمع. وما يميز الطابع الأنثروبولوجي في هذه التعاريف التركيز على الجزء المعيوش في الثقافة وجعل العوالم غير المادية أقرب إلى الأساطير والميتافيزيقا من أي شيء آخر. وفي منظورنا، فإن القضايا المعنوية يمكن أن تدرس كمجال مستقل وفي العلاقة مع القيمة.

ويعود تأثر الثقافة بالنزعة الأنثروبولوجية إلى أن هذا الفرع من المعرفة الذي كان له بعض السبق في دراسة الثقافات المعاشة في المجتمعات المسماة بالقديمة أو «البدائية»، إلا أنه تم حديثاً إدخال مفاهيم إضافية أو «جديدة» عما يدخل ضمن الثقافة كالعمران والحضارة. ويمكننا أن نتعامل مع المفاهيم القديمة والحديثة للثقافة بحصر المفردات التي ترد في هذه التعاريف ثم تحليلها وفق المنظور المعياري. وتشمل هذه المفردات ما يلي (انظر الشكل رقم (١)):

---

(٧) اختصار لتعبير الزمان و المكان.

- أن الثقافة هي **العادات**.
- أن الثقافة هي **التقاليد**.
- أن الثقافة هي **المعتقدات**.
- أن الثقافة هي **الحرف والصناعات**.
- إن الثقافة هي **الحضارة**.
- أن الثقافة هي **الطقوس**.
- أن الثقافة هي **الفولكلور**.
- أن الثقافة هي **الأساطير**.
- أن الثقافة هي **أنماط الحياة**.
- أن الثقافة هي **الفنون**.
- أن الثقافة هي **المنتجات المادية**.
- أن الثقافة هي **العمران**.

الشكل رقم (١)
تحليل المفاهيم القديمة والحديثة للثقافة

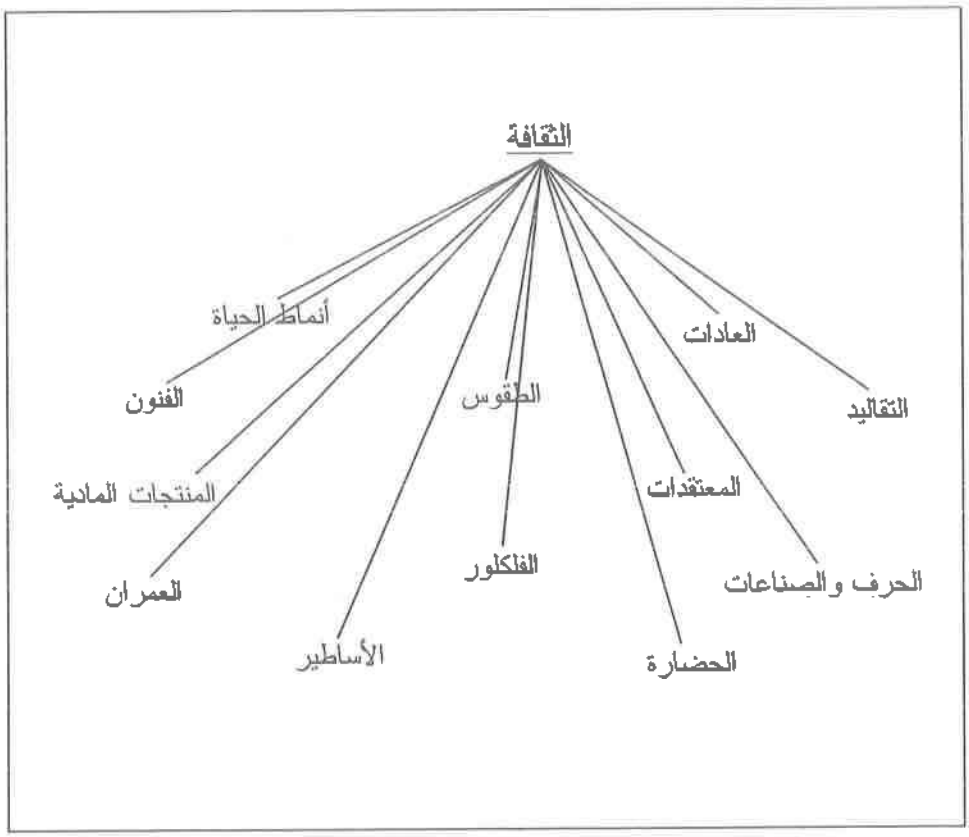

ويمكننا أن نحلل هذه المفردات نقدياً أو نقلصها في تعبير المنهج الظاهرتي[٨] على النحو التالي:

أ ـ إن هذه المفردات متداخلة **ليست حصرية**، فالعادات قد تشمل التقاليد، والحضارة تتضمن العمران، والطقوس أنماطاً من الحياة ... الخ.

ب ـ إن هذه الأخيرة ليست مرتبة وفق **نظام** من **الأولويات**، فهل الحضارة في ميزان الأساطير نفسه ، وهل الفولكلور في مستوى الحضارة نفسه؟

ج ـ أنها **تستبعد** الأحكام القيمية، وهي تقوم في ذلك على مبدأ النسبية القائل بأن لكل مجتمع ثقافته، ولا يمكن تقييم ثقافة انطلاقاً من معايير ثقافة أخرى. فالمجتمع الذي يقدس جماداً على سبيل المثال يعبر عن ثقافة ذات بنية داخلية تؤدي وظيفة تكاملية في سياق مرجعية ذلك المجتمع، ومن ثم يتم استبعاد أي نظرة تتساءل عن طبيعة هذا الطقس ومكانته في سلم القيم حتى وإن كان هذا السلم عقلانياً فحسب.

د ـ إن هذه التعاريف **تستثني** وسائل الاتصال كجزء من الثقافة ، وبغض النظر عما إذا كانت وسائل الاتصال تعكس الثقافة أو أنها تساهم في تأسيس الثقافة ، فإنها طرف في المنظومة الثقافية.

وفي منظورنا، فإن الثقافة سلم يمثل مستواه الأعلى القيم. والقيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية ويكون مصدر القيم في الأساس الدين. فالإنسان لا يكون مصدر القيم وإنما أداة يمكن أن تتجسد فيها القيم . يستتبع ذلك أنه كلما ارتقت الثقافة إلى مستوى القيم ارتبطت بالدين بالضرورة . ويأتي العقل في مرتبة موازية ويمثل نشاطاً منطقياً يتعامل مع المسائل النظرية كالإدراك والفهم والتأويل. ويكون هذا النشاط المنطقي منطقياً بالضرورة إذا كان وثيق الصلة بالقيم، ومصدر النشاط الذهني هو العقل. ويكون هذا النشاط العقلي المستوى الذي ترتقي به الثقافة إلى الحضارة. فهذا النشاط يولد الآداب والفنون والفكر والمعرفة، أي أن الثقافة تتحول إلى حضارة بالنشاط العقلي المتفاعل مع المجال المعنوي والمادي في المجتمع. وقد يكون هذا النشاط مرتبطاً بالقيم فيكون ترابطياً ، وقد يتحرك في مجال لا يتصل بالقيم فيكون غير مترابط. وكلما كان النشاط مترابطاً، كان مجال النمو المتوازن واسعاً والعكس صحيح. ويأتي في أسفل الثقافة حركة الإنسان وفعله ، أي سلوكه. ويكون مصدر هذه الحركة واقع الإنسان المحدود في الزمان والمكان. وأيضاً، فإن فعل الإنسان قد يكون مرتبطاً بأي أو بكل من النشاط الذهني والقيم وقد لا يكون. فإن كان الفعل مرتبطاً بالنشاط المنطقي كان الفعل منطقياً، وإن كان مرتبطاً بالقيم كان منطقياً وقيمياً، والقيمة أعلى من المنطق. وإذاً فإن الثقافة سلم يتضمن أبعاداً ثلاثة: القيم والمنطق والفعل.

---

(٨) عبد الرحمن عزي، «ماهية الظاهرتية الاجتماعية وفضاء الحياة العربية،» **حوليات جامعة الجزائر**، العدد ٣(١٩٨٨-١٩٨٩).

إن الرسالة أساس عملية الاتصال رغم أن الوسيلة تؤثر في طبيعة الرسالة شكلاً ومضموناً، أما الوسيلة فقد تولدت في فضاء الثقافة وسعت إلى التعبير عن بعض مظاهر هذه الأخيرة.

ويكون تعريفنا للثقافة في هذه الحالة أن الثقافة هي معايشة الواقع انطلاقاً من القيم ، ويكون النشاط المنطقي وسيلة في تحقيق الترابط بين القيمة والسلوك. ويعتبر هذا التعريف معيارياً ، أي أنه يبين الكيفية التي ينبغي أن تنبني عليها الثقافة. كما أن هذا التعريف يحدد المرجعية التي يمكن أن تدرس بها الثقافة ومستواها (انظر الشكل رقم (٢)). وقد عرفنا الثقافة في سياق مشابه بأنها «كل ما يحمله المجتمع (الماضي) وما ينتجه (الحاضر والمستقبل) من قيم ورموز معنوية أو مادية ، وذلك في تفاعله مع الزمان (التاريخ) والمكان (المحيط بماضي ذلك النظام الاجتماعي) انطلاقاً من بعض الأسس (القيم) التي تشكل ثوابت الأمة وأصولها (البعد الحضاري)».[٩]

الشكل رقم (٢)
مفهوم الثقافة

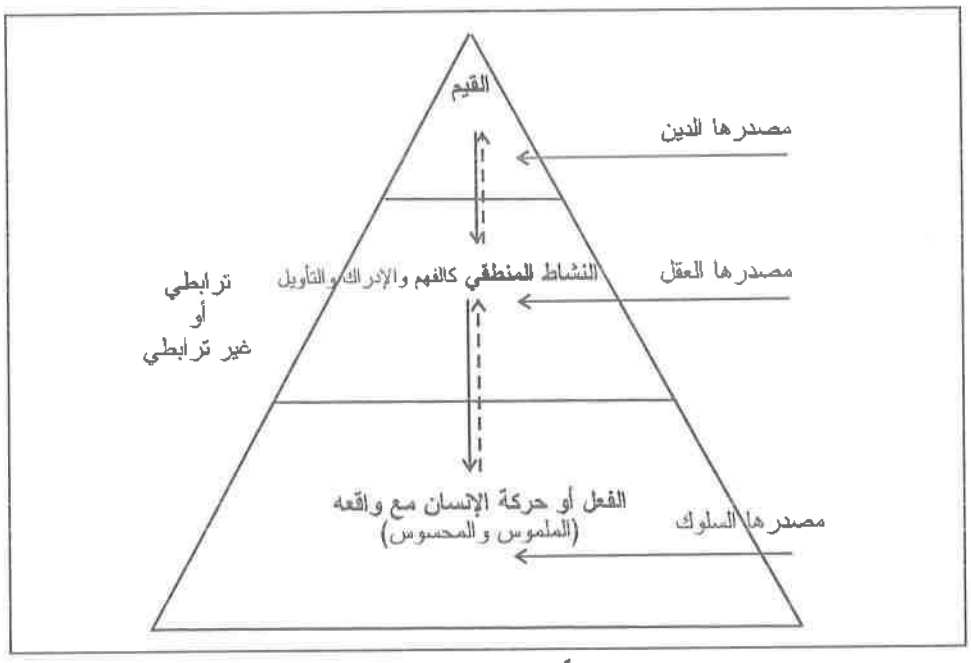

تعريفنا للثقافة: معايشة الواقع انطلاقاً من القيم

(٩) عبد الرحمن عزي، «ثقافة الطلبة والوعي الحضاري ووسائل الاتصال: حالة الجزائر»، **المستقبل العربي**، السنة ١٥، العدد ١٦٤، (تشرين الأول/اكتوبر ١٩٩٢)، ص ٣٤-٦٨.

أما **الحتمية** فتعني عملية اعتماد متغير واحد من دون المتغيرات الأخرى في تفسير الظواهر، كأن يفسر تطور المجتمع على أساس الصناعة فقط، فتكون هذه حتمية تكنولوجية، أو يفسر على أساس الحركة الاجتماعية، فتكون هذه حتمية اجتماعية، وهكذا. وتخص الحتمية الإعلامية (Media Determinism) اعتبار أن تكنولوجيا الاتصال هي المتغير «الأساسي» في تفسير آليات التطور الاجتماعي. فقد اعتبر ماكلوهان أن اكتشاف الكتابة (حوالى ٣٥٠٠ ق. م.) يعتبر **ثورة الاتصال الأولى**، إذ أوجدت هذه الثورة اللغة المكتوبة وسمحت بالتدوين وهو أحد شروط التطور. **وحدثت ثورة الاتصال الثانية** بعد أن اكتشف غوتنبورغ المطبعة (منتصف القرن الخامس عشر). وأدت هذه الثورة إلى انتقال المجتمع من مرحلة الاتصال الشفوي إلى الاتصال المكتوب. واعتبر ماكلوهان أن **ثورة الاتصال الثالثة** ارتبطت باكتشاف الحاسب في الستينيات والتي نقلت المجتمع إلى مرحلة الاتصال التفاعلي. أما اكتشاف الإذاعة (العشرينيات من القرن العشرين) والتلفزيون (الخمسينيات من القرن نفسه) فهي امتداد لسمع الإنسان وبصره فحسب على رغم أنها نقلت المجتمع من مرحلة الثقافة المكتوبة إلى مرحلة الثقافة المسموعة والمكتوبة. واعتبر ماكلوهان أن الحضارة تأثرت سلباً بالثقافة المسموعة والمرئية، فهذه الأخيرة تضمنت بعض معالم الثقافة الشفوية التي ميزت المجتمعات الأولية انظر الشكل رقم (٣)). ويعتبر ماكلوهان أن محتوى الوسائل شيء عرضي، فالأهم هو الوسيلة في حد ذاتها، والتي تفرض على المجتمع نمطاً خاصاً من التفكير والاتصال، أي أن الرسالة هي الوسيلة.

وفي منظورنا فإن الرسالة أساس عملية الاتصال على رغم أن الوسيلة تؤثر في طبيعة الرسالة شكلاً ومضموناً. فالرسالة تمثل المرجع في ضبط العلاقة بين الثقافة ووسائل الاتصال. فالثقافة مرجعية ثابتة في التاريخ وتتجدد بالفعل والممارسة، أما الوسيلة فقد تولدت في فضاء الثقافة وسعت إلى التعبير عن بعض مظاهر هذه الأخيرة. وإذا كانت وسائل الاتصال قد أنتجت ما يسمى بالثقافة الجماهيرية فإنها لم تصبح الثقافة في حد ذاتها، كما أن الثقافة الجماهيرية وليدة المجتمع الجماهيري وليس العكس[١٠].

ويقصد **بالقيمة** الارتقاء، أي ما يسمو في المعنى، والقيمة معنوية وقد يسعى الإنسان إلى تجسيدها عملياً كلما ارتفع بفعله وعقله إلى منزلة أعلى. وتعني القيمة في اللغة اسم النوع من الفعل : قام ، يقوم ، قياماً، بمعنى : وقف واستوى. وفي منظورنا،

---

(١٠) عبد الرحمن عزي، «التحليل النقدي والبنية المؤسسية في المجتمع العربي،» **حوليات جامعة الجزائر**، العدد ٩ (١٩٩٥).

الشكل رقم (٣)
الحتمية التقنية الاتصالية

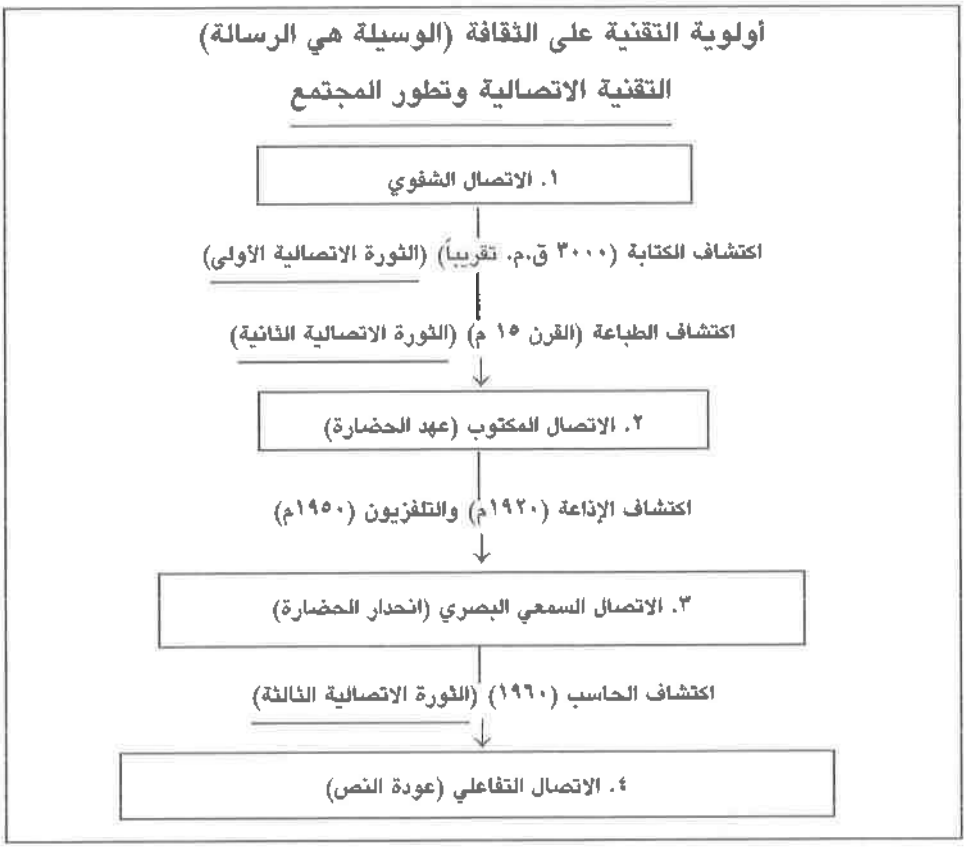

فإن القيمة ما يعلو عن الشيء ويرتبط بالمعاني الكامنة في الدين[١١] (انظر الشكل رقم (٤)).

(١١) يرى د. الربيع ميمون، أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر، أن الفلسفة تناولت موضوع القيم في ما عرف بفلسفة القيم، وأدرج بعض الفلاسفة القيمة في إطار عالم الوجود، كما أدرجوا الحق في إطار علم المنطق، والخير في علم الأخلاق، والجمال في علم الجمال، إلخ. فاعتبروا الوجود قيمياً، و القيمة «حقيقة لا يمكن فصلها عن الوجود ولا فصل الوجود عنها.» يستتبع ذلك أن الأشياء لا وجود لها بالنسبة إلى الإنسان (إلا لأن) لها قيمة. ونجد في هذا الفرع من المعرفة (أي الفلسفة) من يرى أن القيمة تظهر في «الأفعال والأشخاص والموجودات»» ومن يرى أن القيمة «ليست من الموضوعات العقلية التي تتطلب البرهنة عليها لإثباتها» فهي «تتجاوز العقل، ولا يستطيع العقل أن يحيط بها، وإن كان هو الذي يجعلنا ننقاد إليها ونخضع له بأنواره». وقد جعلها أبو حيان التوحيدي تتمثل في الدين والخلق والعلم، «فالدين جماع المراشد والمصالح، والخلق نظام الخيرات والمنافع، والعلم رباط الجميع». انظر في هذا الشأن: الربيع ميمون، «عالم القيمة أو الإنسان بالحقيقة»، **حوليات جامعة الجزائر**، العدد ٥ (١٩٩٠-١٩٩١)، ص ٥٤-٦٠.

ثانياً: التجاذب بين الثقافة كعالم معنوي ـ مادي معايش ووسائل الاتصال كعالم رمزي

إن العلاقة بين الثقافة والتكنولوجيا مسألة تعود إلى بداية الثورة الصناعية، إذ اعتبر المنظرون الأوائل أن التكنولوجيا ستغمر كل ما هو ثقافي وتحول الثقافة إلى أداة في خدمة التقنية. ويعني ذلك أن الثقافة تصبح مجموعة من المهارات والتقنيات أو ما يسمي باللاتيني (techec)، ومن ثم يتراجع كل ما لا يمثل فعالية اقتصادية ما. فالتقنية في هذا التحليل هي الثقافة. وظهر في هذا السياق العديد من المراجع التي تتخوف من المصير المحتوم الذي يجعل التكنولوجيا تتحكم في الإنسان الذي أوجدها في بداية الأمر. وفي منظورنا، فإن الثقافة تتحكم (على الأقل من حيث ما ينبغي أن يكون) في التقني ، وليس الأمر أن تتحول الثقافة إلى تقنية[١٢]. وحديثاً، كان لكتابات أنيس الأثر في تحويل هذا الانشغال إلى ميدان الاتصال. وقد انتقل الموضوع إلى الصدارة عندما قام ماكلوهان[١٣] بإضافة الطابع الدرامي على المسألة إذ أدخل مفاهيم جديدة مثل الاتصال الساخن والاتصال البارد[١٤] وحتمية الاتصال وأثر وسائل الاتصال في الحواس وقولته المشهورة «إن الوسيلة هي الوسيلة».

تنتمي الثقافة إلى كل من العامل المعنوي والمادي. فالمعنوي يشمل كل ما يسمو من المعاني، أما المادي فيتضمن ما يدنو إلى الواقع المعايش كالعادات والتقاليد والعمران. وتكون العلاقة بين المعنوي والمادي صحية طالما كان المعنوي مرجعاً في السلوكيات المتعددة والمتجددة. وتمثل وسائل الاتصال عالماً رمزياً، فالفرد يتفاعل مع محتويات وسائل الاتصال من خلال رمزية اللغة أو الصورة أو الفيديو. إن هناك جاذبية بين الثقافة ووسائل الاتصال، فالفرد ينتقل (أو يلجأ) من عالمه الثقافي الحقيقي إلى العالم الرمزي الذي تعرضه وسائل الاتصال تلقائياً أو رغبة في الإفلات مؤقتاً من عالمه المجسد. وتتنوع دوافع الانتقال من الواقعي إلى الرمزي، ومنها أن يضيق الواقع المجسد فيجد الفرد مكانه في الرمزي، أي المجرد إلى حين. إن الثقافة تتميز من وسائل الاتصال في عدة عناصر دالة. فالثقافة واقع يعيشه الفرد بصفة مباشرة، أما تجربة التفاعل مع وسائل الاتصال فرمزية غير مباشرة. والثقافة تتسع **كمياً** عندما تتحول إلى وسائل الاتصال كانتقال الأسطورة إلى المسلسل، والرواية إلى الفيلم ، والحدث إلى الخبر ... الخ. وفي هذه العملية قد تضيق الثقافة **نوعياً** عندما تختزلها وسائل الاتصال أو تسيء تمثيلها أو تشوهها. وفي كل الحالات، فإن وسائل الاتصال تعبير جزئي عن الثقافة المحيطة بهذه الوسائل. وفي منظورنا، فإن الانتقال الدال قيمياً يكون من الثقافة إلى وسائل الاتصال

---

(١٢) Abderrahmane Azzi, «Development: Ethical Competence in the Information Age,» *Islamic Studies*, vol. 7, no. 1 (1998).

(١٣) أهم مؤلفاته *(Understanding Media)* الذي ترجم إلى اللغة العربية.

(١٤) John Vivian, *The Media of Mass Communication* (Boston, MA: Allyn and Bacon, 1991), p. 9.

وليس العكس، على الرغم من أن العديد من نظريات التأثير في الإعلام تنتقل من الوسائل إلى الثقافة.

الشكل رقم (٤)
الثقافة والاتصال

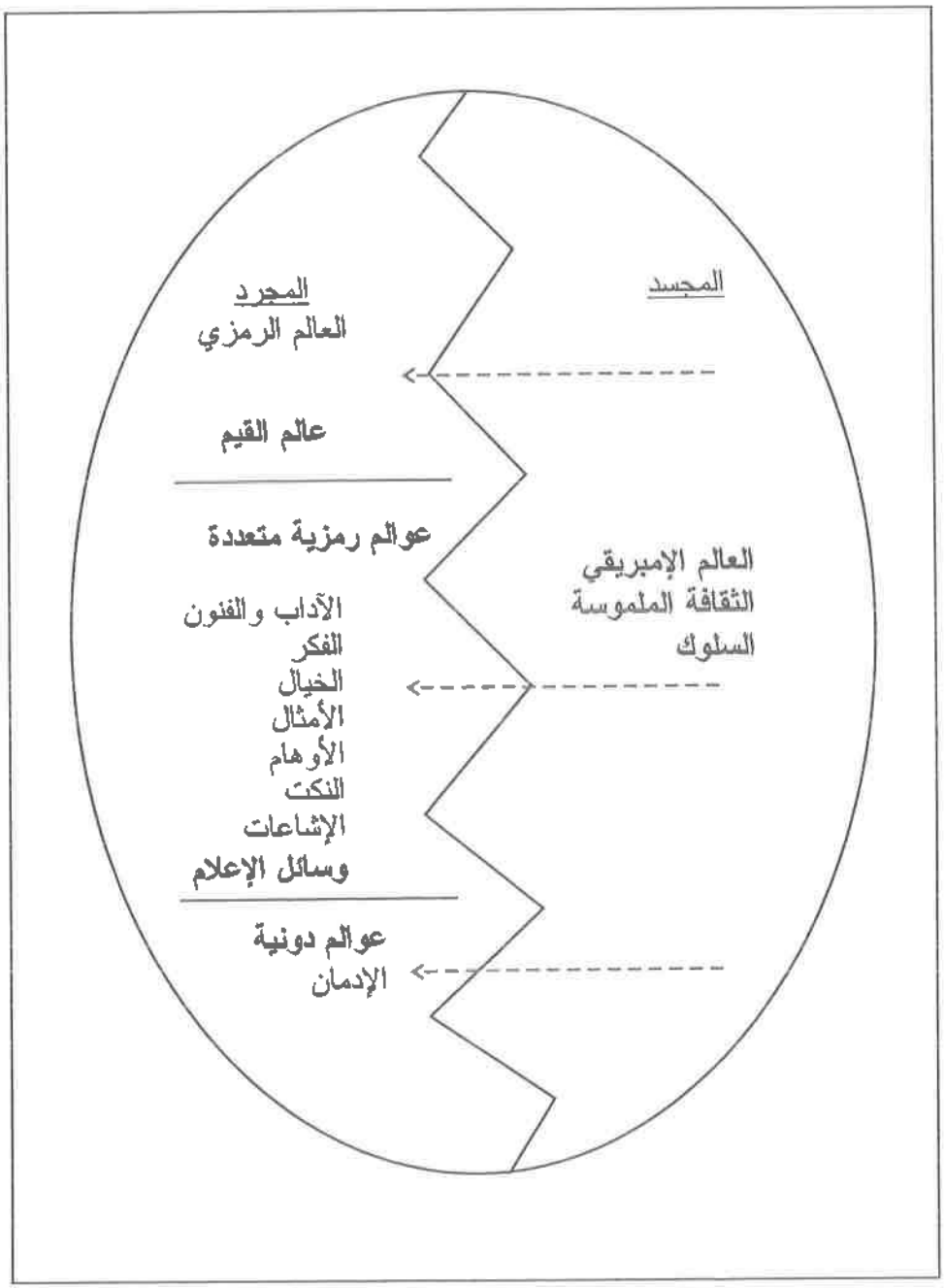

ثالثاً: تأثير وسائل الاتصال في الثقافة: المنهج المعياري

إن دراسة التأثير لا يتم في منظورنا من دون مرجعية تربط محتويات هذه الوسائل بالقيم. إن التأثير يكون إيجابياً إذا كانت المحتويات وثيقة الصلة بالقيم، وكلما كانت الوثاق أشد كان التأثير إيجابياً. وبالمقابل، يكون التأثير سلبياً إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأي قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكثر.

١ ـ التأثيرات الإيجابية

أ ـ تعزيز القيم

يرتبط التعزيز بتثبيت مواقف الفرد السابقة وإعطائها ألفة إضافية. ولعب تعبير «التعزيز» دوراً أساسياً في فهم تأثيرات وسائل الاتصال في المجتمع. وقد عالج لازرسفيلد هذا الموضوع في دراساته الميدانية وأشار في مقولته المعروفة الى أن وسائل الاتصال لا تغير آراء الناس ومواقفهم بقدر ما تعمل على تدعيم هذه الأخيرة. ويرتبط هذا الطرح بافتراض أن العامل الاجتماعي (العلاقات الاجتماعية) أساس تكوين الآراء والمواقف، وأن الإعلام يبني على ذلك ويعزز ما أنتجته العلاقات الاجتماعية. وفي منظورنا، فإن التعزيز يكون مشروطاً بتوافق العاملين الاجتماعي والإعلامي، فيكون الإعلامي داعماً للاجتماعي. أما إذا كان الإعلامي غير متكامل مع الاجتماعي، فإن التأثير قد يكون عكسياً، أي يظل الجمهور متمسكاً بما تفرزه العلاقات الاجتماعية ويزيل الصدقية في تعامله مع وسائل الاتصال .

ب ـ التنشئة الاجتماعية

يقصد بالتنشئة الاجتماعية (Socialization) الصيرورة التي يتم من خلالها اكتساب قيم المجتمع وثقافته. وتعتبر وسائل الاتصال مؤسسات اجتماعية تقدم أحزمة ثقافية محلية أو وافدة، فهي الناقل أو المحول التي يساهم في «جتمعة» الفرد وإحداث الألفة مع المحيط . ويعتبر علماء الاجتماع أن وسائل الاتصال هي أدوات التنشئة الاجتماعية. إن كل نوع من محتويات وسائل الاتصال يحدث تنشئة معينة، فالأخبار تساهم في التنشئة السياسية، والبرامج التعليمية تساهم في التنشئة التربوية، والبرامج الدينية تساهم في التنشئة الدينية ، وهكذا.

> تنتمي الثقافة إلى كل من العامل المعنوي والمادي. فالمعنوي يشمل كل ما يسمو من المعاني، أما المادي فيتضمن ما يدنو إلى الواقع المعاش كالعادات والتقاليد والعمران.

ج ـ تحقيق الانسجام وتعزيز الترابط الاجتماعي

تحدث وسائل الاتصال الإحساس بالانتماء إلى المجتمع الذي تربطه صفات مشتركة كالقيم والثقافة واللغة والتاريخ والتجربة والحيز الجغرافي. ويزداد هذا الدور في المجتمعات المتعددة الأجناس واللغات والمعتقدات، فيكون دور وسائل الاتصال لمّ الشمل. إن وسائل الاتصال قد تعزز العلاقات الاجتماعية، فأفراد الجمهور لا يكتفون عادة بما يقرأونه أو يسمعونه أو يشاهدونه في وسائل الاتصال ، بل يتحدثون عن تجاربهم الإعلامية مع ذويهم وأقرانهم. وبينت نظرية التدفق الإعلامي على مرحلتين أن تدفق الرسائل الإعلامية ليس مباشراً ويمر عبر قادة الرأي وشبكة من العلاقات الاجتماعية قبل أن تنتقل الرسالة إلى بقية أفراد الجمهور. ويعني ذلك أن تأثير وسائل الاتصال محدود ويتوقف على درجة التأويل والتعديل الذي تمارسه الفئات الوسيطة التي تشكل مستوى آخر بين الرسالة الإعلامية والجمهور. إن وسائل الاتصال تدعم الحراك الاجتماعي وتعززه. فقد أظهرت دراسة عن «استخدامات سكان مدينة الرياض للاتصال الهاتفي» أن العامل الاجتماعي احتل المرتبة الرابعة من بقية دواعي استخدام الهاتف في الجمهور المذكور. وتمثل ذلك في «تهنئة الأخرى بالمناسبات والأعياد، والسلام على الأهل، ودعوة الأخرى للزيارة، أو التأكد من وجودهم في منازلهم قبل الذهاب لزيارتهم». وأضافت الدراسة أن هذا الاستخدام لم يحل محل التواصل الاجتماعي المباشر وإنما عززه أكثر فأكثر[١٥].

د ـ توسيع دائرة الاستفادة من الثقافة

ساهمت وسائل الاتصال في نشر المعرفة والثقافة في أوساط واسعة من المجتمع. فقد لعبت الصحافة المكتوبة العربية دوراً رائداً في نشر الأدب والمعرفة بعامة. ويبرز هذا الدور المعرفي أيضاً في وسيلتي الإذاعة والتلفزيون، إذ لا تتأثر هذه الأخيرة بعائق أمية المتلقي. وفي تاريخ الصحافة العربية، فقد لعبت هذه الأخيرة دوراً في نشر الوعي الوطني الذي أدى إلى الاستقلال. إن هذه الوسائل أوجدت نوعاً من الثقافة أو اللغة المشتركة التي تتوجه إلى القاسم المشترك بين أفراد الجمهور. إضافة إلى ذلك ، فإن الثقافة المعاشة في الواقع تتسع عندما تنتقل إلى وسائل الاتصال، فعدد قراء رواية ما قد يكون محدوداً، ولكن دائرة الاستفادة من الرواية تتسع إذا تحولت إلى فيلم.

هـ ـ الوعي بالعالم الخارجي أو توسيع المحيط

ارتبطت وسائل الاتصال في نشأتها بالحاجة إلى معرفة الأحداث في المحيط القريب أو البعيد. وساهمت هذه الوسائل في تحقيق الرباط بين أفراد المجتمع داخلياً

---

(١٥) محمد بن عبد العزيز الحيزان، «استخدامات سكان مدينة الرياض للاتصال الهاتفي» (دراسة غير منشورة، الرياض، ١٤١٨ هـ)، ص ٣١-٣٩.

وإحداث الاهتمام بالأحداث خارجياً. وأصبح الجمهور في مختلف الثقافات وبفضل وسائل الاتصال يهتم بما يجري من أحداث في الخارج. وقد بينت نظرية المحيط الواسع والمحيط الضيق أن وسائل الاتصال تعمل على توسيع المحيط الاجتماعي في المجتمعات المتميزة بقلة التفاعل الاجتماعي والنزعة الفردية. فوسائل الاتصال تعوض هذا البعد الاجتماعي الغائب في الواقع.

و ـ النظر إلى الذات و المجتمع من زاوية خارجية

توفر وسائل الاتصال تجربة إضافية قد لا تتوفر محلياً كأن ينتقل الفرد من ثقافة إلى أخرى بمجرد تغيير القناة (التلفزيونية مثلاً)، وذلك ما يجعل الفرد ينظر إلى ذاته ومحيطه من بعد أو أبعاد تجتث الفرد من عالمه المحدود، وتجعله يفلت جزئياً من تلك المسلمات التي تمثل جل ما يعرفه ويدركه عن ذاته ومجتمعه. وبتعبير آخر، فإن وسائل الاتصال تنقل الفرد من المطلق إلى النسبي . وتكمن أهمية النظرة إلى الذات والمجتمع خارجياً في أن الفرد يستطيع الاطلاع على وجهات النظر المتعددة ويدرك ما يتميز به من خصوصيات ويميل إلى تقبل الأخرين على ما هم عليه من تمايز. فالفرد يعرف بوعي ذاته ومجتمعه من الآخر أو الآخرون.

ز ـ معايشة عوالم متعددة تحمل الإنسان عبر الزمان و المكان

تقدم وسائل الاتصال إمكانية تجربة عوالم قد لا تكون حاضرة في واقع الفرد المتعامل مع الوسيلة الإعلامية. فوسائل الاتصال تنقل الفرد إلى عدة عوامل رمزية وخيالية تجعل هذا الأخير يبتعد ولو إلى حين عن هموم الواقع ويجد التعويض في هذه المنظومة الرمزية الخيالية. وقد بينت الدراسات الأولى عن «سر» ارتباط الأفراد بوسائل الاتصال أن هذه الأخيرة توفر ملجأ لمن ضاق به الواقع. وبمعنى آخر، فإن الفرد قد «يهرب» من الواقع فيجد ضالته في وسائل الاتصال التي احتضنته لحظة الحاجة إلى عالم آخر يوفر له بعض الاستراحة إلى أجل ما.

ح ـ الإشباع.. التحويل والترفيه

أظهرت نظرية الإشباع والاستخدامات أن ما يجعل الجمهور شديد الارتباط بالوسيلة الإعلامية يتمثل بعملية الإشباع التي توفرها وسائل الاتصال . وبينت الدراسات الأولى في هذا المجال أن انقطاع قراء الصحيفة عن صحيفتهم ولو لفترة وجيزة يحدث اضطراباً في توازن الفرد وسلوكه اليومي ، إضافة إلى الإحساس بالعزلة أو الغربة عما يجري حوله من أحداث. وما يغيب عن الفرد في غياب الوسيلة هو القدرة على مراقبة المحيط ، فالفرد الذي يتحرك من دون المعلومة (والمعرفة) التي تأتي بها الوسيلة باستمرار أشبه بتائه لا يملك خريطة المدينة. ولذلك، فإن العلاقة بين الفرد والوسيلة

الإعلامية مسألة إلزامية في المجتمع المعاصر. وتشمل الاحتياجات التي تقدمها وسائل الاتصال :

ـ الاحتياجات المعرفية، أي الحاجة إلى الخبر والمعرفة بشكل عام. إن الخبر أهم سلعة «حية» تنفرد في تقديمها وسائل الاتصال ، وذلك سر ارتباط الفرد والجمهور بهذه الوسائل .

ـ الاحتياجات العاطفية، أي الحاجة إلى المشاعر كالإحساس بالأخوة والمحبة والفرح والسعادة ... الخ. ويظهر ذلك جلياً في المسلسلات والأفلام وغير ذلك.

ـ الاحتياجات الاجتماعية.

ـ احتياجات تحقيق الذات والاحتياجات الترفيهية[١٦]. وقد أظهرت دراسة عن «شبكة الإنترنت وجمهورها في مدينة الرياض» أن الإشباع الذي تحققه الشبكة لدى الجمهور المستخدم مسألة معرفية ، ثم عاطفية فاجتماعية فترفيهية فتجارية[١٧].

ط ـ نقد الذات وتغييرها

تساهم محتويات وسائل الاتصال في إحداث الوعي بالذات وعلاقتها مع الآخرين، فالتجارب الرمزية التي تعرضها الوسائل قد تجعل الفرد يعدل من آرائه ومواقفه وسلوكياته وفق ما يراه ذا قيمة من ظواهر أو أحداث أو قضايا ما كان بإمكانه الاحتكاك بها خارج وسائل الاتصال . وتتضمن هذه الضرورة الخروج عن الذات مؤقتاً والعيش رمزياً في عالم الوسائل ، ثم العودة إلى الذات مرة أخرى وتقييمها بنظرة أخرى.

ي ـ الإعلام والتفسير والتحليل (الوظائف)

أسهمت النظرية الوظيفية كثيراً في فهم طبيعة وسائل الاتصال وأدوارها في المجتمع. واهتمت هذه النظرية بما تقدمه وسائل الاتصال من وظائف بدل التركيز على التاريخ أو الملكية أو الحرية ... الخ. وترى النظرية أن أساس وجود أي مؤسسة هو وظائفها الحاضرة، وعادة ما تضمحل المؤسسة بزوال وظائفها في المجتمع. فوظائف وسائل الاتصال تتضمن الإعلام أو الإخبار إضافة إلى الترفيه والبيع، وتتعدد هذه الوظائف بدءاً بمهمة تنوير الرأي العام إلى المساهمة في النشاط الاقتصادي إلى التأثير في صناع القرار في المجتمع.

---

(١٦) Denis McQuail and Sven Windahl, *Communication Models for the Study of Mass Communications* (London; New York: Longman, 1984), pp. 81-83.

(١٧) خالد الفرم، «شبكة الإنترنت وجمهورها في مدينة الرياض،» (رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٠).

٢ ـ التأثيرات السلبية

في المنظور المعياري نفسه، تتمثل **الجوانب السلبية** في وسائل الاتصال في تلك التي تبتعد عن القيمة، ويشمل ذلك ما يلي:

أ ـ تحييد القيم

يقصد بتحييد القيم إبعادها كعوامل مؤثرة، ويتمثل ذلك في تغييب القيم في المحتويات وبخاصة الترفيهية، إذ لا تتقيد هذه الأخيرة بنظام من القيم، إنما تنبني على مبدأ ما يمكن أن يسوق إلى الجمهور الواسع. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن رغبات الجمهور وأذواقه عادة ما تكون نتاج ما تعرضه وسائل الاتصال ، فإن عملية استثناء القيم في المحتويات تكون دائرية: فوسائل الاتصال تعرض ما يرغب فيه الجمهور، والجمهور يرتبط بوسائل الاتصال التي تحقق له رغباته. وقد أدى ذلك إلى انتشار محتويات العنف والجنس وغيرهما في الأفلام والمسلسلات ذات الطبيعة التجارية خاصة.

ب ـ جمهرة الثقافة (التبسيط و التشويه)

يقصد بالجمهرة في هذا السياق محاولة كسب الجمهور الواسع على حساب النوعية. فالثقافة ارتقاء، أما ما تبثه وسائل الاتصال على وجه الخصوص المسموعة والمرئية فإنه ثقافة سميت بالجماهيرية. وتعني الثقافة الجماهيرية تلك الثقافة التي تنتجها وسائل الاتصال (كالمسلسلات والأفلام والإعلان ... الخ.) الساعية إلى التأثير الدعائي وإحداث احتياجات وهمية أو حقيقية لدى الجمهور الواسع . وتتأثر هذه الثقافة في دلالتها كلما كان الهدف الوصول إلى الجماهير الواسعة. وقد اعتبر منظرو الثقافة الجماهيرية أن هذه الأخيرة متأثرة بالعامل التجاري الهادف إلى استمالة الجمهور وإرضائه بغض النظر عن طبيعة المحتوى الذي عادة ما يتوجه إلى الرغبات الآنية والغرائز، فيكون الجمهور وسعته أساس نجاح البرامج لا المحتوى في حد ذاته.

ج ـ تضييق المحيط

أظهرت نظرية المحيط الواسع والمحيط الضيق أن وسائل الاتصال تلعب دوراً سالباً بطريقة غير مقصودة في المجتمع الغني بالعادات والتقاليد والتفاعل الاجتماعي ، ذلك أن وسائل الاتصال تبعد أفراد المجتمع بعضهم عن بعض. ويترتب عن ذلك أن تدفع وسائل الاتصال المجتمع الغني بالثقافة المعاشة والعلاقات الاجتماعية إلى الفقر في المجالات المذكورة ، ومن ثم التشابه مع المجتمعات التي تتصف بالانعزال الاجتماعي وقلة الروابط الثقافية[١٨].

---

(١٨) Raymond Gozzi, Jr., «Mass Media Effects in High- and Low-Context Cultures,» in: Felipe Korzenny, Stella Ting-Toomey and Elizabeth Schiff, eds., *Mass Media Effects Across Cultures* (London: Sage Publications, 1992).

د ـ تقليص المحلي وتوسع العالمي

تتجه وسائل الاتصال عامة نحو ما يرتبط بالعولمة أو القرية العالمية. يعني ذلك أن الاهتمام بالأحداث الخارجية في الثقافة الوافدة قد يكون على حساب الواقع المحلي. فقد أوجد التلفزيون ما سماه ماكلوهان القرية العالمية ، إذ يمكن للمشاهد أن يتابع الأحداث مباشرة دون قيد الزمان والمكان. وأدى الحاسب والشبكات المعلوماتية إلى إيجاد ما يسمي بالمجتمع الخائلي (Virtual Society) الذي يتشكل من الأفراد الذين يتفاعلون باستمرار من دون ارتباط هؤلاء بثقافة أو مجتمع أو مكان محدد. وكادت «تكنولوجيا الواقع الخائلي أن تسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي، وبين الحاضر والغائب ، وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي والكائنات الرمزية التي تقطن فضاء المعلومات»[١٩]. ويرى بعض المنظرين المستقبليين أن ذلك قد ينتج أفراداً يملكون وعياً عالمياً على حساب الخصوصيات المحلية. إن هناك العديد من السلبيات التي أفرزتها هذه الشبكات ، ومنها تقلص الزمن الاجتماعي المخصص للعلاقات الاجتماعية وبروز بعض السلوكيات «المنحرفة» كانتحال الشخصية وسرقة البطاقات الائتمانية والتجارة بالأشخاص ... الخ[٢٠]. وبعامة، فإن شدة استخدام هذه الوسائل قد يبعد الفرد عن قضاياه المحلية المرتبطة بواقعه المعاش.

هـ ـ إضعاف نسيج الاتصال الاجتماعي

تعمل وسائل الاتصال بطريقة غير مقصودة على تقليص الزمن الاجتماعي. ويرى بعض الباحثين أن وسائل الاتصال تمارس التفكيك الاجتماعي على اعتبار أن الزمن الذي يقضيه الفرد مع هذه الوسائل يكون بالنتيجة على حساب التفاعل الاجتماعي المباشر. ويحدث مع الزمن أن يألف الفرد هذا النمط من الاتصال ، فيصبح انعزالياً ويعفي نفسه من المسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين. فقد أوجدت الصحف زمن القراءة، ثم أتت الإذاعة فأضافت زمن الاستماع فقللت بعض الشيء من زمن القراءة. ثم أتى التلفزيون فأضاف زمن المشاهدة فقلل بعض الشيء من الزمنين السابقين. ثم أتى الحاسب والشبكات المعلوماتية فأضافت زمن التصفح. ونكون هكذا قد اقتربنا مما سماه فيراروتي ب «نهاية المحادثة»[٢١] والاتصال الشخصي المباشر.

---

(١٩) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة؛ ٢٦٥ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠)، ص ٣٤٤.

(٢٠) Margaret Mannix, «The Dark Side of the Internet,» *Newsweek* (28 August 2000), pp. 36-45.

(٢١) Franco Ferrarotti, *The End of Conversation: The Impact of Mass Media on Modern Society*, Contributions in Sociology; no. 71 (NewYork: Greenwood Press), 1988.

و ـ إضعاف دور قادة الرأي والفكر

ارتبطت الصحافة المكتوبة عامة والعربية خاصة تاريخياً بقادة الرأي ورجال الأدب والثقافة والإصلاح ، فقد ارتبطت الصحف في بداية نشأتها بالشخصيات الثقافية التي أسستها. وحديثاً، تقلص دور هؤلاء وأصبح الناشر مؤسسات إعلامية كبرى. وساهم في ذلك ارتباط المهنة الصحفية المعاصرة بالتخصص إلى جانب ظهور أنواع أخرى من قادة الرأي في مجالات خارجة عن الرأي والفكر. وعامة، فإن وسائل الاتصال تتحرك كمؤسسات ويكون دور المرسل فيها عاملاً مكملاً ، وأصبحت وسائل الاتصال مؤسسات تضم أعداداً من المحررين والمخرجين والفنيين الذين يشاركون كمجموعة في إنتاج المادة الإعلامية وتسويقها.

تحدث وسائل الاتصال الإحساس بالانتماء إلى المجتمع الذي تربطه صفات مشتركة كالقيم والثقافة واللغة والتاريخ والتجربة والحيز الجغرافي.

ز ـ تقمص أدوار النجوم السينمائية وغيرها

يبرز تقمص الأدوار في تقليد الممثلين و «الشخصيات» التي يصنعها الإعلام عامة. وقد أورد الباحث باندورة صاحب نظرية التعلم الاجتماعي أن تأثير وسائل الاتصال يكمن في التقمص (Modeling). ويعني ذلك أن الجمهور يلاحظ ويشارك تجربة الآخر ، ثم يتخذ ذلك نموذجاً[٢٢]. أما التأثير السلبي فيكمن في طبيعة صاحب القدوة في ما إذا كانت صفاته قيمية أو غير ذلك.

ح ـ المعيارية والاستهلاكية

أوردت النظرية النقدية أن وسائل الاتصال تحدث تأثيرات المعيارية والاستهلاكية في المجتمع المعاصر. تعني المعيارية (Standardization) قولبة الثقافة في شكل بضائع متجانسة قابلة للاستهلاك العام، فالعناصر الثقافية التي لا تتوافق مع ما هو معياري تستثنى ولا تسوق بناء على ذلك، الشيء الذي يضعف التنوع الثقافي عامة. وتظهر الاستهلاكية في الدور الذي تمارسه وسائل الاتصال في إحداث أو تعزيز النزعة المادية بترويج عملية بيع السلع والخدمات بصفة مباشرة عبر الإعلان ، أو بصفة غير مباشرة عبر أنماط الحياة التي تردها الأفلام و المسلسلات.

---

(٢٢) Albert Bandura, «Social Learning Theory,» in: <http://www.afirstlook.com/archther.com>

ط ـ المزج بين الرمزي والحقيقي

إن محتويات وسائل الاتصال ليست الواقع في حد ذاته ، بل تشكل تعبيراً عن الواقع، ويحدث التأثير السلبي عندما يتم المزج بين العاملين فيصبح الرمزي هو الواقع عند المتلقي. وقد أظهرت نظرية التثقيف أن العالم الرمزي الذي تعرضه وسائل الاتصال يؤثر في تصور الجمهور للحقيقة. وأظهرت الدراسات أن الأطفال في المراحل المبكرة من العمر يصدقون ما يشاهدونه في الأفلام والرسوم المتحركة على أنه حقيقة ويتأثرون به في سلوكياتهم. ودلت الدراسات أن الكبار الذين يتابعون الأخبار بكثرة يشعرون أن العالم أقل أمناً مما هو عليه في الحقيقة. وقد عبر غربنر عن ذلك بقوله إن بعض هذه المحتويات تحدث «محيطاً خاطئاً من الخوف» ، أي أن هذه الوسائل تنشئ بفعل هذه المحتويات «حقيقة عنفية»[٢٣].

> توفر وسائل الاتصال تجربةً إضافية قد لا تتوفر محلياً كأن ينتقل الفرد من ثقافة إلى أخرى بمجرد تغيير القناة التلفزيونية مثلاً، وذلك ما يجعل الفرد ينظر إلى ذاته ومحيطه من بعد أو أبعاد تجتث الفرد من عالمه المحدود.

ي ـ إضعاف الحساسية تجاه الممنوعات الثقافية

إن بعض محتويات وسائل الاتصال كأفلام العنف والجنس واللغة التي تخل بالقيم تعمل مع الزمن على إضعاف درجة الانفعال أو المقاومة التي تصاحب هذه المحتويات في بداية أمرها. ويرى الباحثون في المجال أن التلفظ بالعنف يعد إلى حد ما مشاركة فيه، فذلك يعد مقدمة لما قد ينتج من ذلك من سلوكيات. وعلى هذا الأساس، عمد العديد من الثقافات إلى وضع حدود لما لا يمكن التلفظ به خشية تحول ذلك إلى الفعل. وبين هؤلاء الباحثون أن تكرار الرسالة التي تخرج عن سياق الثقافة قد يؤدي إلى إضعاف الحساسية (Desensibilization) ومن ثم لا يقدر المتلقي على نقد الرسالة أو الشك فيها. ويدخل في إطار ذلك تأثيرات أفلام العنف والجنس، إذ أظهرت الدراسات هذه التأثيرات السلبية العديدة[٢٤] التي تبرز في أشكال التقمص (تقليد الصفات السلبية)، والتعلم (مثل تعلم مهارات السرقة مثلاً) والتحفيز والتعزيز (بإثارة النزعات العدوانية التي قد تكمن في الفرد)[٢٥].

---

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) David K. Perry, *Theory and Research in Mass Communication: Contexts and Consequences* (Mahwah, NJ: L. Erlbaum Associates, 1996), pp. 171-185.

(٢٥) Melvin L. de Fleur and Sandra Ball-Rokeach, *Theories of Mass Communication*, 4th ed. (New York: Longman, 1982), pp. 200-215.

ك ـ الفجوة الإعلامية

أظهرت نظرية الفروق المعرفية أن مستويات الاستفادة الإعلامية (المعرفية والمعلوماتية) تختلف من شريحة اجتماعية إلى أخرى. فالأكثر «معرفة» أكثر استفادة إعلامياً من الأقل معرفة. ويتبين أن وسائل الاتصال قد تفيد الجميع على السواء في المدى القصير، لكنها تفيد الأكثر معرفة أكثر من غيرهم على المدى المتوسط والبعيد. ويعني ذلك أن وسائل الاتصال تزيد في تعميق الهوة بين الأكثر معرفة والأقل معرفة.

ل ـ الإدمان على الوسيلة

يتضح أن شدة الارتباط بالوسيلة الإعلامية يكون على حساب المسؤوليات الاجتماعية الأخرى. وقد برز هذا الانشغال مع التلفزيون والفيديو، ثم ازداد مع الحاسب. وتقدر الدراسات الغربية أن الفرد يشاهد التلفزيون ما معدله ست ساعات يومياً. وحديثاً، تشير الدراسات إلى أن الحاسب قد يتجاوز التلفزيون في عدد الساعات المخصصة مع هذه الوسيلة. ويترتب عن هذا الإدمان قلة التفاعل الاجتماعي المباشر وما لذلك من أثر في إضعاف الروابط. إلى جانب ذلك، قد بينت الدراسات التربوية أن هناك علاقة ارتباطية بين كثرة مشاهدة التلفزيون وضعف الأداء المدرسي عند الأطفال.

> تتجه وسائل الإعلام بعامة نحو ما يرتبط بالعولمة أو القرية العالمية . وأدى الحاسب والشبكات المعلوماتية إلى إيجاد ما يسمى بالمجتمع الخائلي (Virtual Society) والذي يتشكل من الأفراد الذين يتفاعلون باستمرار دون ارتباط هؤلاء بثقافة أو مجتمع أو مكان محدد.

م ـ منع الفرد من نقد ذاته أو تغييرها

إن شدة تعلق الفرد بوسائل الاتصال قد يدفعه إلى التفريط في معالجة واقعه. فوسائل الاتصال تشغله عن الاهتمام بعالمه الذاتي وإصلاحه أو تغييره. ويكون هذا التأثير سلبياً على اعتبار أن هذه الوسائل تلهيه أو تحول انتباهه إلى قضايا قد تكون ثانوية على حساب ما يجري في محيطه المباشر.

ن ـ التركيز على حاسة البصر على حساب الحواس الأخرى في الوسائل المسموعة المرئية

أوجدت الوسائل المسموعة المرئية وبالأخص السينما والتلفزيون والفيديو ثقافة تعتمد أساساً على الصورة. وتلعب حاسة العين دوراً أساسياً في استقبال محتويات هذه الوسائل. إن طبيعة الاستقبال وحجمه ووتيرته تفرضه الوسيلة الإعلامية لا العين ، وذلك

عكس القراءة، إذ تتحكم العين في عملية القراءة وزمنها. يترتب عن سطو الوسيلة أن تستسلم العين وتبقى سجينة مقتضيات هذه الوسيلة. ويتبين أن شدة سكون العين وارتباطها بالصورة التلفزيونية يضعف عملية التفكير ويصبح المشاهد كائناً ساكناً في أدنى مستويات نشاطه الذهني. وقد بينت الدراسات النفسية والتربوية أن هناك علاقة بين كثرة مشاهدة الأطفال للتلفاز والكسل الذهني وضعف الأداء المدرسي. وفي منظورنا، فإن القيمة ارتبطت بالكلمة المسموعة التي تتضمن الجهد قصد الارتقاء إلى أسمى المعاني الممكنة، أما التصوير، ففيه تجسيد وتقليص للمعنى[٢٦]. وقد أشار ماكلوهان في سياق مشابه إلى أن التلفزيون وسيلة باردة ، فلا تتضمن التفاعل الجدي ولا يبذل المتلقي جهداً يذكر في تلقي الرسالة، فالعين تبقى مشدودة نحو الصورة وينزعج الفرد لو أتينا بينه وبين الصورة ، بينما تكون القراءة اتصالاً ساخناً ، إذ يكون النشاط الذهني واسعاً في فك مضمون الرسالة.

خاتمة

اتخذت هذه الدراسة النظرية منهج القيم في دراسة العلاقة بين الثقافة ووسائل الاتصال وأظهرت أنه يمكن دراسة هذه العلاقة انطلاقاً من منهج أولوية الثقافة على وسائل الاتصال . وبينت الدراسة أن هناك جاذبية بين الثقافة ووسائل الاتصال على اعتبار أن الثقافة تمثل العالم المعاش بينما تمثل وسائل الاتصال العالم الرمزي. وأظهرت الدراسة أن انتقال الثقافة إلى وسائل الاتصال عملية بنيوية تتولد عن تأثيرات إيجابية تارة وسلبية تارة أخرى وفق المنظور المعياري الذي استخدمناه والقائم على الربط الملازم بين محتويات وسائل الاتصال والقيم. وقد وظفنا بعض النظريات الإعلامية في تفسير بعض هذه التأثيرات من دون الإخلال بالمنهج المستخدم في هذا العرض. وأوضحت هذه الدراسة أن محتويات وسائل الاتصال تحمل ما يسميه البنيويون بالتضاد الثنائي. فهذه الأخيرة يمكن أن ترتبط بنظام من القيم فيكون التأثير إيجابياً أو عكس ذلك □

---

(٢٦) لمزيد من التفصيل عن أولوية السمع على البصر، انظر: عبد الرحمن عزي: «الإعلام والبعد الثقافي: من القيمي إلى المرئي،» **التجديد**، العدد ١ (١٩٩٧)، ص ١٢٥-١٤٥، و«قراءة ابستمولوجية في تكنولوجيا الاتصال،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٣، العدد ٢٥٨ (آب/أغسطس ٢٠٠٠).

الآثار السياسية ـ الاجتماعية للحرب ضد العراق على العراق وعلى المنطقة العربية

هاني فارس

باحث وأستاذ للعلوم السياسية في معهد البحوث الآسيوية، جامعة بريتيش كولومبيا ـ كندا.

كان أحد النتائج الأولية للحرب الأمريكية الأخيرة على العراق انهيار النظام العراقي، وكذلك انهيار النظام الاقليمي العربي. وفي ما يتعلق بالأول كانت حالة تدمير لنظام حاكم على أحسن ما يكون التدمير، وليس مجرد تغيير النظام الحاكم. لقد قامت الحرب أكثر ما قامت بدور ثقب أسود سماوي، ابتلع عناصر الحكومة العراقية إلى النسيان ولم يترك في أثرها إلا فراغاً هائلاً. وبنهاية العمليات العسكرية يوم ٩ نيسان/أبريل كانت سلطة العراق المركزية قد اختفت وسيادتها قد زالت. وبعد وقت قصير في أعقاب ذلك كانت مؤسساتها الوطنية قد تقوضت(١). أما في ما يتعلق بالآخر، أي النظام الإقليمي العربي، فإن الحرب الأخيرة كانت في جوهرها بمثابة رصاصة الرحمة التي أرقدت نهائياً نظاماً إقليمياً عربياً كانت حرب الخليج السابقة في عام ١٩٩١ قد أصابته بعطب بليغ. وإذاً، فعلى الصعيدين الوطني والإقليمي كانت للحرب ولا تزال آثار بعيدة المدى. ويأمل هذا العرض أن يُبرز مسائل حيوية قليلة تواجه العراق والمنطقة العربية كنتيجة للحرب.

ـ ١ ـ

شأنه شأن الطبيعة، يبغض المجتمع الفراغ. وفي عراق ما بعد الحرب هناك عمليات

(*) في الأصل، محاضرات ألقيت في ورشة العمل عن العراق والمنطقة بعد الحرب تحت عنوان «مسائل إعادة الإعمار الاقتصادي والاجتماعي»، التي عقدت في بيروت، في ٩ ـ ١١ تموز/يوليو ٢٠٠٣، برعاية لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا).

(١) في الأيام التي أعقبت سقوط بغداد نهب ودمر ١٥٨ مبنى حكومياً في العاصمة العراقية وحدها.

جارية سعياً إلى ملء الفراغ، وسيحدد تطورها كيف يتطور الموقف في العراق. وفي هذا الصدد فإن العمليات التالية تسير:

أولاً: ربما يكون التطور السياسي – الاجتماعي الأكثر دراماتيكية في فترة ما بعد الحرب هو ظهور رجال الدين الشيعة والجماعات الدينية الشيعية كمنافسين رئيسيين على السلطة. لقد أظهروا قدرة على التنظيم والقيادة وإعلان المطالب نيابة عن جماعتهم إلى حد فاجأ سلطات الاحتلال[٢]. وكان بول وولفويتس قد أعلن قبيل الحرب «إن العراقيين علمانيون وفي أغلبيتهم الساحقة من الشيعة، وهم يختلفون عن الوهابيين في شبه الجزيرة (العربية). إنهم حلفاء أفضل من السعوديين». ومن الواضح أن وولفويتس لم يفهم شيعة العراق، وربما يكون قد اختلط الأمر عليه بفعل مطلبهم الكاسح بإنهاء مبكر للاحتلال. ولا يعني هذا ضمناً أن شيعة العراق كتلة موحدة. فهم منقسمون إلى حضريين وريفيين، متوطنين وقبليين، أغنياء وفقراء، وهناك انقسامات كثيرة بين زعمائهم الدينيين و الدنيويين. وعند هذا الحد يثير نشاط الزعماء الدينيين الشيعة والحركات الدينية التساؤلات التالية:

١ ـ إذا كان بعض الزعماء الأساسيين والحركات الأساسية يرفضون اللعب وفقاً للقواعد الأمريكية بشأن حكم العراق، هل يمكن إقامة حكومة تمثيلية وفعالة[٣]؟

٢ ـ هل ستشرع الزعامة الدينية الشيعية في تنفيذ جدول أعمال شيعي بحت وتصبح مشغولة بكسب السلطة، أم أنها ستقيم اتصالاً مع أقرانها السنة وتسعى لبناء جبهة وطنية لإنهاء الاحتلال؟ لقد ظهر كل من هذين الحافزين.

٣ ـ إلى أي مدى سيبقى الشيعة متحدين، نظراً لما يعرفونه من أن الأمريكيين والبريطانيين يمكن أن يلجأوا إلى سياسات فرق تسد، على النحو الذي دعا مارتن إنديك[*] بالفعل الإدارة (الأمريكية) لأن تفعله[٤]؟

---

(٢) انظر: Glenn Kessler and Dana Priest, «Iraqi Shiite Strength Surprises U. S.,» *Washington Post*, 23/4/2003.

(٣) يُلقي التساؤل عن سلطة الأمريكيين في إقامة سلطة انتقالية من جانب آية الله علي السيستاني ومقتدى الصدر ـ وهو رجل دين من عشيرة لها زعامة في النجف، ظلالاً من الشك على فاعلية وشرعية مثل هذا المجلس حتى قبل أن يقام.

(*) مارتن إينديك (Martin Indyk) سياسي ودبلوماسي أمريكي سابق، شغل مناصبي سفير لدى إسرائيل ولدى سوريا وكان مسؤول الشرق الأوسط في جهاز مجلس الأمن القومي (في عهد كلينتون). وكان ـ قبل ذلك ـ قد أسس وأدار «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى» المعروف بتأييده للسياسة الإسرائيلية. ويشغل في الوقت الحاضر منصب مدير «مركز صبّان» لبحوث الشرق الأوسط التابع لمؤسسة «بروكنغز» في واشنطن (المحرر).

(٤) هناك علامات متزايدة على انشقاق بين زعامتي عشيرتي الصدر والحكيم واتباعهما.

٤ ـ هل سيلعبون الدور ذاته إزاء قوات الاحتلال الذي لعبه نظراؤهم في لبنان إزاء الإسرائيليين في الفترة التي امتدت من عام ١٩٨٢ إلى عام ١٩٩٩، إذا ما أصبحوا مقتنعين بأن الولايات المتحدة تعتزم إحباط تحركهم نحو التمكن من السلطة[٥]؟

٥ ـ أخيراً، هل سينظرون ـ عن رغبة منهم أو لأن الظروف ستجبرهم ـ نحو إيران طلباً لدعم وزعامة، أم أنهم سيوسعون نطاق شعبيتهم ليشمل مجتمعات عربية أخرى؟

ثانياً: ثمة تطور سياسي ـ اجتماعي رئيس آخر هو تعزيز قوة البنى الاجتماعية التقليدية، وبخاصة العشيرة، والأسرة الواسعة والرابطة الدينية المحلية. فمع تفكك السلطة المركزية تقدمت هذه البنى للأمام لتقدم حماية وتطلب اعترافاً وسلطات بالمقابل.

ربما يكون التطور السياسي - الاجتماعي الأكثر دراماتيكية في فترة ما بعد الحرب هو ظهور رجال الدين الشيعة والجماعات الدينية الشيعية كمنافسين رئيسيين على السلطة. لقد أظهروا قدرة على التنظيم والقيادة وإعلان المطالب نيابة عن جماعتهم إلى حد فاجأ سلطات الاحتلال.

إن العشيرة تشكل للمجتمع عدة تحديات محددة. فهي لا تدعم قيماً تقليدية وقطرية فقط، إنما تتنافس مع السلطة المركزية على مسائل الهوية والولاء وممارسة السلطة السياسية. والعشيرة ـ في السياق العراقي ـ هي مسألة مثيرة للانشغال حيث يقدر أن ربع المجتمع منظم على نحو قبلي[٦].

إن عملية العشرنة (اضفاء الطابع العشائري) التي كانت قد أُضعفت بدرجة كبيرة بعد (ثورة) عام ١٩٥٨ كانت قد ازدهرت في المنطقة الكردية بشمال العراق بعد عام ١٩٩٢، وأصبحت مقبولة في كافة المناطق الأخرى من قبل نظام حاكم كان بحاجة يائسة إلى توسيع القاعدة الشعبية لتأييده بعد حرب عام ١٩٩١ الماحقة. مع ذلك فإن النظام الحاكم، الذي كان قد أمد رؤساء العشائر بامتيازات ومزايا، قد أبقاهم خارج الدائرة الضيقة للسلطة. وتستخدم سلطة الاحتلال في الوقت الحاضر رؤساء العشائر لإدارة بعض المدن العراقية الكبيرة. وهي أيضاً تضيف أعداداً منهم إلى الهيئات المحلية والوطنية التي أنشئت لمساعدتها في إدارة البلد، ولإقامة السلطة الانتقالية. ومؤخراً شرعت في تأسيس تشكيل عسكري جديد سيستمد أعضاءه بصفة

---

(٥) على الرغم من أن ظروف الجماعات الشيعية اللبنانية والعراقية مختلفة بصورة ليست محل تساؤل، فإن هذا التحليل يفترض أن الاحتلال الأجنبي يؤدي إلى بعض التجارب المشتركة التي يمكن أن تسفر عن ردود مماثلة.

(٦) انظر: رضوان السيد، «الصراع على مستقبل العراق: الحوزة الدينية والعشائر والاجتماع المدني والسياسي،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٦، العدد ٢٩٢ (حزيران/يونيو ٢٠٠٣)، ص ١٣٣.

استثنائية من الصفوف العشائرية. ويثير هذا الأمر التساؤل التالي: أي أثر سيكون لتعزيز قوة البنى التقليدية على احتمالات إقامة نظام سياسي حديث وليبرالي وديمقراطي؟

ثالثاً: كان لا بد لانهيار النظام الشمولي السابق أن يوفر للعراقيين ـ بعد عقود من القمع والعنف ـ تحدي فرصة إعادة بناء مجتمعهم المدني وإصلاح أنظمتهم الاقتصادية والسياسية. وقد احتكرت الإدارة الأمريكية في العراق حتى الآن هذه المهام المضنية نفسها على الرغم من أنها تفتقر إلى الاستعداد للقيام بأي منها. وفي هذا الصدد تحتاج المسائل التالية إلى نظر:

تستخدم سلطة الاحتلال في الوقت الحاضر رؤساء العشائر لإدارة بعض المدن العراقية الكبيرة. وهي أيضاً تضيف أعداداً منهم إلى الهيئات المحلية والوطنية التي أنشئت لمساعدتها في إدارة البلد، ولإقامة السلطة الانتقالية. ومؤخراً شرعت في تأسيس تشكيل عسكري جديد سيستمد أعضاءه بصفة استثنائية من الصفوف العشائرية.

١ ـ أن معظم العراقيين إما يرفضون صراحة وجود الأمريكيين والبريطانيين في بلدهم، أو يتوقعون لقوات هذين البلدين ومديريهم بقاء قصيراً. وفي مثل هذه الظروف سيكون أي نظام لحكم العراق تفرضه أو تدعمه سلطات الاحتلال موضع شك ويفتقر إلى الشرعية[٧].

٢ ـ وشأن أي احتلال،لا تستطيع الولايات المتحدة أن تحكم البلد بصورة مباشرة، إنما يتعين أن يكون لها وسيط أو محاور للتعامل مع السكان. وتواجه الولايات المتحدة مأزقاً. فالجماعات المهاجرة التي عادت مع القوات الأمريكية من بلدان غربية، والتي دعمتها الولايات المتحدة على مدى سنوات، تفتقر إلى أي أتباع ذوي شعبية. كذلك فليس لها مؤيدون إقليميون. ولا تشكل هذه الجماعات مجموعة حاكمة قادرة على البقاء، والأمريكيون يتعلمون الآن هذا بثمن باهظ. مع ذلك فإنه إذا أشركت الولايات المتحدة زعماء أقوياء وذوي شعبية، فإن هؤلاء الزعماء لن يسيروا على جدول أعمال أمريكي لوقت طويل، خشية أن يفقدوا قاعدة تأييدهم الشعبية. والتأخر في تأسيس سلطة انتقالية ناشئ عن هذا المأزق[٨].

٣ ـ إن الهدف المعلن للولايات المتحدة هو بناء ديمقراطية ليبرالية تقوم على تمثيل

---

(٧) كان قد نقل عن مقتدى الصدر قوله «سيرفض الشيعة أية حكومة يأتي بها الأمريكيون، وأي زعماء وأي دولة. إن الثورة كامنة في قلوبهم».

(٨) انظر طبيعة المأزق الذي يواجهه الأمريكيون ومؤيدوهم العراقيون وكذلك خصومهم في: علاء اللامي، «مأزق مركب يشمل جميع الأطراف،» الآداب (أيار/مايو-حزيران/يونيو ٢٠٠٣)، ص ٥٩-٦٢.

فردي كان قد تم قبل الحرب ربما لن ينفذ أبداً على الأرجح. بدلاً من هذا يبدو المسؤولون الأمريكيون يتحركون باتجاه إقامة نظام طائفي؛ مماثل في بعض جوانبه للنظام الطائفي اللبناني. وتستخدم المخاوف الكردية وحجم الجماعة الشيعية كذريعة لتبرير تطور كهذا. وسيكون من سوء الطالع أن يتحرك العراق في هذا الاتجاه[٩]، إذ تبرهن التجربة اللبنانية على أن نظاماً طائفياً إنما يقاوم الإصلاح ما أن يؤسس، ويدعم التقسيمات والقيم الطائفية. وبعبارة أخرى فإنه يدعم الانقسامات للإبقاء على ذاته. والنظرة الساكنة (الستاتيكية) إلى المجتمع ـ التي تبرر تأسيس نظام طائفي وتفترض أن العراق مؤلف من ثلاث جماعات متميزة ولا رابط بينها، هي نظرة لا مبرر لها في حالة العراق[١٠].

٤ ـ في تاريخ العراق الحديث جددت مؤسستان شخصية البلد ومصائره ـ الجيش وصناعة النفط الوطنية. وقد تحرك المديرون الأمريكيون لحل الأول وهم يدفعون الآن باتجاه خصخصة الأخير. وفي حينها فإن هاتين المسألتين تضعان البلد على مسار مواجهة مع الولايات المتحدة.

٥ ـ وأخيراً تحتاج إعادة بناء المجتمع المدني إلى أن تقوم على تعددية واستثنائية وثقة متبادلة. وسيؤدي حظر حزب البعث واستبعاد أعضائه الذين يعدون بمئات الآلاف من مواقع الخدمة المدنية والقوات المسلحة إلى تقويض جهود إعادة البناء. وبالإضافة إلى هذا فإن تاريخ العراق الحديث يشير إلى أنه ليس بالإمكان إخفاء جماعة سياسية من

---

(٩) للإطلاع على وجهات نظر مؤيدة لنظام طائفي مبني على «صيغة متفق عليها» حيث تتطور المؤسسات الدينية الطائفية والمؤسسات الاجتماعية الثقافية وحيث ستكون «الدولة الديمقراطية القائمة على تمثيل فردي» أمراً من أمور المستقبل، انظر: Yitzhak Nakash, «The Shi'ites and the Future of Iraq,» *Foreign Affairs* (July-August 2003), p. 23.

(١٠) ثمة مدرسة بين الباحثين في شؤون الشرق الأوسط تدعم وجهة النظر القائلة بأن المجتمعات العربية مؤلفة من جماعات عرقية و/أو طائفية يائسة تعيش في عزلة أو في صراع. وتناقش هذه النظرة في: حليم بركات، **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ١١٤-١٢٠. وإن وجود حريات وولاءات مبالغ فيها، وزيجات مختلطة ومشاريع مشتركة اقتصادية واجتماعية، وخبرات تاريخية مشتركة مستمدة من العيش معاً، إما ترفض أو يتم تجاهلها. وأنصار هذه النظرة العامة . اتفاقاً مع مقدماتهم . يذهبون أيضاً إلى أن العرب في العراق يحتفظون بقوميتين؛ فالسنة ينادون بالقومية العربية والشيعة بالقومية العراقية. وللإطلاع على أمثلة إيضاحية، انظر: Fouad Ajami, «Iraq and the Arabs' Future,» *Foreign Affairs* (January-February 2003), pp. 6-10, and Nakash, Ibid., p. 18.

وهذا الانفصال ذو دلالة تاريخية ملتبسة. فقد شارك الشيعة العراقيون في كل الأحزاب السياسية العراقية الرئيسة، بما فيها حزب البعث والحركة القومية العربية. وكان بين الشخصيات الشيعية المعروفة التي دافعت عن القومية العربية محمد مهدي كبة، محمد رضا الشبيبي، فؤاد الركابي، مؤسس البعث العراقي، سعدون حمادي، شمس الدين كاظم، أحمد الحابوبي، ناجي طالب، حازم جواد، طالب شبيب، يوسف الخرسان، غسان عطية، عبد الإله النصراوي، محمد المشاط، وكثيرون غيرهم.

الحلبة السياسية ودفعها إلى الانقراض، مهما كانت درجة العنف الذي يُستخدم ضدها[١١].

في تاريخ العراق الحديث جددت مؤسستان شخصية البلد ومصائره ـ الجيش وصناعة النفط الوطنية. وقد تحرك المديرون الأمريكيون لحل الأول، وهم يدفعون الآن باتجاه خصخصة الأخير.

يوحي الوصف السابق للآثار السياسية والاجتماعية للحرب على المجتمع العراقي والعملية الجارية في الوقت الحاضر بأن سلطات الاحتلال تواجه مأزقاً، مرشحاً للتصاعد. وبدلاً من هذا الجهد الأمريكي الفردي لإقامة نظام حاكم مفصل على أيدي الأمريكيين ويتعاطف مع مصالحهم، ثمة حاجة ماسة إلى عملية متعددة الأطراف وشفافة. ثمة حاجة لأن تتولى الأمم المتحدة دوراً قيادياً وأن تحتفظ بوجود كبير لها في العراق. وبدون مثل هذا الدور للأمم المتحدة لن تكون هناك شرعية لأية جهود ترمي إلى إصلاحات سياسية واقتصادية، وسيكون الاستقرار أبعد من أن يؤمَّن.

ـ ٢ ـ

لم تكن الحرب ماحقة للعراق فحسب، إنما كانت أيضاً ضارة بصورة خطرة للمنطقة العربية في أكثر من جانب. مؤخراً كتب توماس فريدمان، وهو معلق صحفي أمريكي شهير ومقروء وتُنقل مقتبسات عنه على نطاق واسع ـ يكتب في صحيفة **نيويورك تايمز** ـ قائلاً لقرائه أن السبب الحقيقي للحرب الأمريكية على العراق ناشئ من حاجة أمريكا بعد ١١ أيلول/سبتمبر إلى إرضاء نزوع إلى الانتقام بالضرب في قلب العالم العربي والإسلامي[١٢]. من هنا كان اختيار العراق. لقد فهم فريدمان ـ على صعيد ثقافي ـ أهمية العراق وشعبه للحرب. لقد كانت مشاهدة بغداد تحترق تجربة صادمة بدرجة عالية لمعظم العرب. وهذه تعادل الكيفية التي كان يمكن للغربيين أن يشعروا بها إزاء تدمير رموز حضرية مثل باريس أو روما أو فيينا. ألا يعني اسم بغداد مكاناً «منحه الله» وكانت موطناً لألف ليلة وليلة، وظلت لعدة قرون «مدينة لا نظير لها في العالم كله»[١٣]؟ ونحن لا نزال لا نعرف أية أفكار وأية أفعال تعتمل في الوقت الحاضر داخل المجتمعات العربية والإسلامية للرد على الحرب الأمريكية والبريطانية على العراق.

---

(١١) كان حزب البعث العراقي جزءاً مكملاً من المشهد السياسي للبلد منذ الحرب العالمية الثانية. وهو قابل للعودة للحياة، ما أن يتحرر من قبضة الزعامة الحالية.

(١٢) Thomas Friedman, «Because We Could,» *New York Times*, 4/6/2003, p. 31.

(١٣) Philip Hitti, *History of the Arabs* (New York: St. Martin's Press, 1981), p. 302.

كانت حرب عام ٢٠٠٣ ـ على الجانب الخاص بالعلاقات العربية ـ العربية والنظام الإقليمي ـ استمراراً وتعزيزاً وتصعيداً لآثار حرب عام ١٩٩١. ويوفر بيان عن عواقب حرب الخليج عام ١٩٩١ السياق الضروري لشرح آثار حرب عام ٢٠٠٣[١٤].

لقد تحدت حرب الخليج عام ١٩٩١ النظام الإقليمي العربي في جانبين مهمين. في **الأول**، تحدّت القواعد الأساسية التي كانت تنظم السلوك السياسي لنظام الدولة العربية الحديث منذ بدايته في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وفي الثاني تسببت في انقسامات لم يسبق لها مثيل بين البلدان العربية، وأدت إلى ظهور ائتلاف بين الأعضاء العرب في التحالف الذي قادته الولايات المتحدة ضد العراق. وقد حاول هذا الائتلاف ـ ولكنه فشل ـ القيام بالدور القيادي في نظام عربي جديد[١٥].

ولقد تطورت القواعد الأساسية بمرور الوقت. وبينما لم تكن مرعية فإنها نادراً ما واجهت تحدياً أو أظهرت تباهياً علنياً. بعضها سجل في اتفاقات ثنائية أو متعددة الأطراف، وبعضها الآخر كان مواثيق سياسية خُولت سلطة كافية بهدف فرض الالتزام بها. وقد سمحت هذه القواعد لنظم الحكم العربية المختلفة بأن تتعايش، وأتاحت مراعاتها قدراً من الاستقرار في العلاقات العربية ـ العربية.

كانت القاعدة الأولى قبول الدول العربية استقلال ووحدة أراضي كل منها. وقد جسدت جامعة الدول العربية هذه القاعدة وكانت مبنية على أساسها. وكان الأثر السياسي لهذه القاعدة هو أن تصون الخريطة السياسية التي أورثتها الدول الاستعمارية الأوروبية للوطن العربي. وتضافرت مصالح الاثنين للحفاظ على الواقع الراهن حيثما واجه تحدياً من جانب دولة عربية أو حركة سياسية.

قوّض الغزو والضم العراقي للكويت وجود النظام العربي ذاته. فقد رفضت كافة الدول العربية ـ بلا استثناء ـ زعم العراق بامتلاك الكويت وضمه لها. وبالمثل فإن كافة الدول العربية ـ بعد التمرد في جنوب العراق وشماله ـ دافعت عن الحفاظ على استقلال العراق ووحدة أراضيه.

وكانت القاعدة الثانية هي عدم جواز انضمام دول عربية إلى أحلاف مع دول أجنبية ضد دول عربية أخرى. وكان التعبير الأول عن هذه القاعدة هو معاهدة التعاون الدفاعي والاقتصادي المشترك التي وقعت في حزيران/يونيو ١٩٥٠. وقد دارت السياسات العربية المضطربة في عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين حول

---

(١٤) هذه الرواية مستمدة من دراسة للمؤلف بعنوان «النظام السياسي العربي بعد حرب الخليج» نشرت في: Ibrahim Ibrahim, ed., *The Gulf Crises: Background and Consequences* (Washington, DC: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1992), pp. 216-227.

(١٥) تشكل هذا الائتلاف من مصر وسوريا وبلدان مجلس التعاون الخليجي بقيادة العربية السعودية. وقد أعلن في ٦ آذار/مارس ١٩٩١ في «إعلان دمشق بشأن التنسيق والتعاون بين الدول العربية».

مسائل مثل وجود القواعد العسكرية الأجنبية، والتكتلات العسكرية بقيادات أجنبية، والمعاهدات العسكرية مع دول أجنبية، والجيوب الاستعمارية الأوروبية. وفي نهاية هذه الفترة، بلغت السياسات العربية ذروتها بإقامة قاعدة ثانية ـ بدأت الحكومات العربية مراعاتها في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين. وقد أطلق غزو العراق زناد أحداث قلبت العملية التي وضعناها. فقد أتاح الغزو خلق تحالف متعدد الأطراف – أجنبية وعربية – وأدخل قوات عسكرية غربية مجدداً في شبه الجزيرة العربية. وتسبب هذا في انقسامات حادة جداً في نظام الدولة العربي.

أما القاعدة الثالثة فكانت ربط أهداف عربية بجانبين رئيسين من المسألة الفلسطينية: محنة الفلسطينيين والنزعة التوسعية الإسرائيلية. لقد اعتبرت السياسات الإسرائيلية خطراً يهدد أمن ورفاهية الوطن العربي برمته. ونتيجة لهذا نشأت أربع نتائج طبيعية: (١) أن القضية الفلسطينية لا تقبل الانفصال عن الصراع العربي الإسرائيلي. (٢) لا يمكن لبلد عربي أن يتنازل عن حقوق فلسطينية عبر اتفاقات منفصلة مع إسرائيل. (٣) ينبغي أن تقوم العلاقات العربية مع بلدان غير عربية على أساس المواقف التي تتبناها البلدان بشأن مسألة الحقوق الفلسطينية. (٤) بعد مؤتمر الرباط عام ١٩٧٤ أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين. وقد اكتسبت هذه النتائج مستوى معيناً من القدسية في الدبلوماسية والسياسات العربية. وقد دفع منتهكوها أرواحهم ثمناً لتجاوزاتهم. وفي حرب الخليج تبنى العراق مقاربة انتهازية أضرّت بقضية الفلسطينيين. وبعد الحرب قبل عديد من البلدان العربية الفكرة الإسرائيلية ـ الأمريكية عن مؤتمر إقليمي ومفاوضات على مسارين، وتبني إجراءات لبناء الثقة تسبق التوصل إلى تسوية إسرائيلية فلسطينية. وقد انطوت هذه المقاربة ضمناً على فصل بين القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وباختصار فإنه من بين القواعد الثلاث التي عرّفت أقل المحددات المشتركة بين البلدان العربية، تركت القاعدة الأولى في حالة شلل، وأما الثانية والثالثة فقد علقتا وربما دفنتا.

وكان التطور الأهم بين حربي الخليج عام ١٩٩١ وعام ٢٠٠٣ هو قرار الولايات المتحدة بإقامة وجود عسكري ضخم في شبه الجزيرة (العربية) بصفة دائمة. وتدريجياً نسي السبب الأولي لإدخال قوات أجنبية، واعتبر الوجود الأمريكي وجوداً استعمارياً وتغلغلاً غربياً جديداً في المنطقة.

أدت الطريقة التي تعاملت بها الولايات المتحدة مع العراق في حقبة ما بعد حرب عام ١٩٩١ إلى رفع درجة حدة مشاعر العداء تجاه الغرب. واكتملت الدائرة، ففشلت عمليتا مدريد وأوسلو لتسوية الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني في الخروج بنتيجة ذات مغزى. زعزعت هذه التطورات استقرار المنطقة، مما أدى بالحكومات العربية إلى زيادة جهودها لقمع المنشقين وطلب الحماية وأمن النظام الحاكم من دول أجنبية. وخلق هذا دائرة شريرة أنتجت ظواهر من نوع (تنظيم) القاعدة وأدت إلى كارثة ٩/١١ المأساوية.

لقد أتاحت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ـ أكثر من أي شيء آخر ـ لعصبة من المحافظين الجدد الذين تولوا مواقع رئيسة للسلطة في إدارة بوش أن تأخذ الولايات المتحدة للسير على مسار جديد في المضمار الدولي. وقد حذر الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر من هذه العصبة في مقالة له نشرت في صحيفة **واشنطن بوست**، وكتب: «يبدو أن مقاربات جديدة تتطور من مجموعة محورية من المحافظين الذين يحاولون أن يحققوا طموحات طال انتظارهم لها تحت غطاء الحرب المعلنة ضد الإرهاب»(١٦). لكن مثل هذه التحذيرات أخفقت في ثني الإدارة عن شن حربها على العراق، والتي بدا أنها كانت قد تقررت بالفعل. وخلافاً لحرب عام ١٩٩١ ـ التي شنت للحفاظ على الوضع الراهن ـ فإن هذه الحرب الأخيرة شنت لتغيير الوضع الراهن. وفي هذه العملية دمرت قاعدة السلوك الوحيدة في النظام الاقليمي العربي التي كانت قد نجت من حرب الخليج عام ١٩٩١.

ليس من الممكن تحليل ما ستكون عليه الآثار الاقليمية لهذه الحرب بأي قدر من اليقين. والسبب الرئيس وراء عدم اليقين هذا هو أننا لا نزال لا نعرف ما هي الأهداف الحقيقية للولايات المتحدة.

والآن لقد انتهت الحرب. وتقف الولايات المتحدة في موضع السيد على العراق. وعند هذا المفصل ليس من الممكن تحليل ما ستكون عليه الآثار الاقليمية لهذه الحرب بأي قدر من اليقين. والسبب الرئيس وراء عدم اليقين هذا هو أننا لا نزال لا نعرف ما هي الأهداف الحقيقية للولايات المتحدة، على النقيض من أهدافها المعلنة. هل ترتبط هذه الأهداف باكتساب امبراطورية والمضي في هذا الشأن في حالة من الإنكار العميق للواقع؟ هل خرجت الولايات المتحدة في حملة صليبية لتغيير خريطة المنطقة وخلق شرق أوسط مستقبلي يرى «أمريكا تصعد، وإيران تهبط والعراق يسقط»؟ هل هدف الولايات المتحدة هو الهيمنة الكلية على نفط الخليج؟ ألم يكتب مهندسو «المشروع من أجل قرن أمريكي جديد» في رسالتهم التي تحمل تاريخ ٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩٩٨ إلى الرئيس كلينتون أن صدام يعرض للأخطار قسماً كبيراً من امدادات العالم النفطية وأن الإطاحة به وبنظامه الحاكم من السلطة تحتاج لأن تصبح هدف السياسة الخارجية الأمريكية؟ ألم يزعموا أن أمن العالم في الجزء الأول من القرن الحادي والعشرين سيتحدد بدرجة كبيرة بنجاح هذا المشروع؟ أم أن الحرب الأمريكية على العراق شنت خدمة لحليف إقليمي، أي لإسرائيل؟ هل هذا ما عناه بول وولفويتس حينما قال «إن العراق ليس يعني العراق فحسب»؟ أم ـ أخيراً ـ أن الولايات المتحدة حركتها قيم أعلى لتحرير العراقيين من الطغيان وإدخال الديمقراطية؟

---

(١٦) *Washington Post*, 5/9/2002.

لو كان بإمكان المرء أن يبصر الهدف المتبقي (أو الأهداف) من وراء الحرب سيوحي هذا بدوره بطول المدة التي تعتزم الولايات المتحدة أن تبقى فيها، وأية إجراءات ستتخذ في العراق وأي شكل من أشكال الوجود ستتخذ. فهذه هي المسائل التي ستحدد الآثار الطويلة الأمد الاقتصادية ـ الاجتماعية والسياسية للحرب على المنطقة وكيف سيستجيب اللاعبون الإقليميون لها.

إن النظريات المبنية على أساس القيمة لا تساعد في تفسير سلوك الدول الكبرى، وبالأخص الدول العظمى. إن الولايات المتحدة ليست طرفاً في الأعمال الخيرية وليست دولة تبشيرية. إنها لا تنفق حياتها وثرواتها لإدخال نظام سياسي جديد على مجتمع يقع على بعد قارات منها. فاعتبارات المصلحة القومية، حقيقية كانت أو متصورة، توفر مفتاح فهم السلوك السياسي. وتبعاً لذلك فإنني أستبعد الزعم القائل بأن الولايات المتحدة قد شنت الحرب على العراق لتجلب الديمقراطية إلى شعبه.

بالإضافة إلى هذا فإن هندسة مجتمع ما مهمة صعبة، حتى على دولة عظمى. وهندسة منطقة بأسرها حماقة وتؤدي إلى صراع دائم. ولا يبدو أنها توفر تفسيراً ملائماً للسلوك الأمريكي. ويتركنا هذا مع التفسير العقلاني الوحيد: إن الولايات المتحدة مدفوعة بأولويتين ـ النفط وإسرائيل. فإذا كان الحال كذلك ينتج ما يلي:

١ ـ ستبقى الولايات المتحدة في العراق لفترة طويلة، طويلة قادمة. فإذا ما نجحت في إقامة نظام حكم مستقر وصديق لها، سيكون وجودها سياسياً من ناحية أولية. أما إذا لم تنجح في هذا فستحتفظ بوجود عسكري في العراق لتأمين مصالحها.

٢ ـ إذا فشلت الولايات المتحدة فإنها ستفتح الباب لأعمال المقاومة. وتصبح إيران ـ بصفة خاصة ـ وسوريا على سبيل الاحتمال، معرضتين للتورط إذا تطور وضع من هذا القبيل. فهما إما ستخطوان للداخل طوعياً، أو ستستدرجان إلى التدخل.

٣ ـ لقد وضع مهندسو هذه الحرب حساباتهم على أساس أن المركز التفاوضي للفلسطينيين ومؤيديهم العرب سيضعف بدرجة كبيرة بفعل تدمير النظام الحاكم العراقي واستبداله. وسيكونون مستعدين في مفاوضات المستقبل للتسليم بقدر كبير من حقوقهم التاريخية والتراجع عن مواقعهم السابقة. وإذا حكمنا على أساس تاريخ الصراع فإن مثل هذه الرؤية قصيرة النظر. ذلك أنه إذا لم تلب تسوية ما الحد الأدنى من المطالب الفلسطينية، سترفض وستعرض استقرار المنطقة لمزيد من الهزات.

٤ ـ نحن نشهد بالفعل تجليات عدم استقرار في عدد من بلدان المنطقة. والمشاعر معرضة لمزيد من الاشتعال إذا تبين أن الوجود العسكري الأمريكي في العراق هو وجود طويل الأجل.

إن الوجود العسكري الأمريكي في العراق هو وجود طويل الأجل.و في الوقت نفسه فإن النظام الإقليمي العربي قد تداعى، ولم تبق قواعد لتوجيه سلوك الدولة العربية، والبنى والبرامج والسياسات من أجل عمل عربي مشترك هي من أمور الماضي.

ثمة قول مأثور يقول: «تتماسكون معاً أو تشنقون منفصلين». ونظم الحكم ليست متماسكة معاً. سلبيتها ورضاها الذاتي اللذان طال أمدها يسمحان لغير العرب بأن يشكلوا المستقبل العربي[١٧] □

صدر حديثاً

القدس: أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ

تحرير: د. توماس تومبسون

بالتعاون مع: د. سلمى الخضراء الجيوسي

إن هذا الكتاب قيمة علمية فريدة في مجال الأبحاث المختصة في موضوع القدس - أورشليم، وهو محاولة علمية لإماطة اللثام عن الأيديولوجيا مقابل الوقائع. وهو يعالج موضوعاً بالغ الأهمية لا ينحصر في كتابة تاريخ صحيح لأورشليم، وإنما يتعدى ذلك إلى النظر في تلك المرويّات التوراتية التي لا تقدم تاريخاً بقدر ما تقدم أدباً دينياً. ذلك أن القصة التوراتية عن أورشليم حافلة بالأمثال والعبر، لأنها تمتّ إلى مجال اللاهوت قبل مجال التاريخ. وقد جاء في مقدمة الكتاب التي كتبها المحرر: «ورد الاسم «إسرائيل» لأول مرة في نصب الفرعون مرنفتاح الشهير، نحو أواخر القرن الثالث عشر. وعلى الرغم من أن الاسم في الهيروغليفية قد أُلحقت به الإشارة الدالة على شعب، إلا أنه لا يدل على جماعة إثنية معينة بين الجماعات الإثنية الفلسطينية الأخرى. إن المثير للاهتمام فعلاً أن نص مرنفتاح قد أعطانا أول استخدام مبكر لاسم السلف «إسرائيل» باعتباره مجازاً أدبياً يشير إلى السلف الأول للشعب الفلسطيني».

٣٨١ صفحة

الثمن: ١٢ دولاراً

أو ما يعادلها

(١٧) للإطلاع على دراسة كتبت قبل الحرب وتقدم تحليلاً على درجة عالية من الفهم للأحوال الاقتصادية والعلاقات العربية ـ العربية ومخططات الدول الأجنبية بشأن المنطقة، انظر: Vahan Zanoyan, *Time for Making Historic Decisions in the Middle East* (Kuwait: Center for Strategic and Future Studies at Kuwait University, 2002).

إعادة بناء العراق
استراتيجيات التنمية في ظروف الأزمات

عاطف قبرصي

قسم الاقتصاد، جامعة ماك ماستر ـ كندا.

علي قادري

قسم التحليل الاقتصادي، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا.

مقدمة

إن أي استراتيجية هي في النهاية سلسلة متعاقبة منسقة من الخيارات والأفعال. ويمكن أن تنظم هذه السلسلة المتعاقبة وفقاً للوقت والمجال وأصحاب الأدوار. واذا كانت الاستراتيجية قد مزقتها الأزمات فهي تنظم بالضرورة وفقاً للوقت والأفعال الملحة. واليوم، فإن أي استراتيجية محددة لأجل العراق يفرضها إطار زمني ضيق وسلسلة متعاقبة من خطوات متصلة تحدد أسلوبها ظروف الأزمة. وهي أيضاً ـ وبالضرورة ـ استراتيجية ذات توجه إنمائي. مع ذلك فثمة تناقضات كامنة بين التنمية ـ وهي عملية طويلة الأجل – وإدارة الأزمة، وهي بصفة أولية تتركز على الأجل القصير. وربما يكون الأكثر خطورة من هذا تناقض أهداف التنمية مع الاحتلال. فإذا كانت استراتيجية ما سلسلة متعاقبة مرتبة، يكون من الأمور الحاسمة أن تثار تساؤلات بشأن من سينظم هذه السلسلة المتعاقبة ولمصلحة من سيكون هذا التنظيم؟

بإيجاز، فإن المسائل الحقيقية هي تلك المتعلقة باختيار استراتيجية للتنمية في ظل أزمة، حيث تتعلق التنمية بإطلاق الإمكانيات البشرية وتوسيع خيارات الناس. ويرادف هذا في الوقت الحاضر ما يصفه أمارتيا سين (Amartya Sen) بعبارة «التنمية هي حرية».[1] إذ تعرف الحرية بمعنى واسع بحيث تشمل الحرية من الجوع، ومن القهر، ومن كل ما يقف عقبة في طريق مشاركة الناس مشاركة تامة بلا عوائق في تشكيل مستقبلهم.

(١) Amartya Sen, *Development as Freedom* (New York: Oxford University Press, 1999).

وتتطلب استراتيجية التنمية بالضرورة إزالة تدريجية للاحتلال؛ فهي ببساطة لا تستطيع أن تتعايش معه، فأحدهما ينفي الآخر ما لم تنسق بين الاثنين عملية استعاضة سلبية وتراكمية.

والأمر المؤكد أن اختيار استراتيجية التنمية الملائمة ليس شأناً مستقلاً عن الرؤية الكلية لمستقبل الاقتصاد والمجتمع والسياق الذي يحدد الأسوار الخارجية، والذي يحصر داخلها الاستراتيجية التي ستوضَّح تفصيلاتها. إن من الضروري البدء بتقدير سليم للحدود والقوى التي تشكل الحاضر والميراث الكامل للماضي من دون فقدان البصيرة بالأهداف الطويلة الأجل للتنمية. ويشكّل هذا المنظور وتلك المجموعة من القيود الأسس المتصلة بها التي تتيح إدارة الأزمة والسعي إلى أهداف التنمية في آن واحد.

داخل إطار هذا المنظور ربما يكون إعادة إعمار العراق منظوراً خاطئاً، ويمكن حتى أن يكون استراتيجية في غير موضوعها. فالمسائل أعقد بكثير من مجرد تنظيم وتمويل برنامج إنشائي ضخم وإشراك مؤسسة دولية عملاقة للإنشاءات. المسائل الحقيقية تتعلق بالأحرى بإعادة بناء اقتصاد ومجتمع وحكومة جميعها مدمرة في آن واحد وبصورة تراكمية وبلا تأخير.

كذلك، فإن من قبيل الافتراض المغلوط أن نعتقد أن الاقتصاد العراقي أو المجتمع العراقي مجموعة آليات (ميكانيزمات) أو مجموع تجهيزات ميكانيكية، كل ما تمس الحاجة اليه داخل إطار هذا المنظور المغلوط للبدء من جديد في الاقتصاد وفي إعادة هيكلة المجتمع هو استبدال قطع قليلة بقطع جديدة، وتغيير جهاز تحريك واحد بآخر حيثما يكون من الممكن شراء هذه القطع من بيان تجاري موجود.

أما من منظور أكثر ملاءمة، فينظر إلى الاقتصاد والمجتمع ككائنين عضويين حيين أكثر منهما مجرد آلية. ويتطلب قتل الكائن العضوي القديم خلق كائن عضوي جديد له أنساقه المتماسكة والمتكاملة والقادر على البقاء حياً في بيئة العراق وقيمه ومواهبه الطبيعية. وهو أيضاً كائن عضوي يتعين أن يكون قادراً على أن ينمو وأن يراكم قوة داخل فضائه الحر الذي سيوفره له البدء بالتنمية. مع ذلك سيتوقف هذا كله على عملية الميلاد والساعات والأيام القليلة الحرجة لهذا الميلاد. فسوف تصوغ المستقبل ساعاتُ الأزمة الحرجة المبكرة والخطوات الملحة والإجراءات الفورية، وستحدد النتيجة بغض النظر عن الأهداف السامية والنيات النبيلة.

ومن قبيل منظور مغلوط بالمثل الافتراض بأن الاستراتيجية الرامية إلى إعادة بناء العراق يمكن تحديد تفصيلاتها من دون رجوع لازم إلى السياق الإقليمي الذي ستظهر فيه التطورات العراقية. فالاقتصاد العراقي يرتبط على نطاق واسع بالاقتصاد الإقليمي من خلال التجارة والمصادر والاستثمار وحركة العمال. وليس من المتصور أن يُعتقد أن

إعادة بناء العراق تتم من دون تحديد لنوع الرابطة التي سيحتفظ بها مع البلدان المجاورة، وخلق الحوافز الضرورية لهؤلاء الجيران لدعم انتعاش وإعادة إعمار عراقيين مستقرين، وأن يكون لهذه البلدان المجاورة مصلحة معقولة في بروزه مجدداً كمجتمع وكاقتصاد قادر على البقاء. وفي حين أن الصادرات العراقية ـ في الحقيقة ـ يغلب عليها النفط وأن هذا النفط يباع أساساً لبلدان صناعية، فإن شبكة العلاقات الاقتصادية التي شكلها التاريخ والجغرافيا وأفرختها العقوبات بين العراق والأردن، والعراق وسوريا، والعراق وتركيا، والعراق وبعض دول الخليج، هي علاقات معقدة وعميقة وواسعة ولا يمكن تجاهلها أو التهوين من قدرها. كذلك ليس من المتصور رؤية العراق يسعى لاستراتيجية تنمية تتناقض مع، وتحل محل، الخيارات المجاورة من دون أن تكون لهذا عواقبه. إن إعادة بناء العراق تنطوي على إعادة بناء للنظام الذي في إطاره ستتفاعل المنطقة وتعيش في سلام.

> لا بديل من القانون و النظام لتوظيف صحي للاقتصاد وللنظام الاجتماعي وليس المقصود نظاما فظاً قاسياً تفرضه قوى داخلية أو خارجية. الأحرى أنه نظام يعكس مشاركة و قبولاً تامين من العراقيين كجزء من عقد اجتماعي جديد وحكومة ديمقراطية فاعلة.

أولاً: الخطوات المبكرة

إن التنسيق في غضون إطار زمني ضيق يعني أنه من الضروري أن يأتي المهم أولاً. فلا يمكن أن يكون هناك بديل من البدء بإقامة القانون والنظام. إنه العمل الأول الذي منه وعليه يمكن أن تقوم الخيارات الأخرى.

فلا بديل من القانون والنظام لتوظيف صحي للاقتصاد وللنظام الاجتماعي. وليس باستطاعة اقتصاد أو مجتمع أن يعمل وينمو في غيابهما. وليس المقصود نظاماً فظاً قاسياً تفرضه قوى داخلية أو خارجية. الأحرى أنه نظام يعكس مشاركة وقبولاً تامين من العراقيين كجزء من عقد اجتماعي جديد وحكومة ديمقراطية فاعلة. ذلك أنه من دون المشاركة التامة من العراقيين في هذا النظام سيفقد هذا النظام شرعيته. والتوفيق بين قبول العراقيين والاحتلال ليس أمراً بسيطاً وليس بكل المعاني ذا طبيعة متناقضة. وعلى المحك هنا النص على بند بشأن غروب الاحتلال والتحديد الدقيق لفترة انتهائه. فعندئذ يمكن اعتبار أن المشاركة التامة من قبل العراقيين جزء من تسلم الأمور من المحتلين وليس تواطؤاً معهم.

مع ذلك، لا يمكن تعزيز القانون والنظام من دون إجراءات اقتصادية قوية وصحيحة تعالج الأعطال والصعوبات والاختلالات الاقتصادية الفورية. ولما كان الحال

كذلك، فإن برنامجاً اقتصادياً محدداً تحديداً جيداً وإجراءات اقتصادية بعينها تصبح ضرورية.

١ ـ الإجراءات الاقتصادية

تدعو هذه الإجراءات إلى برنامج دقيق ومفصل وإلى أفعال فورية ذات محصلات علنية وجوهرية. وهي تنطوي على اختيارات حاسمة تتطلب تمويلاً سخياً. وسنجازف بالدخول في بعض أكثر السمات بروزاً لهذا البرنامج، وهذه تتضمن:

أ ـ إقامة مرتكز مالي

إقامة صندوق كاف لتحقيق الاستقرار لمساندة مرتكز مالي مستقر (أي دينار عراقي مستقر) لتدعيم أسس كل التحويلات الفورية والمستقبلية. ويتعين أن تأتي مصادر هذا الصندوق فوراً من الجماعة الدولية والمؤسسات الدولية، خاصة صندوق النقد الدولي وصندوق النقد العربي والمصادر النفطية الكاملة التي يمكن للعراق أن يعلنها ـ بصفة رمزية ـ بمثابة غطاء للدينار. لقد أعلنت ألمانيا في وقت ما ـ في عام ١٩٢٣ ـ أن كافة المصادر لديها تغطي المارك الألماني بعد فترة التضخم المفرط. وقد أفاد هذا الإعلان الرمزي ألمانيا فائدة كبيرة وهناك مبررات مشروعة بالتأكيد لأن يحدث الأمر نفسه في العراق(٢).

إن القيمة الفعلية في الوقت الحاضر للاحتياطيات النفطية العراقية الثابتة تقدر بـ ١١٢ مليار برميل، ومن شأن هذا الاحتياطي أن تزيد قيمته ـ إذا حدد سعر البرميل الواحد بـ ٢٠ دولاراً أمريكياً ـ على ٢,٢ تريليون دولار (أي ٢٢٠٠ مليار دولار). وهناك تقديرات تحدد الحجم الرسمي للاحتياطيات النفطية العراقية بما يحتمل أن يكون له ضعف هذه القيمة(٣). ويمكن لصندوق تحقيق الاستقرار هذا ـ إذا ما أجاد العمل وبسرعة ـ أن يساعد في إزالة التضخم دون اللجوء إلى معدلات فائدة عالية، الأمر الذي غالباً ما أدى إلى إفشال الانتعاش الاقتصادي. كذلك فإن بإمكانه أن يخلق البيئة الاقتصادية الكبرى لاجتذاب الاستثمار الأجنبي ولإعادة المدخرات العراقية في الخارج إلى الوطن. وتجربة

---

(٢) David Hackett Fischer, *The Great Wave: Price Revolutions and the Rhythm of History* (New York: Oxford University Press, 1996), pp. 192 - 193; Paul Kennedy, *The Rise and Fall of the Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000* (London: Unwin, 1989), pp. 357 - 373, and Derek H. Aldcroft, *From Versailles to Wall Street, 1919-1929* (New York: [n. pb.], 1977), chaps. 1 and 2.

(٣) وفقاً للتقديرات الحالية تتألف احتياطيات العراق ما بين ١١٢ إلى ٢٢٠ مليار برميل، ما يضع العراق بعد السعودية مباشرة، ويمكن «بسهولة» أن يزاد إنتاجه الحالي الذي يقارب ٣ ملايين برميل يومياً إلى ٦ ملايين خلال ٣ إلى ٤ سنوات حسب الياس سركيس، *Arab Oil and Gas Directory* (2 October 2003).

لبنان في أوائل تسعينيات القرن العشرين تجربة يمكن التعلم منها. فهي تقدم مثلاً حياً للعراق ليتعلم منه.

> إن دفع أجور كافية للموظفين المدنيين في وزارات الحكومة الرئيسية وإداراتها و كذلك للعاملين في المشروعات العامة، هو إجراء ضروري لتحقيق الاستقرار الاقتصادي. وفي اللحظة الراهنة فإن ٤٠٠ ألف من أفراد الجيش هم من دون رواتب و نحو ٨٠٠ ألف موظف مدني إما من دون رواتب أو يتقاضون ٢٠ دولاراً فقط شهرياً.

لقد أدت معدلات التضخم العالية في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين ـ التي أطلقها تراجع قيمة الدينار العراقي وحالات العجز المالي الذي كان يتم تمويله بطبع النقود ـ إلى تقويض مدّخرات العراقيين، وساهم في النهاية في دفع الأشخاص الموهوبين إلى الهجرة من العراق، وهم الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للطبقة المتوسطة العراقية[٤]. إن تحقيق استقرار العملة وإزالة التضخم خطوتان أوليان حرجتان، لأن نظام التحول النقدي الثابت الذي من شأنه أن ينشأ ليس بلا ثمن. فهو يمكن أن يحرم الاقتصاد من المرونة التي تمكنه من امتصاص الصدمات الخارجية وإعطاء الصادرات العراقية الليونة التي قد تتطلبها. وقد يحدث هذا في وقت لاحق. أما في الوقت الحاضر ـ مع إمكانات التصدير المحدودة في المنتجات غير النفطية ومع الاقتصاد المثقل بالديون ـ لا يبدو من المعقول تعريض الاقتصاد لتقلبات النظام المالي الدولي في وقت لا يمكن فيه توقع أية مزايا من الحساب الراهن أو من الاعتبار الكامل لميزان المدفوعات برمته. وعلى أي الأحوال، إذا تطلب نظام الإنتاج مثل هذه المرونة فيمكن تحقيقها عن طريق الضرائب وأشكال الدعم على طريقة فرضيات لانكستر المسماة «ثاني أفضل الفرضيات»[٥]. ومن شأن دعم التصدير أن يؤدي إلى الحد من أنواع الدعم والواردات، الأمر الذي سيتطلب فرض ضرائب وتعريفات (جمركية).

ب ـ دفع الأجور

إن فصل آلاف الموظفين والجنود بـ «الجملة» عمل لا يتسم بالحكمة، وباهظ التكاليف وغير منتج؛ أصاب بنكسة بناء وضع يشجع على الاستقرار، بل في الواقع إنه

---

(٤) من معدل تحويل بقيمة ٣ دولارات للدينار، تستقر العملة المحلية في العراق عند معدل نحو ١٤٠٠ دينار مقابل الدولار. انظر: United Nations Statistics Database

(٥) R. G. Lipsey and K. Lancaster, «The General Theory of Second Best,» *Review of Economic Studies*, vol. 24 (1956), pp. 11-32

ساعد على بناء وضع صاخب مزعزع للاستقرار لا يعنيه الاقتصاد. إن النسبة العالية للمعولين في المجتمع العراقي تعني أن فصل و/أو تعليق دفع الرواتب لنحو ١,٢ مليون شخص قد ترك قرابة ١٢ مليون نسمة (نصف السكان) من دون أي قاعدة لدخل مضمون. لقد تم تحويل شريحتين مهمتين جداً من المجتمع ـ تتمتعان بنفوذ وسلطة ـ إلى عدوتين فوريتين ؛ إنهما تتألفان من الجيش والموظفين المدنيين الأقوياء.

إن دفع أجور كافية للموظفين المدنيين في وزارات الحكومة الرئيسة وإداراتها، وكذلك للعاملين في المشروعات العامة، هو إجراء ضروري لتحقيق الاستقرار الاقتصادي. وفي اللحظة الراهنة فإن ٤٠٠ ألف من أفراد الجيش هم من دون رواتب، ونحو ٨٠٠ ألف موظف مدني إما من دون رواتب أو يتقاضون ٢٠ دولاراً فقط شهرياً. وليس معقولاً أو مستحسناً أن يكون متوجباً على المرء أن ينتظر، أو يستطيع أن ينتظر، أن يتم توظيف الناس ودفع رواتب لهم حتى يكون قد أقيم جهاز بيروقراطي جديد على أساس الكفاءة. إن دفع الأجور سيضع فوراً قوة شرائية في أيدي العائلات لتلبي الحاجات الفورية والأساسية، وسيساعد في تعزيز الطلب المحلي على السلع والخدمات في اقتصاد محروم من النقود السائلة ويعاني ضعف الطلب المتراكم. وينبغي ألا ننسى أن برنامج النفط مقابل الغذاء قد ترك أكثر من ٦٠ بالمئة من السكان معتمدين اعتماداً كلياً على حصص الغذاء الحكومية، ونحو ٩٠ بالمئة من السكان معتمدين كلياً أو جزئياً على هذه الحصص. كما ان الامتناع عن دفع أجور كافية وفورية هو وصفة للجوع والمجاعة وسوء التغذية وعدم الاستقرار.

إن خلق الوظائف على نحو عاجل وخلق مصادر الدخل المكتسب أمر حتمي لتحقيق القانون والنظام. وينبغي أن يصبح لمبادرات خلق الوظائف أولوية في الأجل القصير في الاعتمادات التي تخصص لها أية أموال جديدة في الاقتصاد. فالتأكيد على الأجل القصير أمر حاسم. وفي التحليل النهائي ينبغي أن تحكم رؤية استثمارية كاملة اعتماد المصادر النادرة وإعادة هيكلة الاقتصاد وتنويعه وقدرته على المنافسة، ولكن خلق الوظائف في الأجل القصير يكتسب ضرورة حاسمة لا يمكن أن تنتظر التحديد الكامل لتفصيلات رؤية أو خطة كاملة وشاملة للمستقبل.

ويمكن أن توضع موضع الاستخدام الجيد فوراً برامج خاصة لدعم التوظف الذاتي، وتشجيع المشروعات الصغيرة، والتجميع العنقودي للمشروعات الصغيرة والمتوسطة، وإعادة تأهيل المشروعات العامة. وهناك دليل دولي معتبر يشير إلى أن هذه الإجراءات مثمرة جداً في خلق التوظف وفي معالجة المستويات العليا من البطالة التي يخلقها التشريد والتعرض لمشكلات تكيف قاسية، وبالأخص في الأجل القصير.

إن ثمة أمثلة دولية كثيرة، حيث أقامت الأمم المتحدة برنامجاً للمساعدة في أوضاع ما بعد الحرب لدعم تسريح المحاربين السابقين وإعادة إدماجهم. وقد انطوى معظم هذه البرامج على خطط مدفوعات نقدية (موزمبيق) وتدريب مهني وتنمية مهارات (كوسوفو وهاييتي). وقد تبنت الأمم المتحدة في بعض الأوقات خططاً ائتمانية ووفرت الأدوات/

المدخلات للتوظيف الذاتي وتنمية المشروعات الصغيرة (البوسنة والفيليبين والسلفادور)[٦].

ج ـ إعادة بناء البنية التحتية

هناك أنواع كثيرة من البنية التحتية تعزز وتدعم أسس النشاط الاقتصادي. وسيكون كافياً هنا إيضاح فارق أساسي بين بنية تحتية جامعة للإنتاج وبنية تحتية داعمة للاستهلاك.

ينبغي في النهاية أن يوضع برنامج لإعادة تأهيل البنية التحتية الكلية في قطاعات الكهرباء والماء والنقل والاتصالات. ولكن على أساس الأولوية ينبغي أن تكون البنية التحتية الإنتاجية هي التي تخصص في المقام الأول بأية أموال ترصد لأغراض إعادة تأهيل البنية التحتية. ويحتاج المرء إلى معالجة المنغصات المباشرة للسكان، ولكن استدامة التوظيف ينبغي أن تكون لها أسبقية على الاعتبارات الأخرى ما لم تكن البنية التحتية المعنية تتعلق بأمور الحياة والموت (غرف الطوارئ ... إلخ). كذلك فإنه من المجدي الربط بين إعادة تأهيل هذه البنية التحتية والمشتريات المحلية للسلع والخدمات. وبهذه الطريقة فإن بناء البنية التحتية سيكون مرتبطاً بخلق طلب فعال على الصناعة المحلية وبمجهود خلق الوظائف. وكانت قبرص ـ بعد الصراع المدمر الذي خاضته في عام ١٩٧٤ ـ ناجحة تماماً في ربط إعادة تأهيل البنية التحتية بتنمية الصناعة المحلية[٧].

ومن الأمور التي لها القدر نفسه من الأهمية هنا إدارة إعادة بناء البنية التحتية لتجنّب المغالاة في الأسعار وتجاوز النفقات. إن انخراط المؤسسات العابرة للقوميات من دون مراجعة مستقلة يخلق صعوبتين: **الأولى** أن هذه المؤسسات باهظة التكاليف ومعروفة بتجاوز النفقات، ومن المرجح أن تفضل منتجات ومهارات مستوردة باهظة الثمن. والحقيقة أن تقديرات إعادة بناء قطاع الكهرباء بعد حرب الخليج الأولى كانت محددة بـ ١٠ مليارات من الدولارات من قِبل إحدى المؤسسات العابرة للقوميات، في حين تمكن العراقيون من أن يعيدوا بناءها مقابل ٢٠٠ مليون دولار فقط[٨] **ثانياً** إنها ـ بطبيعة عملياتها ـ ستخلق انفصالاً للبنية التحتية عن بناء القدرة الصناعية المحلية.

---

(٦) United Nations Development Programme [UNDP] and [SURF], «Lessons Learned from UNDP Involvement in Crisis and Post: Conflict Situations,» Beirut, July 2003.

(٧) George Corm, «Identifying the Main Financial and Monetary Issues in Iraq,» paper presented at: ESCWA workshop on Iraq and the Region after the War at 9 - 10 July 2003.

(٨) جعفر ضياء جعفر، متحدثاً أمام ورشة عمل الإسكوا حول العراق والمنطقة بعد الحرب في ٩ و ١٠ تموز/يوليو ٢٠٠٣. كذلك فإن بول بريمر الحاكم المدني الأمريكي للعراق وضع خطة لكي تُعاد إمدادات الكهرباء والمياه إلى مستوياتها قبل الحرب في غضون ٦٠ يوماً. كذلك فقد حدد الخطوط العامة لعملية وضع مسودة دستور جديد يمكن أن يؤدي إلى انتخابات مبكرة في أوائل العام القادم. وتقدر الإدارة المدنية الأمريكية أن إعادة بناء البنية التحتية للكهرباء ستكلف ١٣ مليار دولار، بينما تتنبأ الأمم =

ولعل الأمر الأكثر حسماً هو الجمع بين إعادة تأهيل البنية التحتية وخدمة القطاعات الإنتاجية وربط مداها بالاحتياجات الفورية للاقتصاد. إن هذا أمر باهظ النفقات فعلاً، كما كان في حالة لبنان، حيث بنيت بنية تحتية أضخم وأروع، في الوقت الذي لم يكن هناك اهتمام كاف بمدى قدرة الاقتصاد على تحمل نفقات صيانتها ودفع خدمة الدين الذي نتج من جراء دفع تكاليفها، إذ ينبغي أن تُربط إعادة تأهيل البنية التحتية وإعادة بنائها بنشاطات إنتاجية يمكنها في النهاية من أن تسدد نفقات صيانتها وعملياتها واستهلاك دَيْنها.

د ـ إعادة بناء القاعدة الصناعية والإنتاجية

إن الحاجة ماسة إلى إعادة بناء القطاعات الإنتاجية لكي تلبي مطالب العائلات، وينبغي أن توجه هذه الجهود الى خلق الوظائف، حتى في الأجل القصير. وقد يتطلب هذا تركيزاً مبدئياً على إعادة تأهيل المشروعات العامة. فليس ثمة مكسب من وراء الانخراط قبل الأوان في حملة خصخصة. وقد لا تكون لدى الجمهور مدخرات كافية لشراء هذه المشروعات، كما قد لا تكون هذه المشروعات جذابة بالنسبة الى القطاع الخاص حين لا تكون في حالة تشغيل ومن دون أي قيمة فعلية. والخصخصة في ظل ظروف ضائقة من ذلك النمط الذي حدث في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي تؤدي عموماً إلى تعرية الأصول وتوزيع الأصول على الأطراف الخطأ في القطاع الخاص (عصابات المافيا).

ينبغي النظر في خصخصة المشروعات العامة ما إن تصبح هذه المشروعات قادرة على إنتاج سلع وخدمات بصورة مربحة وبكفاءة وعلى توليد إيرادات فعلية، وبعد أن توضع خطة وثيقة لتوزيع الملكية. ويمكن أن يأخذ هذا التوزيع للملكية صورة «تروهند» (Treuhund) (صندوق ضخم متبادل يمكنه أن يمتلك نيابة عن شعب العراق كل المشروعات العامة وأن يتولى مسؤولية إعادة تأهيلها قبل خصخصتها) على نحو ما جرى في ألمانيا في تسعينيات القرن العشرين. وليس من المتصور استخدام الايصالات (Vouchers) في العراق، حيث لا توجد سوق منظمة لرأس المال أو يمكن أن تقام بسرعة على نحو ما حدث في تشيكوسلوفاكيا. وإلى جانب مشاعر القلق التي تم الإعلان عنها بشأن إمكانية أن يضطر الناس تحت ضغط ظروف صعبة إلى أن يبيعوا إيصالاتهم سريعاً، وبثمن يقل كثيراً عن قيمتها، إلى صناديق ضخمة متبادلة تمثل مصلحة الأقوياء المحليين أو تمثل المصالح الأجنبية كما كان الحال في تشيكوسلوفاكيا.

= المتحدة بأن تبلغ نفقات استعادة إمدادات المياه ١٦ مليار دولار خلال أربع سنوات. أما لاستعادة الأمن فقد قال بريمر أنه يرمي إلى تعيين وتدريب الفصيلة الأولى من الجيش الوطني العراقي الجديد وإعدادها في كتائب ـ أي نحو ٧ آلاف رجل ـ ليكوّنوا محور الدفاع المدني خلال ٦٠ يوماً. ودعا الجماعة الدولية إلى المساعدة في خفض عجز الميزانية المتوقع للسنة القادمة والمقدر بأربعة مليارات من الدولارات. وأعرب مستر بريمر عن ثقة متزايدة في رغبة العراقيين في التعاون مع القوات الأمريكية في جهود إعادة الإعمار.

هناك مسألتان مهمتان بشأن الخصخصة تستحقان انتباهاً خاصاً هنا: **الأولى** هي المدى الذي يمكن الذهاب إليه في النصح بشراء مشروعات قديمة حينما تكون هناك حاجة إلى استثمار جديد. **الثانية** المدى الذي يمكن أن تخفق معه الخصخصة حينما لا تكون القواعد المنظمة والقوانين التي تحكم عمليات المشروعات في حالة تشغيل تام أو لا تكون قائمة.

ليس هناك بديل في الأجل الطويل من برنامج جاد لتمكين القطاع الخاص وتنشيطه، ولم يكن هذا الخيار حقيقياً أبداً في أي مكان، بل الأحرى أن الخيار هو بشأن إطار الشراكة الذي يمكن لهذين الحقلين (العام والخاص) أن يعملا فيه معاً. ولا شك في أن نموذج الدولة القديم نموذج مميت، ويحتاج المرء الى أن يعيد تصميم القطاع العام. فإخفاقات السوق في العراق واسعة الانتشار وإخفاقات الحكومة قاسية بالقدر نفسه. والمسألة الحقيقية هي إعادة صنع العلاقات السليمة بين المجالين بطريقة متوازنة وعملية وبعيداً عن الاعتبارات الايديولوجية من الجانبين على السواء. وتوفر خبرات التنمية الحكومية في جنوب شرق آسيا دروساً جيدة يتعين على العراق أن يدرسها وأن يستفيد منها.

> ينبغي في النهاية أن يوضع برنامج لإعادة تأهيل البنية التحتية الكلية في قطاعات الكهرباء والماء والنقل والاتصالات. ولكن على أساس الأولوية ينبغي أن تكون البنية الإنتاجية هي المطلب الأول.

لن ينجح تمكين القطاع الخاص في غياب مواهب إدارية محلية جيدة. وتطوير هذا الجانب في الأجل القصير مستحيل. وربما يكون أكثر أهمية عند هذا المفصل أن تستخدم مواهب مغتربة. وربما يمكن ربط هذا ببرنامج على غرار برنامج «توكتين»[٩] الذي من شأنه أن يتيح لعراقيين على مستوى عالٍ من التدريب أن يعودوا إلى الوطن بتمويل من الأمم المتحدة ومصادر متبرعة أخرى. وقد يكون تحقيق استقرار الدينار وتوطيد القانون والنظام والحرية المكتسبة مؤخراً حافزين كافيين للمثقفين العراقيين للعودة إلى وطنهم، ولكن أي برنامج دعم من شأنه أن يخفف من وطأة هذه العودة ويسهلها سيكون مرغوباً فيه بدرجة عالية. فهو سيؤدي دور مؤسسة التوظيف التي توفق بين الأشخاص في الخارج والمتطلبات داخل العراق، وهو ضروري أيضاً لتنفيذ سياسات وخلق مؤسسات وقواعد معلومات وإجراءات من شأنها تشجيع العراقيين العائدين على أن يجلبوا معهم رأسمالهم ليستثمروه في بلدهم.

---

(٩) إن مصطلح «توكتين» (TOKTEN) مركب ويرمز الى «نقل المعرفة عبر المواطنين المهاجرين»، وهو ينفذ عبر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) والحكومات الوطنية في الدول النامية.

٢ ـ جهود التنويع واتجاهاته

يملك العراق ـ خلافاً لكثير من دول الخليج العربي ومنتجي النفط العرب الآخرين ـ القدرة على بناء قاعدة اقتصادية متنوعة. والسؤال الحقيقي هو: أين يبدأ، وفي أي اتجاه؟ إن ثمة قدرة كبيرة على القيام بنشاطات زراعية فعالة ما أن يصبح بالإمكان استصلاح الأرض الزراعية، وإعادة تأهيلها وتأمين حقوق المياه. وثمة حجج تساق تأييداً للتحرك نحو اقتصاد جديد ونشاطات تقوم على قاعدة «تقانة الدائرة المتكاملة» (I.C.T.)(*) بالنظر إلى مواهب العراقيين المؤكدة والتغييرات في أساس النجاح في البيئة الدولية الجديدة ذات الدرجة العالية من التنافس. وبينما يمكن أن تستغرق هذه الاستراتيجية في التحول فترة طويلة لكي تُنفَّذ، فإنه يتوجب أن تبدأ على الفور. وينبغي أن تبدأ فوراً وبهمة متطلبات بناء البنية التحتية المادية الصحيحة للوصلات العريضة (Broadband) والأنسجة البصرية وتدريب الخبرات الداعمة. والخبرات الناجحة لكثير من بلدان جنوب شرق وجنوب آسيا في هذا الصدد هي شهادات قوية على مدى الرغبة في هذه الاستراتيجية.

٣ ـ تخفيض أعباء الديون واحتياجات التمويل

ثمة حاجة كبيرة إلى تخفيف فوري لأعباء الديون عن طريق تعليق مدفوعات الديون القديمة إلى أن تتم إعادة جدولتها وتقويمها والاعفاء من بعضها من دون معاقبة الدائنين القدامى بإشراكهم في عبء تخفيض الديون. وسيزيل هذا العمل الدين الضخم الذي طال أمده، الأمر الذي يمكن أن يشكّل همزة البداية للاقتصاد.

في حين أن هناك تقديرات كثيرة متباينة للدين العراقي تشمل أو تستثني الفائدة المتراكمة، مع تقديرات التعويض ومن دونها، فإنه بغض النظر عن هذه التقديرات المتباينة سيدخل العراق حقبة ما بعد العقوبات وعليه عبء مالي ثقيل بقيمة لا تقل عن ١٠٠ مليار دولار من الديون الأجنبية. ويضيف بعضهم إلى هذا ٢٠٠ مليار دولار أخرى قيمة تعويضات حرب، و١٠٠ مليار دولار مدفوعات لإيران عن أضرار حرب، ومتطلبات استثمار مقدرة بـ ٣٠ مليار دولار لإعادة تأهيل الصناعة النفطية. وغالباً ما تضاف ٤٥٠ مليار دولار أخرى كتقدير للاستعاضة من تكاليف البنية التحتية التي دمرتها الحرب. وليس من المتخيل أن تكفي إيرادات النفط العراقي الحالية أو المستقبلية، أو أنه يتوجب أن تستخدم لدفع كل هذه المتطلبات. وقد يكون من المرغوب فيه أن يعقد مؤتمر دولي للدول المانحة لكي تسهم في تمويل إعادة بناء العراق كاستثمار في عملية السلام.

يتعين على العراق أن يحسب فاتورة الأضرار التي لحقت به بفعل الحروب

(*) الاختصار يشير إلى Integrated Circuit Technology (المترجم).

والعقوبات. فليس من المعقول أن يطلب من العراق أن يعوض على الآخرين نتيجة أفعاله، وأن يعفي الذين ألحقوا الضرر به. وهذا أمر مهم بشكل خاص في ضوء حقيقة أن شعب العراق قد دفع غالياً ثمن الأفعال والخيارات التي قام بها نظام حكم لم يختره هذا الشعب أو يؤيده. وتتجاوز تقديرات الأضرار من حرب الخليج الأولى والعقوبات ٤٠٠ مليار دولار. وقد لا يكون من المألوف سياسياً أن يطلب من الحلفاء أن يدفعوا التعويضات عن هذه الأضرار، ولكن من المؤكد أن التدمير الواسع النطاق للبنية التحتية في حرب الخليج الأولى والآثار التعجيزية للعقوبات تقع ضمن مسؤوليتهم مباشرة، وسيكون من قبيل إساءة النصح للعراقيين أن لا يعدوا تقديرات سليمة لهذه الأضرار التي يمكن أن تلغى مقابل مطالب تعويض وديون أخرى. وبالفعل فإن اليهود الذين غادروا العراق في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن العشرين يقومون بإعداد تقديرات لخسائرهم التي يسعون للحصول على تعويضات منها. كذلك فإن أرصدة العراق المجمدة قد طولب بها في المحاكم الأمريكية لتعويض أسرى الحرب الأمريكيين. ويتعين ـ حتماً ـ أن يعد العراق مطالب مضادة، ولا يمكنه أن ينتظر.

ثانياً: النفط العراقي

إن إبطال صيغ الاعتماد المشددة وغير المتوازنة التي تحكم التوزيع القائم للعائدات النفطية أمر ذو أهمية حرجة في هذه المرحلة. ويتعين على العراقيين أن يمارسوا على الفور حقهم الاستثنائي في أن يَحكموا استخدام عائداتهم النفطية الخاصة وأن يحددوا حجم إنتاجهم النفطي. ويؤكد هذا الحاجة إلى تمكين العراقيين من حكم أنفسهم. وعلاوة على هذا، لا توجد فائدة حقيقية للعراق من وراء ترك عضوية منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) أو زيادة إمداداته النفطية بطريقة غير منسقة وغير مخططة. فإن الزيادة غير المنسقة في الإنتاج النفطي من جانب العراق يمكن أن يثير ردود فعل من منتجين آخرين للنفط، وهو ما يلحق الضرر بالمنتجين كافة وحتى بمصلحة المستهلكين في الأجل الطويل.

وستحدد ثلاثة عوامل على الأقل مسار التطور المستقبلي لصناعة النفط العراقية:

١ ـ المتطلبات التقنية والمالية لتطوير القطاع النفطي.

٢ ـ رد فعل البلدان الأعضاء في «أوبك» إزاء عودة النفط العراقي للدخول إلى سوق النفط العالمية .

٣ ـ المدى الذي يمكن أن يذهب العراق إليه في اتخاذ قرارات مستقلة بشأن حجم نفطه وما يصدره منه.

وسيطلب العراق حقاً مساعدات تقنية ومالية واسعة النطاق لإعادة تأهيل قطاعه

النفطي ولإنتاج الـ ٣,٢ مليون برميل يومياً التي اعتاد أن ينتجها في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين. ولا بد من أن يكون العراق قادراً في الأجل القصير على استعادة مستوى إنتاج يومي يعادل ١,٥ مليون برميل على وجه السرعة. أما التوسع في الإنتاج ليصل إلى ٦ ملايين برميل يومياً فيستغرق ٣ ـ ٥ سنوات على الأقل وسيتطلب ٣٠ مليار دولار. وحتى هذا الأمر يمكن أن يثير ردود فعل عدائية من أعضاء آخرين في «أوبك». كما سيلغي أيةَ مكاسب يحققها العراق من عمل مستقل فعلُ تصحيحي من جانب بلدان أخرى في «أوبك».

إن الولايات المتحدة تعتزم خصخصة إنتاج النفط واكتشافه. وحجتهم هي أن هذا الإجراء سيدعو شركات كثيرة للتنافس على الإنتاج لكي تحصل على عقود استكشاف، وهو ما يتيح للعراق بالتالي أن يحصل على أفضل العروض من هذه الشركات ويخصص حقوق الاحتياطي هذه لأولئك الذين يملكون رأس المال اللازم لإعادة تأهيل حقوق النفط وتوليد إمدادات ممكنة. ومن ناحية أخرى، فإن من شأن هذا الأمر أن يمنح الشركات الأمريكية ميزة غير عادلة على المؤسسات الأخرى، ومن شأنه أن يحطم الملكية الجماعية لهذه السلعة العامة.

النفط هو ثروة غير قابلة للتجدد؛ وأي إنتاج مفرط في المستقبل المباشر من شأنه أن يشل مصلحة الأجيال القادمة. وفي غياب أسواق مستقبلية تؤدي وظيفتها جيداً من الصعب أن تنسب قيمة مؤكدة لهذا النفط في الوقت الحاضر. كما أن أي مخطط لخصخصة هذا النفط، في الظرف الحاضر، وبالنظر إلى حالة الأسواق غير المكتملة، من شأنه أن يضر بمصلحة الأجيال العراقية القادمة.

ثالثاً: الحروب وعمليات الحظر

لقد دمرت الحروب والعقوبات والقمع اقتصاداً كان يوماً مزدهراً، وكان ذا إمكانيات عظيمة. فالعراق بلد انخفض نصيب الفرد من الدخل القومي فيه من نحو ٥ آلاف دولار أمريكي في المتوسط في الثمانينيات إلى نحو ألف دولار أمريكي في التسعينيات. وانحدر متوسط الرواتب إلى أقل من ثلاثين دولاراً في الشهر. وقدرت قيمة الخسارة في احتياطي رأس المال بنحو ٤٥٠ مليار دولار أمريكي، وترك نحو ٤ ملايين شخص من ذوي التعليم العالي البلد تحت ظروف إنسانية مروعة. وفي الوقت الحاضر، حيث أكثر من ٥٠ بالمئة من السكان عاطلين، فإن الركود في القدرة غير المستخدمة هائل. وليس إعادة تشغيل الاقتصاد عملاً يستطيع العراقيون القيام به وحدهم، إنما يتعين أن يبذل مجهود يتولاه القطاعان الخاص والعام المحليان في تآزر مع المانحين الدوليين وقطاع الأعمال الدولي. إن استبعاد مشاركة قطاع عام في بلد ما ومنطقة ما ـ عُرفت بأن فيها أعلى نسبة للاستثمار العام مقارنة بالخاص في العالم ـ يجعل من شأن العالم أن يخلق فراغاً مماثلاً لذلك الذي حدث في انتقال روسيا إلى الرأسمالية. مع ذلك، فإن صورة

الأوضاع القادمة تبدو متأثرة سلباً بالتبرير الإيديولوجي ذاته الذي ساق اقتصادات انتقالية كثيرة إلى أحوال اقتصادية سحيقة.

لقد تعهدت تصريحات أدلى بها مؤخراً وزير الدفاع (الأمريكي) دونالد رامسفيلد ونشرت في صحيفة **وول ستريت جورنال** في تموز/يوليو ٢٠٠٣، بعزم الولايات المتحدة على انتهاج سياسات «تحبذ أنظمة السوق» و«تشجع التحرك نحو خصخصة المشروعات المملوكة للدولة». وطبقاً لتقديرات وزارة الخزانة الأمريكية، فإن البنية التحتية المدمرة المقصوفة بالقنابل في هذا البلد ستحتاج إلى مبالغ تتراوح بين ٢٥ و٦٠ مليار دولار. وقال بعض المحليين المستقلين إن استثمار ٢٠٠ مليون دولار سيكون مطلوباً لتحويل البنية التحتية للدولة السابقة ــ التي خربت إلى حد كبير أو دمرت ــ إلى اقتصاد سوق. في الوقت نفسه، فإن التزامات المانحين لإعادة الإعمار تبقى دون المستوى المطلوب. وعلى سبيل المثال، فإن وكالة التنمية الأمريكية التابعة للحكومة (USAID) قد أعلنت أنها ستنفق فقط ١,٧ مليار دولار (أي مليار جنيه استرليني) على إعادة الإعمار في العراق[١٠]. ويجعل هذا الأمر سياسة «السوق الحرة المفتوحة بإفراط» تتفق مع احتياجات العراق. ليس هذا فحسب، بل إن المعونة المطلوبة لوقف المعاناة الإنسانية المباشرة تقصر عن الهدف.

كذلك، فإن ثمة مسافة كبيرة لا بد من أن تُقطع قبل أن يعود العراق إلى أدائه السابق على الحرب. إن دين العراق يصل إلى ١٠٠ مليار دولار أمريكي؛ قرابة نصفه عائد إلى مدفوعات فوائد متراكمة، والنصف الباقي مستحق لدول عربية مجاورة. كما أن استحقاقات تعويضات الحرب المعلقة ـ تعويضات الحرب عن حرب الخليج السابقة ـ تقدر بنحو ٢٠٠ مليار دولار (٤٥ مليار دولار منها تقريباً أكدها مجلس محافظي لجنة التعويضات التابعة للأمم المتحدة). ومن دون تخفيف أعباء الديون أو التعديل باتجاه التخفيض للاستحقاقات التي أدرجت كتعويضات ناقشتها لجنة التعويضات في الأمم المتحدة بمقتضى قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ (في عام ١٩٩١)، فإنه ستحدث نكسة لأي محاولة لإعادة العراق إلى الوضع السوي. وتبلغ قيمة خدمة الدين في الوقت الحاضر فعلاً كنسبة من إجمالي الإنتاج القومي في العراق نحو ٧٠٠ بالمئة، وهي نسبة عبثية ولا يمكن مقارنتها في ضخامتها بأي نظير في العالم.

وبغض النظر عن مسائل الأمن، هناك أيضاً أسباب وجيهة جداً لإعادة العراق إلى الجماعة الدولية. فهناك، على الجانب المتقلب من حكاية الدين، تقديرات متحفظة بقيمة الدولارات اليومية لاحتياطيات تبلغ ثلاثة تريليونات دولار (٣ آلاف مليار) من النفط في باطن الأرض. وتضاعف تقديرات أخرى هذه الاحتياطيات وتقدر قيمتها بستة تريليونات

---

(١٠) Ed Vulliamy and Faisal Islam Report, «And Now for the Really Big Guns: War is One Thing, but Can Iraq Survive Full - on Assault by Wall Street?,» *Observer*, 29/6/ 2003.

دولار. إن إعادة استثمار النفط العراقي، ووضع البلد على طريق إصلاح تدريجي وبتصميم إنساني، من شأنه أن يعني ضمناً أن فرص الأعمال واستثماراتها لا بد من أن تكون وشيكة[١١].

رابعاً: العواقب الإقليمية

لقد أثرت حرب الخليج الأخيرة بالفعل في الاقتصادات العالمية والإقليمية على نحو سلبي. ففي اليوم الأول من نيسان/أبريل ٢٠٠٣ ذكرت هيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي.) «أن بحثاً جديداً يشير إلى أن الاقتصاد الأمريكي يعاني بالفعل بعد ١٣ يوماً فقط من بداية الحرب». وثمة بحث أكثر جوهرية من هذا قام به و. نوردهاوز[١٢] (W. Nordhaus) وآخرون أشار إلى أن نفقات الحرب بالنسبة الى الولايات المتحدة، إذا هي استمرت طويلاً، وإذا ارتفعت أسعار النفط، يمكن أن تصل إلى ١,٩ تريليون دولار (١٩٠٠ مليار). ولقد يكون مناسباً أن نعيد التأكيد بأن توزيع الخسائر أو المكاسب العالمية، مرة أخرى، يبقى مرهوناً بدرجة السيطرة الأمريكية، وتأثيرات أسعار النفط وإمداداته، وديمومة العمليات العسكرية وعواقب الحرب. مع ذلك ومن الناحية الإقليمية، أو هكذا يبدو، وإن يكن ذلك على أساس تكهنات تقوم على اتجاهات ماضية، وأيا كان الاتجاه الذي ستسير فيه الأمور، فإن اقتصادات العرب وجيرانهم ستتحمل، إما آلام الانكماش الاقتصادي العالمي المستمر والتناقص الناشئ عن ذلك في الطلب العالمي على النفط، وإما ـ وهذا متوقع أكثر ـ تبعات توترات إقليمية متزايدة مع ما سينتج من ذلك من انخفاض لأسعار النفط[١٣]. وقد يكون بالإمكان صد هذه العواقب الاقتصادية الخطيرة بواسطة ارتفاع كبير غير مرجح في أسعار النفط، ومع ذلك فإنه مع ترنّح تماسك أوبك

---

(١١) كحالة تدخل في صلب الموضوع انظر الملحوظة التالية المستمدة من تقرير صحفي مؤخراً: «هناك فرص تفوق العد للاستثمار في العراق في أعقاب الحرب، مع وجود إمكانية خاصة لقطاعات الخدمات، بما فيها التعليم والرعاية الصحية والاتصالات، حسبما يقول رجل أعمال عراقي كبير. فقد تحدث سلطان يوسف، نائب رئيس مجلس الأعمال العراقي، أمام جمع كبير نظمته غرفة التجارة والصناعة في أبو ظبي مع مجلس الأعمال العراقي، فقال: «إن العراق الجديد مفتوح الآن على اتساع للنبلاء والجادين من المساهمين من رجال الأعمال في الإمارات العربية المتحدة الذين يريدون أن يصبحوا جزءاً من عمليات إعادة الإعمار الضخمة في البلاد والتي دمرتها الحرب. وسينسق مجلس الأعمال العراقي ـ الذي يضم ٢٠٠ عضو ـ مع السلطات التجارية في الإمارات (دبي) المعنية بمساعدة السوق العراقية على استعادة وضعها الطبيعي سريعاً جداً». انظر: <http://www.menafn.com>

(١٢) التقديرات المبدئية القصيرة الأجل هي عند نحو ١٠٠ مليار دولار أمريكي، انظر: William D. Nordhaus, «The Economic Consequences of a War with Iraq,» in: Carl Kaysen [et al.], *War With Iraq: Costs, Consequences, and Alternatives*, Occasional Paper (Cambridge, MA: American Academy of Arts and Sciences, Committee on International Security Studies, 2003).

(١٣) مع الضعف الذي أصاب «أوبك» بفعل الحرب الأخيرة يمكن أيضاً أن تحدد خسائر الأجل الطويل باجتماع توترات عالية ومنخفضة لدفع أسعار النفط إلى الاعتدال.

وقوة عضلاتها السياسية، تبقى هذه النتيجة غير مرجحة على الأقل بالنظر إلى التحول في الجاذبيات السياسية العالمية وإعادة صنع قواعد اللعبة في المضمار الدولي على نحو سيشكل الأمور بصورة مختلفة خلال فترة زمنية قادمة.

المطلوب هو إعادة تصميم القطاع العام. فإخفاقات السوق في العراق واسعة الانتشار وإخفاقات الحكومة قاسية بالقدر نفسه. والمسألة الحقيقية هي إعادة صنع العلاقات السلمية بين المجالين بطريقة متوازنة وعملية وبعيداً عن الاعتبارات الايديولوجية من الجانبين على السواء.

وعلى الرغم من أن العواقب الاقتصادية للحرب ـ على صعيد عالمي ـ لن تختلف بين أولئك الذين ستكون لهم السيطرة على مصادر العراق النفطية، وأولئك الذين ليس لهم نصيب في ذلك، فإن جيران العراق سيحصدون العواقب السلبية لحدث آخر لم يقع بعد في دورة الصدمات السياسية الإقليمية[١٤]. وفي المنطقة العربية المباشرة، فإن المخاطر التي تفرضها التوترات السياسية للاستثمار قد استنفدت المصادر التي كان يمكن لولا ذلك أن تستخدم للتنمية. وكان يمكن لمستوى متزايد من التوترات ناشئ عن الحرب الأخيرة ويتجاوز ذلك الذي أدت إليه حرب عام ١٩٩٠، أن يؤدي إلى عواقب اقتصادية وخيمة على هذه المنطقة. ويصدق أكثر في هذا الصدد أنه بالرجوع إلى عام ١٩٩١ ــ حتى حينما كان الاقتصاد العالمي يسترد عافيته – كانت هناك خسارة بنسبة ١٤ بالمئة في بلدان غرب آسيا العربية (وهذه تمثل إنتاج البلدان الثلاثة عشر الأعضاء في اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا التابعة للأمم المتحدة «الإسكوا»)[١٥] (أي إجمالي إنتاجها المحلي) في الفترة التي أعقبت مباشرة حرب الخليج الأولى. وهذا يعادل نحو ٥٠ مليار

(١٤) ارتفعت عائدات النفط في هذه المنطقة ـ في المتوسط وعلى مدى السنوات الخمس عشرة الماضية ـ بنسبة ٢ بالمئة سنوياً، ولكن نصيب الفرد الفعلي من إجمالي الناتج القومي انخفض من ٢٨٥٠ دولاراً أمريكياً في عام ١٩٨٥ إلى ٢٧٠٠ دولار في عام ٢٠٠٠. ومن الأسباب الكثيرة التي قادت الدخل نحو الهبوط وهو السبب الأساسي في اجتماع أسعار نفط مخفضة بصورة متناسبة مع التوترات السياسية. وتواصل البلدان الأعضاء في «الإسكوا» الإفراط في الإنفاق على الأسلحة. ولو أن بلدان «الإسكوا» لم تنفق بهذا القدر على الأمن لأمكن خفض البطالة بمعدل نقطة ونصف بالمئة في المتوسط كل عام. ولكن، ليس هذا كل ما في الأمر. فالأثر الاقتصادي الرئيس للتوترات السياسية يقع على الاستثمارات. وتزيد التوترات السياسية من المخاطر الطويلة الأجل، وتدفع المصادر إلى الابتعاد وتخفض الاستثمارات العامة والخاصة (بما في ذلك هروب رأس المال). وهذه المسائل هي ـ بدرجة أبعد كثيراً ـ الأكثر حسماً للمنطقة وبالنظر إلى الروابط الإقليمية داخل المنطقة فإنها لا تعفي أحداً.

(١٥) تشمل هذه سوريا ولبنان والأردن والعراق وفلسطين وبلدان مجلس التعاون الخليجي واليمن ومصر.

دولار أمريكي بأسعار عام ١٩٩٠. وفي أكثر التقديرت تحفظاً ـ إذا جاز التعبير ـ لو أن الحرب لم تقع واستمر معدل النمو في المنطقة في الارتفاع بنسبة ٣ بالمئة المتواضعة، فإن الخسائر المتراكمة بأسعار ١٩٩٠ الثابتة من عام ١٩٩٠ إلى عام ٢٠٠٢ تقدر بنحو ستمائة مليار دولار أمريكي (انظر الشكل). وهذا يعني أن كل شخص في هذه المنطقة ـ خلال السنوات العشر إلى الاثنتي عشرة الماضية ـ قد فقد في المتوسط نحو ٣٥٠٠ دولار أمريكي محسوبة بدولارات عام ١٩٩٠. أسوأ من هذا، إن اقتصادات «الإسكوا» خسرت أيضاً نحو أربعة ملايين وظيفة محتملة كان يمكن ـ لولا ذلك، أو في ظل ظروف أكثر أمناً ـ أن تخفض معدلات البطالة العالية في منطقة «الإسكوا». والحقيقة أن استرداد العافية من حرب الخليج الأولى، عامي ١٩٩٠ و ١٩٩١، سواء كان بالمصادفة أو بالضرورة، أو ـ كما هو الحال دائماً ـ بتداخل العاملين معاً، كان ضعيفاً وناقصاً. لقد استغرقت استعادة الإنتاج للمستويات التي كان عندها في عام ١٩٩٠ نحو خمس سنوات بعد حرب عام ١٩٩٠، لأن كوارث الحرب ـ سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ـ قد فرضت عبئاً ثقيلاً وقاسياً على الاقتصاد الإقليمي.

إجمالي الإنتاج المحلي الفعلي والسابق
في منطقة «الإسكوا»
نتيجة لحرب عام ١٩٩٠ (بمليارات الدولارات)

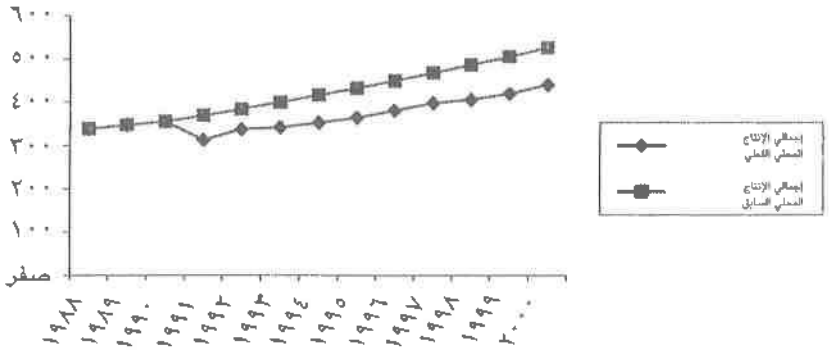

أما الحرب الأخيرة، والتوترات السياسية الناتجة منها، فستكون ذات أثر رهيب بشكل خاص في منطقة «الإسكوا». وإذا ما افترضنا أن معدلات الخسارة المبدئية والتوترات السياسية هي ذاتها معدلات التسعينيات، فإن الخسائر المبدئية ستكون نحو مائة مليار دولار في السنة الأولى من الحرب (وهي في الأساس خسائر للعراق)، الأمر الذي يعني أنه إذا لم يُستعد الاستقرار بسرعة فإن خسائر «الإسكوا» على مدى عقد ستتجاوز بسهولة تريليون دولار (ألف مليار). كذلك يمكن أن تتجاوز الخسائر في الوظائف السابقة بسهولة سبعة ملايين وظيفة. وستكون الخسارة التي يتكبدها كل فرد في المنطقة نحو ٥٥٠٠ دولار أمريكي (لكل شخص) على مدى السنوات العشر التالية.

وهذه خسارة ممكنة بنسبة تتراوح بين ١٥ و٢٠ بالمئة في الدخل الفعلي لكل شخص. وهذه الأرقام محسوبة على أساس الدخل السابق من إنتاج ممكن على أساس فرضية «اللاحرب» وعلى أساس مستويات التوتر والخسائر المبدئية التي سادت عقد التسعينيات. وعلى مستوى حسي أكثر، فإن الخسائر الأساسية قد لحقت بالعراق، بينما النمو في بلدان «الإسكوا» الأخرى إما سيجمد أو ينحدر(١٦).

قد يكون من المناسب أن نستبعد الفكرة القائلة بأن بعض البلدان قد يتكبد خسائر اقتصادية من الحرب، بينما لن تتكبد هذه الخسائر بلدان أخرى. وسيعاني كل بلد عضو في منطقة «الإسكوا» العواقب الاقتصادية السيئة للحرب. ومبدئياً، فإن بعض البلدان في مجلس التعاون الخليجي قد تكسب عوائد غير منتظرة من ضخ إضافي للنفط بأسعار زمن الحرب، وغيرها قد يتمتع بإيرادات نقدية تبقيه على الخطوط الجانبية، بينما سيتلقى العراق أعتى الضربات. لكن هذه المكاسب ستظل مكاسب لمرة واحدة لا تكفي لتغطية الإنفاق المتصاعد على الأمن. ويقال هذا اعتماداً على خبرة التسعينيات من القرن الماضي، حيث منحت بعض دول منطقة «الإسكوا» إلغاء ذا حجم كبير للديون، مع ذلك فإن أداءها الاقتصادي في الأجل الطويل لم يكن مشجعاً إلى الحد المتصور، مثل مصر. كذلك ــ وهذا أكثر أهمية ــ فإنه إذا ما كان للعراق أن يُحرم من الحصص والأنصبة التي تحددها «أوبك»، فإن اجتماع سعر مخفض للنفط مع توترات (سياسية) متزايدة سيمثل مخاطر طويلة الأجل تدفع بعيداً الاستثمار والموارد المالية الأخرى التي كان يمكن لولا ذلك أن تخصص للتنمية.

خامساً: أثر الحرب في التجارة الإقليمية

أصبحت التجارة والسياحة مكونين مهمين للنشاط الاقتصادي في هذه المنطقة، وسيتأثر هذان المكونان بشدة نتيجة للحرب والتوترات الناجمة عنها. وبصفة خاصة، فإنه يمكن للمخاطرة المتصاعدة أن تكون قاسية للغاية على قطاع السياحة في مصر والأردن ولبنان، حيث تمثل إيرادات السياحة وحدها في تلك البلدان نسبة تتراوح بين خمسة وعشرة بالمئة من إجمالي الناتج المحلي في المتوسط. كذلك ـ وفي تحول غريب للأمور ـ فإن الحظر المفروض على العراق قد أدى إلى زيادة في مستوى التجارة

(١٦) من المرجح في هذه الاسقاطات الطويلة الأجل أن يكون الانهيار المبدئي في الدخل الإقليمي للسنة الأولى في حدود ٥٠ وليس ١٠٠ مليار دولار أمريكي. مع ذلك فإن هناك أسساً للمبالغة في الانهيار في الدخل نظراً لأن هذه الإسقاطات الطويلة الأجل ومستويات المخاطر المستقبلية من المؤكد أن تكون أعلى. وهذه في الحقيقة اسقاطات على مدى عقد. ومع استمرار احتلال العراق، ووضع الجمود في الأراضي المحتلة (الفلسطينية) وقلق اللاعبين الإقليميين والدوليين بشأن السيطرة الأمريكية على العراق، يتوقع من مستويات القلاقل في المستقبل أن تكون أعلى، ومن هنا لا بد من أن خسائر الأجل الطويل في المنطقة ستربو على مجرد التوازن مع الانهيار المبدئي المبالغ فيه في الدخل حوالى هذا الوقت.

الإقليمية بين العراق وجيرانه. فمن الناحية التجارية، كان معنى الحظر على العراق أن زاد كثير من البلدان في المنطقة ـ مثل سوريا ومصر والأردن ـ نشاطه التجاري مع العراق. وقد قدر حجم التجارة مع سوريا ومصر والأردن ـ تقديراً متحفظاً ـ بنحو ثلاثة مليارات من الدولارات في السنة الماضية. وقد توقف هذا النشاط مع الحرب، وستتلاءم خسائر المستقبل ـ في حالة استمرار التوترات السياسية، وإذا ما تطلعت حكومة عراقية مقبلة إلى أماكن أخرى بحثاً عن شركاء تجاريين ـ مع المستويات الإقليمية، لأن التجارة بين بلدان المنطقة تعزز الآلية نفسها التي تنشط القطاعات الأولية من المصنوعات والزراعة(١٧).

وفي الحقيقة، فإن بلداناً مجاورة قد تجد أسواقاً بديلة للصادرات، وبعضها قد يعوض خسائره الولايات المتحدة. ومع ذلك، فإن التجارة والمعاملات الأخرى مع العراق كانت تطورات طبيعية أملتها الجغرافيا والاقتصادات. وقد لا تكون العلاقات الجديدة قابلة للاستدامة بالمثل.

ولتأكيد ملاءمة هذه المسائل، فإننا نقدم في ما يلي مقتطفات عن تأثير تعليق التجارة بين العراق وبلدان مختارة في المنطقة، كما وردت في وسائط الإعلام، وكما نفذت في التقارير اليومية للتأثيرات التي تصدر عن قسم التحليل الاقتصادي في «الإسكوا».

١ ـ صادرات الأردن

طبقاً لآخر الإحصاءات التي أصدرتها دائرة الإحصاءات، تراجعت صادرات الأردن إلى العراق من ١٦,٢ مليون دينار أردني في آذار/مارس إلى ١,١ مليون دينار أردني في نيسان/أبريل. وبالنسبة الى الأشهر الأربعة الأولى من سنة ٢٠٠٣، فإن إجمالي الصادرات إلى العراق بلغ ٥٣,٩ مليون دينار عراقي. وفي الفترة نفسها من سنة ٢٠٠٢، كان المبلغ ٨٢,٩ مليون دينار أردني. وعلى الرغم من فقدان السوق العراقية، فإن صادرات الأردن لا تزال تنمو نظراً لزيادة سريعة في الصادرات إلى الولايات المتحدة. ففي الأشهر الأربعة الأولى من سنة ٢٠٠٣ كانت قيمة صادرات الأردن إلى الولايات المتحدة ١١٥,٣ مليون دينار أردني. وفي الفترة نفسها من السنة السابقة، كانت الأرقام ٦٠,١ مليون دينار أردني. وعلى الرغم من أن الإحصاءات الرسمية الأخيرة قد بيّنت توسعاً مستمراً في صادرات الأردن، خاصة إلى الولايات المتحدة، فإن رئيس غرفة صناعة الزرقاء أبلغ صحيفة **جوردان تايمز** (Jordan Times) في ٩ تموز/يوليو بأن الصادرات من الزرقاء في الأشهر الستة الأولى من السنة الحالية تراجعت

(١٧) من ثم، وفي حالة ما إذا أدى استمرار التوترات إلى انهيار فوري في الإنتاج، فإن الميزان التجاري سيضعف، ونتيجة لهذا ستنشأ مخاطرة عالية لخفض قيمة العملة واندلاع التضخم في الاقتصادات المكشوفة بصورة مفرطة.

إلى ٤٩,٩ مليون دينار أردني من ٦٦,٩٤ مليون دينار في الفترة نفسها من السنة الماضية. وحسب رئيس غرفة صناعة الزرقاء، كانت الصناعات الصغيرة والمتوسطة في الزرقاء تعتمد على التجارة مع العراق وحده، وكانت على وشك فصل بعض موظفيها. مع ذلك، فقد نقل عنه أيضاً قوله إن بعض المصانع التي تعتمد على أسواق محلية وأوروبية لم تعان كثيراً. وليس معروفاً بعد مدى التعديلات الضرورية في الصناعات في الأردن، ولكن المسألة قد تستمر لوقت طويل، لأن أي تعديل هيكلي في الصناعات يستغرق في العادة وقتاً طويلاً.

وفي أعقاب تقريرها عن الزرقاء في تموز/يوليو نشرت صحيفة **جوردان تايمز** (١٥ تموز/يوليو) تقريراً عن حالة الصادرات من مجمّع الحسن الصناعي يفيد بأن إيرادات الصادرات قد ارتفعت إلى نحو ١٥٣ مليون دولار أمريكي للنصف الأول من سنة ٢٠٠٣، مقارنة بـ ١٢٩ مليون دولار أمريكي خلال الفترة نفسها من العام الماضي. وقد نتجت الزيادة من مبيعات أعلى من المنسوجات والألبسة، بلغت نسبتها ٩٤ بالمئة من إجمالي الصادرات، وكان قيمتها ١٤٣,٥ مليون دولار للنصف الأول من السنة الحالية، مقارنة بـ ١٠٧,٥ مليون دولار للفترة نفسها من السنة الماضية. وفي الوقت نفسه، سجلت صادرات صناعات البلاستيك هبوطاً ضخماً، إذ هبطت بنسبة ٨٩ بالمئة إلى ٢١٠ آلاف دولار أمريكي للنصف الأول من سنة ٢٠٠٣ بعد أن كانت ١,٩ مليون دولار أمريكي للفترة نفسها من العام الماضي. وتظهر التقارير من الزرقاء ومن مجمع الحسن الصناعي أن حرب العراق أجبرت بعض الصناعات على إجراء تعديلات أو الخروج من قطاع الأعمال، بينما استفادت صناعات أخرى من الوضع الاقتصادي الراهن.

٢ ـ صادرات لبنان

حسب آخر الإحصاءات الجمركية، بلغت صادرات لبنان إلى العراق للشهور الأربعة الأولى من سنة ٢٠٠٣ ما قيمته ٩ ملايين دولار أمريكي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن قيمة الصادرات الإجمالية لسنة ٢٠٠٢ بأكملها بلغت ٧١ مليون دولار أمريكي، فإن الرقم الجديد يقدر بنحو نصف المستوى الذي كان في الفترة نفسها من السنة الماضية. وعلى الرغم من فقدان السوق العراقية، فإن الصادرات اللبنانية لا تزال تنمو نظراً لزيادة كبيرة في الصادرات إلى سويسرا. وخلال الأشهر الأربعة الأولى من سنة ٢٠٠٣ بلغت قيمة صادرات لبنان إلى سويسرا ١٤٣ مليون دولار أمريكي، وهو مبلغ أكبر من قيمة صادراته إلى سويسرا خلال سنة ٢٠٠٢ بأكملها (والتي بلغت ١٣٢ مليون دولار أمريكي).

٣ ـ تجارة سوريا

انحدرت التجارة السورية في السلع مع العراق – الذي كان سوقاً رابحة في الماضي ـ انحداراً دراماتيكياً بسبب الحرب التي شنت على العراق مؤخراً بقيادة الولايات

المتحدة، بحيث أصبح الأردن في وضع مكنه من انتزاع الأعمال (من سوريا) حسب قول التجار. وكانت سوريا قد دفنت عقوداً من الخصومة مع العراق لتبني روابط تجارية قوية معه قبل أن تغزو الولايات المتحدة البلد لتسقط صدام حسين. وقد أبلغت المؤسسة العامة للغلال والتجارة ـ وهي الوكالة الحكومية المعنية بالغلال في سوريا ـ وكالة رويترز للأنباء أنها خسرت تجارياً نتيجة للحرب. وقال تاجر يتخذ مقره في الشرق الأوسط أن السلطات الأمريكية ربما تحاول الآن وقف التجارة السورية مع العراق[١٨].

وربما تكون إحصاءات التجارة غير المسجلة أكثر ملاءمة، ذلك أن حجماً كبيراً من التجارة كان يتدفق لمقايضته مع نفط عراقي رخيص الثمن. وقد بلغت قيمة هذه التجارة نحو مليون دولار أمريكي مع الأردن ونحو ٤ ملايين دولار مع سوريا. ومن طبيعة هذه الأعمال التجارية غير الخاضعة للحظر ألا تكون صحيحة أو يُكشف عنها، ولكن محللين كثيرين في المنطقة يشعرون بأن هذه الأرقام تتطابق مع واقع قائم للتجارة في المنطقة.

خاتمة

بدأنا في هذه المقالة مناقشتنا بمقدمة مفادها أن الحرية تُمثل شرطاً جوهرياً للتنمية. وعلى الرغم من أن الإنجازات الاجتماعية التي حققتها ديمقراطية قائمة على المشاركة يصعب ردها على أعقابها، إلا أنه باستطاعة المرء مع ذلك أن يذهب إلى أن التنمية يمكن أن تتحقق في ظل أحوال من ديمقراطية جزئية أو انتقائية، ولكن هذا سيظل أمراً قابلاً للجدل، حيث إن إنجازاته تمثل أيضاً تحققاً جزئياً أو انتقائياً للإرادة والطموحات العامة. وتعني التنمية تحت الاحتلال ـ بطبيعة الحال ـ شكلاً للتنمية يمكن تبديله وهو على درجة عالية من الضعف، لأنه أولاً وقبل كل شيء هو السد المنيع للميثاق الدولي لحقوق الإنسان. فهو ينتهك تقريباً كل مادة من حقوق الإنسان وكل تعديل وكل معاهدة، ولكنه مبدئياً يخرق حق الأمن وتكوين الروابط الحرة والعمل. إن المطالبة بالسلامة الشخصية والأجور والخدمات الأساسية هي أمور ملزمة في السياسة أكثر منها خيارات للسياسة. مع ذلك، فإن الاستراتيجية الطويلة الأجل للتنمية والسيطرة على الثروات الوطنية، كما تقضي المادتان ٧٣ و٧٤ من ميثاق الأمم المتحدة، ينبغي أن تبقى من خيارات الشعب العراقي.

في دولة اعتادت على تدخل حكومي بعيد المدى، وعلى أشكال من الدعم والتخطيط على كافة صعد الحياة الاقتصادية والنشاط الاقتصادي، ليس تغيير هذا الاتجاه إلى اتجاه معاكس عملاً يمكن أن يتم في يوم واحد، أو تفويضاً ممنوحاً

---

(١٨) *Jordan Times*, 29/7/2003.

لقوات الاحتلال. إن تاريخ العراق الحديث قد مزقته الحروب والبؤس إلى حد أنه لم يكن قادراً في أي وقت من تاريخه الحديث على أن يخلق انسجاماً بين المصالح الاقتصادية للقطاع الأوسع من السكان عبر آليات السوق التي تعتمد قاعدة «دعه يعمل». لقد دخل العراق القرن العشرين بتعداد للسكان أقل بقدر كبير مما كان له قبل قرن بسبب الموت وأمراض ذات علاقة بالحروب التركية ـ الإيرانية[١٩]. ودخل فترة الانتداب بمعدل أسبوعي عال من غارات القذف بالقنابل من الجو من جانب السلاح الجوي الملكي (البريطاني)[٢٠]. وفي الوقت الذي نال فيه استقلاله الناجز التام في عام ١٩٥٨ كان مدرجاً في كتب التنمية الاقتصادية كواحد من البلدان التي يسكنها أفقر السكان الريفيين، وكان فيه أعلى مستوى للتفاوت في توزيع الدخل، كما كان واحداً من البلدان التي تحوي أعلى معدلات الأمية[٢١]. وبحلول عام ١٩٧٥، وعن طريق تدخل فعال من القطاع العام، انعكس سجل العراق الكئيب في مجال التنمية، وكان الفضل في هذا ـ في جانب كبير منه ـ لتدخل القطاع العام.

إن لكل بلد خصوصيته، والحال هو هكذا بالنسبة الى العراق. فبعد قرابة قرن من الصراعات العسكرية تشكلت فيه هوية روحية محددة. والحاجة إلى إعادة الإعمار في هذا البلد ملحة وقاسية. فقد كانت في كل الماضي القريب جداً نماذج كثيرة لإعادة إعمار فاشلة، لأنه لم يكن هناك اعتبار للخصوصية. وقد نتجت هذه الإخفاقات مبدئياً من الحماسة البالغة لنموذج السوق الحرة. مع ذلك، فإن هذا الموقف الإيديولوجي والشاذ قد يبدو غير مناسب في سياق منطقة الشرق الأدنى. فهنا تعرض الحكومات ذات الميل اليميني وذات الميل اليساري النسبة الأعلى في العالم من الاستثمارات العامة مقارنة بالخاصة. وثمة أسباب وجيهة لهذا. هناك ـ أولاً ـ المخاطر التي يفرضها التوتر السياسي أمام الاستثمار الخاص، وحقيقة أن الموارد العامة تعمل كحزام حامل للموارد الخاصة. كذلك، فإن هناك العنصر الثقافي لـ «التكافل»[٢٢]، وليس من قبيل المصادفة أن معدل الأشخاص الذين يعيشون في حالة فقر مطلق/مدقع لم يتطابق تطابقاً تاماً مع معدلات النمو المتردية. وما لم تحدث تغيرات جذرية عالمية، اقتصادية وثقافية، فإن هذه الخصائص لن تتغير سريعاً ولا بسهولة.

إن درجة البؤس والدمار السائدة الآن في العراق لا يكاد يُناظرها غيرها في أي مكان آخر. كما أن استمرار الاحتلال يسلب حق الشعب العراقي في تقرير المصير. وثمة حاجة في العراق إلى التوفيق بين الاقتصادي والاجتماعي. وبالإضافة إلى هذا، فإن

---

(١٩) V. Lutsky, *Modern History of the Arab Countries* (Beirut: Alfarabi, 1985).

(٢٠) Mohammad A. Tarbush, *The Role of the Military in Politics: A Case Study of Iraq to 1941*, foreword by A. H. Hourani (London; Boston, MA: Kegan Paul International, 1982).

(٢١) انظر الاصدارات الأولى حول: Michael P. Todaro, *Economic Development*, Addison - Wesley Series in Economics ([London]: Prentice Hall Publishers, 1979).

(٢٢) هذا يعني حرفياً توفير ضمان للأقل حظاً من أعضاء المجتمع.

الظروف الفعلية في العراق تقصر عن أن تكون مستقرة و/أو توفر الظروف لإعادة الإعمار[٢٣]. ومن دون مشاركة أصلية للعراقيين في عملية صنع القرار الذي يحدد وجودهم كشعب وكدولة عراقية، لا يمكن للمرء أن يبدأ بالحديث عن إعادة الإعمار. إن مجموعة من المسائل تتمثل في: إعادة تكوين البنية السياسية، وتمكين العراقيين، وتحفيز الخيارات والمؤسسات الاقتصادية المناسبة بشكل فوري، ستتيح للعراق السير في درب طويل استعداداً لمستقبل أفضل. لقد عانى الشعب العراقي لزمن طويل وعانى الكثير. وقد حان الوقت تماماً لكي يتاح له أن يعيش في سلام وأن يسعى إلى الرخاء □

صدر حديثاً:

إشكالية المستقبل في الوعي العربي

د. هادي نعمان الهيتي

هذه الدراسة عملت على الربط بين الوعي العربي بالمستقبل وبين مجمل متغيراته الأساسية، بحيث كانت موضوعاتها الرئيسية قد تناولت تطور النظرة إلى المستقبل، ونظرة المجتمع العربي إلى الماضي، والحاضر، والمستقبل، مع علاقة الوعي بالمستقبل بكل من حدود المشاركة، والتطلعات الاجتماعية، والحداثة، واللغة، وفكرة التقدم، مع التركيز على الروح العلمية، باعتبارها مبعثاً للتفكير العلمي.. يعرّف الكتاب ذلك كله من منظور منهجي ما جعل من الدراسة إطلالة على قضية مهمة من القضايا العربية من منظور علمي.

٢٥٧ صفحة
الثمن: ٨ دولارات
أو ما يعادلها

(٢٣) أبلغ مديرو شركات النفط الكبرى الولايات المتحدة بأنهم لن يستثمروا مبالغ ضخمة في العراق بينما يبقى الوضع الأمني خطراً إلى هذا الحد. وأعربوا في اجتماعات مع مسؤولين أمريكيين على مستوى رفيع، عن قلقهم بشأن نقص الشرعية السياسية للسلطة التي تساندها الولايات المتحدة في العراق. إن عزوف الصناعة عن الاستثمار لأجل طويل هو انتكاسة للجهود الأمريكية لإحياء صناعة النفط العراقية وإعادة بناء اقتصاد العراق. ويقدر خبراء الصناعة أن تكلف ما بين ٣٠ ـ ٤٠ مليار دولار (١٨ ـ ٢٤ مليار استرليني) عملية الحصر الكامل لمخزونات النفط الواسعة الممكنة في العراق.

التنمية الاجتماعية في العراق: المسارات والآفاق مع التركيز على شبكات الأمان الاجتماعي

عدنان ياسين مصطفى

رئيس قسم الدراسات الاجتماعية، بيت الحكمة، بغداد ـ العراق.

مقدمة

هذه الدراسة تستهدف البحث في القضايا الاجتماعية العاجلة في العراق، والسعي لإعطاء تصورات وأفكار باتجاه معالجتها.

وإذا كان تاريخ العمل الاجتماعي في أي مجتمع جزءاً لا يتجزأ من تاريخه، لأن التاريخ نفسه هو الذاكرة الحافظة لتفاصيل التجربة الإنسانية، فإن أهم مصادر الفشل التنموي على الصعيد الاجتماعي في معظم الأقطار النامية هو: الفشل في إدراك البعد الثقافي ـ التاريخي للتنمية. فالحياة الاجتماعية تتطلب عادات مشتركة ومعايير وقيماً مشتركة، كما تتطلب معتقدات وأفكاراً، وهي كلها من العناصر التي تتكون فيها الثقافة. ولذلك، فإن التنمية بقدر ما تحتاج إلى مؤسسات ونظم، فإنها تحتاج أيضاً إلى أنماط سلوكية تتسق مع إجراءاتها، وتدعم أنشطتها.

وفي هذه العجالة لا نريد أن نستقرىء ونتابع مسيرة التنمية على نحو تفصيلي، بل أن نؤشر بعض الخطى التي تحققت عبر تلك المسيرة، كما نؤشر عثراتها من خلال رؤية نقدية موضوعية ليست مقصودة لذاتها بقدر ما هي مقدمة أو مدخل لرؤية مستقبلية، ذلك لأننا ندخل مرحلة جديدة وندشّن عهداً مختلفاً. ولا شك في أن المفاهيم والمرجعيات والإجراءات ستتحرر من طابعها القديم، وسيأخذ الفعل التنموي أبعاداً متباينة، مدركين أن أيديولوجيا الأمس بقدر ما تصلبت وافتقرت إلى المرونة والشفافية، فإنها تنقلب اليوم إلى يوتوبيا فيها من الأمل قدر ما فيها من ضرورات الصبر عليه والعمل الشاق والمتواصل من أجل تحقيقه.

في هذا اللقاء العلمي التاريخي نتطلع إلى أن يكون هناك قدح في الذهن وعصف

للآراء واختلاف حولها. فنحن إذ نتحدث عن المستقبل (وهو بيد الله)، لا نملك في وقتنا هذا وضع تصور محدد سوى الأماني لما نريد أن يكون عليه المجتمع العراقي في المستقبل سواء في المشروعات الاقتصادية أو الاجتماعية.

سنتناول هنا بعض المؤشرات التاريخية عن التنمية الاجتماعية في العراق وصولاً إلى أفق مستقبلي نأمل جميعاً أن نراه متحققاً في زمن قريب قادم.

أولاً: ما تحقق.. وما لم يتحقق

العراق ليس مجرد أرض وشعب، بل إنهما معاً دلالة عبقرية التفاعل المنجز ما بين خبرة تاريخية متراكمة وإرادة إنسانية رشيدة منحت المكان والإنسان هويته المميزة. ولذلك قال حكماء العرب والمسلمون إن العراق جمجمة العرب. وقال قدماؤه إن من يملك العراق يملك الجهات الأربع. وقال شيخ المؤرخين أرنولد توينبي إن العراق مركز الأرض، وأشار جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الأسبق إلى أن العراق هو أخطر بقعة على الأرض. إن مثل هذه الرؤى لا تقتصر على المزايا الجيو ـ بوليتيكية التي يمثلها العراق، ولا تقتصر على ثرواته وموارده، بل هي رؤى مركبة تدرك أن هذا المجتمع كان ضرع حضارة غذت الإنسانية على امتداد زمنها. فقد أبدع العربة كما أبدع الكتابة، وبحث عن الخلود واستكشف العالم السفلي، بقدر ما تطلع إلى الأفلاك دون أن يقطع جذره النابت عميقاً في الأرض. فالحكمة العراقية هي التي أبدعت قوانين أورنمو ولبت عشتار وشريعة حمورابي. وعلى أرض العراق، حيث تتأصل الوحدة في صلب التنوع، تطورت مرجعيات التعامل الإنساني مع البشر. فكان للمسيحية والإسلام دورهما المميز في إيجاد مظلات أمان اجتماعية مؤثرة كالأوقاف والصدقات والجمعيات والهيئات الدينية. وقد كانت لهذه المظلات وشبكات الأمان أدوارها الفاعلة بعد أن أجهز هولاكو على بنيته السياسية، وسحقت سنابك خيله جزءاً كبيراً من نتاجاته الثقافية، وبعد أن دخل العراق مرحلة «الضغط المنخفض» حين هاجمته الرياح من كل مكان وظل أسير التخلف لقرون طويلة استمرت حتى الحرب العالمية الأولى، ثم قيام دولته الفتية عام ١٩٢١ لكي يبدأ مسيرة جديدة في مجالات العمل الاجتماعي اعتمدت أساساً على الأنشطة الطوعية ذات الطابع الديني. فقد أسس الآباء الكرمليون خدمات لرعاية الأيتام في بغداد والبصرة تكاملت أنشطتها مع أنشطة الميتم الإسلامي وجمعية العلل الاجتماعية وجمعية حماية الأطفال وغيرها. ومع أن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تأسست عام ١٩٣٩، فإن جهودها ظلت محدودة جداً. وظل العمل الاجتماعي يتسم بطابع المساعدة الطارئة فاقداً للمضمون التنموي.

> إن ثمار الجهود التنموية في العراق (١٩٧٠-١٩٨٠) سرعان ما أصبحت حطباً لنار الحرب العراقية ـ الإيرانية ولازدياد ضغوط السلطة في الداخل.

لقد كان بناء الدولة العراقية شاقاً، وخصوصاً في النصف الأول من القرن العشرين. وقد قدم الدكتور هاشم جواد في كتابه **مقدمة في كيان العراق الاجتماعي** وصفاً لا يبعث على الرضا عن أحوال العراق آنذاك. ففي حوالى منتصف العقد الرابع من القرن الماضي كان سكان الأرياف يشكلون ما نسبته ٦٥ بالمئة. ومع أن ٢٥ بالمئة من السكان يستوطنون المدن، فإن ما لا يقل عن ١٥ بالمئة منهم كانوا مهاجرين[١]. وقد كان العامل الرئيسي في توزيع السكان هو العامل الاقتصادي، فضلاً عن تأثير الكوارث الطبيعية وقسوة الإجراءات الإقطاعية[٢]. وفي هذه الفترة شهد العراق انتشاراً واسعاً لمختلف الأمراض، وفي مقدمتها الملاريا بنسبة ٥٠,٤ بالمئة من مجموع الأمراض السارية. وكانت الملاريا تؤدي إلى ٥٠,٠٠٠ وفاة سنوياً. ولم تكد حصة مصلحة الصحة العامة تزيد على ٦ بالمئة من مجموع ميزانية البلاد، مقابل ٣٠ بالمئة للدفاع. وقد كشفت لجنة من جامعة كولومبيا عن أن التعليم في العراق آنذاك كان يتسم بالجمود والابتعاد عن حياة الناس. ولم تكن ميزانية التعليم لتزيد على ١١ بالمئة، ولم يتخرج من مراحل الدراسة الثلاث بين عامي ١٩١٩ و ١٩٤٤ سوى ٨١,٠٠٠ طالب[٣].

الشكل رقم (١)

بعض مؤشرات العمل الاجتماعي الرسمية والطوعية في العراق قبل عام ١٩٥٨

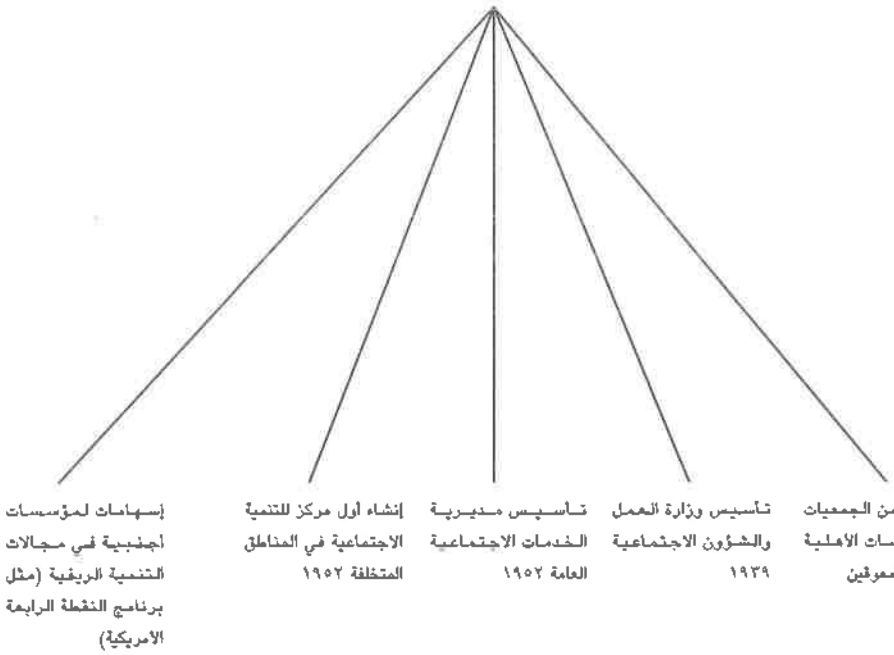

(١) هاشم جواد، **مقدمة في كيان العراق الاجتماعي** ([بغداد: مطبعة المعارف]، ١٩٤٦)، ص ١٧-١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

إن تحولات حدثت مطلع العقد الخامس من القرن الماضي، فقد بدأت الحكومة العراقية بالحصول على ٥١ بالمئة من عائدات النفط. وبذلك تحققت لها موارد يمكن أن تكون مصدراً لحركة تنموية مؤثرة على الصعيد الاجتماعي. وبدأت بالفعل تطبق توصيات اللورد سولتر لإنعاش الاقتصاد العراقي مركزة على المشاريع الصناعية بعد عام ١٩٥٨. غير أن العمل الاجتماعي شهد انحساراً في أنشطته الطوعية واستمر تشتت الجهد بين عدة وزارات وخصوصاً العمل والداخلية والصحة. وخلال الفترة ١٩٥٨-١٩٧٠، اشتدت الصراعات السياسية في المجتمع العراقي، وكان لها تأثيرها المباشر في العملية التنموية. ومع ذلك صدرت قوانين ونظم اجتماعية مهمة في مجالات الرعاية الاجتماعية وإصلاح الأحداث والتأهيل المهني ومنع البغاء وغيرها.

الشكل رقم (٢)

بعض مؤشرات العمل الاجتماعي الرسمية والطوعية في العراق بين عامي ١٩٥٨ و١٩٧٠

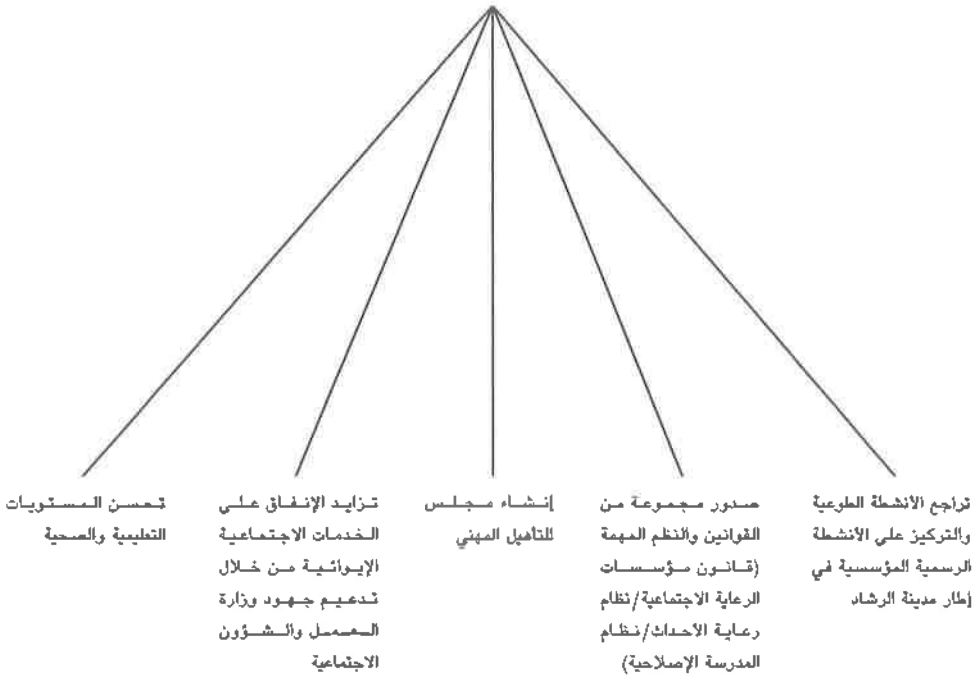

وخلال الفترة ١٩٧٠-١٩٨٠ شهد المجتمع العراقي تطورات تنموية مهمة. فقد حقق الناتج المحلي الإجمالي لعموم الاقتصاد العراقي نمواً كبيراً قدره بحسب بعض التقديرات حوالى ١١,٣ بالمئة سنوياً بين عامي ١٩٧٠ و١٩٨٠. وشهد المجال الاجتماعي بالذات نسبة نمو مقدارها ٥,٨ بالمئة في التعليم والصحة بصورة أساسية. وتزايد نصيب الخدمات الاجتماعية من الناتج المحلي من ٦٩٠ مليون دينار عام ١٩٧٦

إلى مليار دينار بمعدل سنوي بلغ ١٠,٤ بالمئة. وقدرت عائدات النفط بنحو ٩٥ مليار دولار، وعلى أساس ذلك بنيت خطتا التنمية القومية للأعوام ١٩٧٠-١٩٨٠[٤].

الشكل رقم (٣)

بعض مؤشرات التنمية الاجتماعية والعمل الاجتماعي في العراق (١٩٧٠-١٩٨٠)

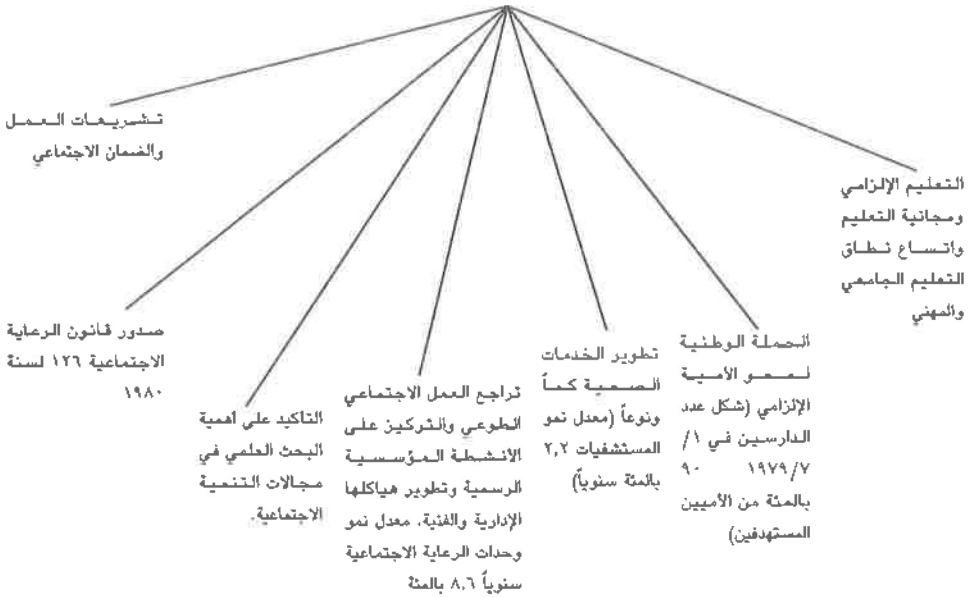

غير أن ثمار الجهود التي بذلت بين عامي ١٩٧٠ و١٩٨٠ سرعان ما أصبحت حطباً لنار الحرب العراقية ـ الإيرانية التي تواصلت لثماني سنوات. وازدادت معها ضغوط السلطة، وتراجعت مؤشرات التنمية البشرية، ولم تعد التنمية ـ حتى في أحسن حالاتها ـ سوى محاولة لتخفيف من احتمالات الانفجار الاجتماعية أو لاستيعاب بعض آثار الحرب. بل إن العمل الاجتماعي قد بدأ يتراجع على نحو واضح خلال عقد الثمانينيات، حيث ألغيت المؤسسة العامة للإصلاح الاجتماعي، والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، وتقلصت مظلة الضمان الاجتماعي للعمال، وتعاظمت أعداد الأسر الفقيرة والأسر التي تعولها الأرامل وزوجات الأسرى والمفقودين، كما تعاظمت وتراكمت ديون العراق الخارجية. ولم يعد العمل الاجتماعي يجد مصادر تمويل كافية. ذلك كله لا يقارن بالظروف والظواهر التي شهدها العقد الأخير من القرن العشرين إثر الاحتلال العراقي للكويت، ودخوله حرباً خاسرة مدمرة عام ١٩٩١، وأثر فرض الحصار عليه بموجب القرار رقم ٦٦١ الذي صدر في ١٩٩٠/٨/٦. والواقع أن السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي استخدمت في العقد الأخير من القرن العشرين أدت إلى نوع من

(٤) محمد علي موسى المعموري، «تحليل سلوك الفقر ـ العراق ـ حالة دراسية،» (رسالة ماجستير غير منشورة، نيسان/أبريل ٢٠٠٠)، ص ١٤.

الحصار الداخلي تعزز يوماً بعد يوم. واحتاج العراق عام ١٩٩٥/١٩٩٦ إلى ٢,٧ مليار دولار لسد النقص في الأغذية حسب تقديرات منظمة الزراعة الدولية(٥). وتناقص مؤشر القوة الشرائية للأسرة بين ٣,٦٢ عام ١٩٩٠ إلى ٠,١٥. وهذا يعني أن الأسرة اضطرت لإنفاق ٨٠ بالمئة من دخلها على الغذاء. وتراجع برنامج الرعاية الاجتماعية للأسر الفقيرة وازداد عدد الأطفال المشردين المنتشرين في الشوارع، وتعاظم عبء الفقر على النساء مع استمرار تآكل الدخل وقيمة العملة الوطنية. فضلاً عن تدهور الأوضاع البيئية وازدياد مصادر تهديد الأمن الاجتماعي وظواهر السلوك المنحرف والرشوة والفساد الإداري وغيرها. ومع أهمية البطاقة التموينية فإنها لم تسد إلا حوالى ٣٥ بالمئة من حاجة العراقيين. ولم تعد مجانية وإلزامية التعليم، ومحو الأمية، والضمان الصحي والاجتماعي سوى هياكل أو مسميات ضعيفة الأثر على صعيد الواقع.

الجدول رقم (١)

بعض مؤشرات التنمية البشرية في العراق عام ١٩٩٧

أ ـ الأشخاص الذين لا يتوقع أن يعيشوا أكثر من ٤٠ سنة	١٥ بالمئة
ب ـ سكان لا يحصلون على الخدمات الصحية	٧ بالمئة
ج ـ سكان لا يحصلون على مياه مأمونة	٢٢ بالمئة
د ـ معدل الأمية بين البالغين	٤٢ بالمئة
هـ ـ أطفال لا يصلون إلى الصف الخامس الابتدائي	٢٨ بالمئة
و ـ معدل وفيات الأمهات لكل ١٠٠ ألف	٣١٠
ز ـ أطفال يموتون قبل إكمال سنة لكل ألف	١٦٩
ح ـ عدم معرفة القراءة والكتابة بين الإناث	٥٥ بالمئة
ط ـ أطفال غير مسجلين في المدارس الابتدائية	٢١ بالمئة

المصدر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، **تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٧** (نيويورك: البرنامج، ١٩٩٧)، ص ٥٥-٥٦.

إن ما تحقق خلال الفترة ١٩٧٠-١٩٨٠ تآكل تدريجياً إلى حد يمكن معه القول إن عوامل التهديد الداخلية فاقت من حيث تأثيرها عوامل الحصار الخارجي وما يتصل به. فقد تعمقت الهوة بين المواطن والسلطة مع تراكم الأخطاء وتعاظم أثر السياسات الخاطئة. وهكذا تلكأت البرامج والإجراءات التي اتخذت لأن الكثير منها أهمل في كثير من جوانبه الإنسان أداة وهدفاً.

---

(٥) منظمة الأغذية والزراعة الدولية، «برنامج الغذاء العالمي،» التقرير رقم ٢٣٧ (تموز/يوليو ١٩٩٣)، ص ٣.

ثانياً: مظاهر الحرمان البشري في العراق

القضية الأساسية في مجال فهم واقع مجتمع الفقراء والمهمّشين في العراق ترتبط بضرورة تحديده سوسيولوجياً. ومن هذه الزاوية فإنه يمكن النظر إليه على أنه يتكون من الفئات المبعدة عن كل من العملية الإنتاجية والعملية الاستهلاكية.

مجتمع التهميش هذا ضمت إليه في السنوات الأخيرة الفئات الوسطى التي أصبحت في حاجة إلى مساعدة اجتماعية بعد التدهور الكبير الذي شهدته وضعيتها الاقتصادية ـ الاجتماعية في عقد التسعينيات.

السنوات العشر الأخيرة أحدثت شللاً مؤسسياً تاماً هدد مصادر الحياة وجعل المجتمع، وبخاصة الفئات الأكثر عرضة للتهميش، في حالة حرمان من مصادر إشباع الحاجات الأساسية.

ولعل أخطر نتائج الحروب والحصار هو بث التضخم في جميع مناحي الحياة، وبسبب استمرار الحالة لمدة طويلة فإن التضخم له آثار بنيوية في المجتمع العراقي. بمعنى أن كثيراً من الممارسات والأفعال قد تمأسست وترسخت في عمق الممارسة اليومية الاجتماعية، بحيث حازت آلياتها على الاعتراف الاجتماعي وتغلغلت في الحس الجمعي للناس في الريف والمدينة. وبنيوية الظاهرة هو مكمن خطورتها، لأن زوالها أمر مستحيل، وإذا زالت فإنها تظهر بكيفيات مختلفة، فكلما فاقم التضخم من انخفاض القيمة الشرائية للنقد أدى ذلك إلى تدهور أكبر في القيم. لذلك يتعين على السياسات القريبة والبعيدة أن تدرك أنه من المحتمل أن تشكل الفئات الهامشية وقوداً لمعارك تدميرية، إذا ما أدركت في الوقت المناسب رؤيتها ضمن حقائق جديدة، أهمها أن هذه الفئات التي تتردى أوضاعها يومياً، تشكل الكتلة الكبرى في اللوحة الاجتماعية الراهنة، وتصبح موضوعاً للرهان والصراع والخطابات الراديكالية الساعية لجذبها إلى حلبة الصراع وتغيير ميزان القوى.

من هنا تنشأ الحاجة إلى إكمال الذهن للتأمل في العديد من الظواهر والسيرورات الاجتماعية المرتبطة عضوياً بالسنن الرئيسية وتحديد ملامح شبكات الأمان الاجتماعي الفاعلة.

إن مظاهر الحرمان البشري في العراق متعددة. ولبعضها جذور عميقة في الثقافة التقليدية، من ذلك مثلاً تلك التي تتعلق بتخلف المرأة عن مسيرة الإسهام في حياة المجتمع، غير أن تلك المظاهر تعاظمت وتفاقمت بعد عام ١٩٩٠ على نحو خطير.

١ ـ المرأة والأسرة

صارت المرأة تمثل ٥٠,٣ بالمئة من مجموع سكان العراق بحسب إحصاء عام ١٩٩٧. ولا شك في أن المرأة العراقية قد نجحت في توكيد ذاتها وتغيير بعض عناصر الصورة النمطية السلبية فيها. كما تعاظم إسهامها في سوق العمل وفي المنظمات

والاتحادات. ومع ذلك، فإن من الممكن القول إن المرأة تحملت ضغوط الحصار وعبء الفقر، ومسؤوليات غياب الزوج، إلى جانب التدهور الصحي والبيئي للأسرة. على الصعيد الدولي وقّع العراق على اتفاقية منع التمييز ضد المرأة، كما أصدر إثر المؤتمر العالمي للمرأة (بكين ١٩٩٥) استراتيجية وطنية للنهوض بالمرأة، غير أن الثغرة بين القانون والواقع ظلت عميقة جداً.

.. كلما فاقم التضخم من انخفاض القيمة الشرائية للنقد أدى ذلك إلى تدهور أكبر في القيم.. مما يتطلب تأمل الظواهر الاجتماعية وتحديد ملامح شبكات الأمان الاجتماعي الفاعلة.

لقد أظهرت دراسة ميدانية أن ٦٠ بالمئة من النساء المعيلات لأسرهن تحملن عبء الحصار، وأن ٢٦ بالمئة منهن يقمن بإعالة ٧ أفراد من الأسرة بالمقارنة مع عبء الإعالة على مستوى المجتمع ككل والبالغ ٣,١ فرد. من جانب آخر بلغ معدل عدد الأطفال الرضع ١٠٧ لكل ألف ولادة حية، و١٣١ لكل ألف من الأطفال دون الخامسة، وبلغ معدل وفيات الأمهات ٢٩٤ لكل عشرة آلاف ولادة حية خلال الفترة ١٩٩٤-١٩٩٨[٦]، وانتشرت الأنيميا بنسبة ٦١ بالمئة بين النساء الحوامل حسب تقديرات منظمة الصحة العالمية. وأشارت دراسات أخرى إلى تزايد أعداد الحالات التي تعرض على أقسام الأمراض النفسية والعصبية في المستشفيات. وقدرت إحدى هذه الدراسات أن ٥٧ بالمئة من النساء يعانين حالات نفسية مرضية كالقلق والاكتئاب والأرق والصداع. وكان تقرير جامعة هارفرد قد أشار إلى نتائج مقاربة[٧]، كل ذلك إلى جانب تدهور الحياة الأسرية وتدني كثافة العلاقات الاجتماعية، إذ ارتفعت حالات الطلاق من ١٩٣٦٨ عام ١٩٨٨ إلى ٢٥٦٥٢ عام ١٩٩٨. كذلك تعاظم عدد المتسربات من المدارس أو غير الملتحقات. وازدادت أيضاً نسبة النساء الأميات.

إن أهم ما يمكن أن نشير إليه هنا هو أن المرأة أصبحت في موضع تحديات كبرى، هي جزء من التحديات التي واجهها المجتمع ذاته وخصوصاً في ظل الحروب والنزاعات والحصار التي انعكست على شخصية المرأة وعلاقاتها الأسرية، وضاعفت من مسؤولياتها على حساب أوضاعها الصحية والتعليمية والنفسية. وعلى الرغم من قيام الحكومة خلال العقود الثلاثة الماضية بأن توجد بعض الآليات والإجراءات للتقليل من مصادر الإحباط وعبء الفقر ومخاطر غياب رب الأسرة، غير أن الأمر لم يكن سهلاً. فقد

---

(٦) انظر: سهام محمد عبد الحميد، **دور المرأة العراقية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية** (بغداد: [د.ن.، د.ت.]، ص ٣٦، و United Nations Children's Fund [UNICEF], *Iraq Child and Maternal Mortality Survey 1999* ([n.p.]: UNICEF, 1999).

(٧) انظر: مها حسن يوسف السالم، «بعض الآثار السلبية للحصار الاقتصادي على الحياة الاجتماعية والنفسية للمرأة العراقية» (بحث غير منشور مقدم للاتحاد العام لنساء العراق، ٢٠٠٠).

أشار تقرير إلى أن حوالى ٣,٥ مليون عراقي من الموظفين والقوات النظامية وبعض العجزة وأرباب المعاشات صاروا يتقاضون رواتب قدرها ٢٠٠٠ دينار شهرياً (كانت تقل عن دولار واحد عام ١٩٩٥). وأضاف التقرير أن ٧١ بالمئة من السكان أصبحوا في وضع مزر، وقد باع الكثير منهم ممتلكاتهم وأثاثهم، بل حجارة منازلهم أيضاً[٨]. وقد حاولت وزارة العمل أن توفر مظلة أمان لهذه الأسر من خلال قانون الرعاية الاجتماعية، حيث بلغ عدد الأسر التي استفادت منه عام ٢٠٠١ ٥٧٧١٤ أسرة صرفت لها رواتب مجموعها ١٣٢٣٢ مليار دينار. كما اضطرت الأسر الفقيرة للاستفادة من صناديق التكافل والزكاة. غير أن كل تلك الإجراءات كانت شكلية، لأن الأسر الفقيرة كانت تعاني مشاكل مركبة صحية وبيئية وسكنية واقتصادية. كما أن نسبة عالية من تلك الأسر كانت تعاني مظاهر التفكك والصراعات بين أفرادها ويسود أجواءها العنف. ولا شك في أن ذلك هو أحد مصادر ارتفاع معدلات الجريمة والجنوح. فقد أشار تقرير لليونيسيف إلى ازدياد أعداد الأحداث الجانحين من ٢٦٠٠ حالة عام ١٩٩١ إلى ٤٤٢٠ حالة عام ١٩٩٦[٩].

٢ ـ الأطفال

يمكن النظر إلى قضايا الأطفال من زوايا متعددة، لكن هناك ظاهرة عامة برزت في المجتمع العراقي خلال العقود الماضية وهي ظاهرة «عسكرة حياة الطفل» و«أدلجة تفكيره» على نحو معين. وإذا تركنا الأطفال الأسوياء، أو ذوي الظروف السوية جانباً، سنجد أن نسبة عالية من أطفال العراق كانت تعيش مآسي بعضها غير ظاهر على السطح. فآلاف الأسر فقدت أولياءها بسبب النزاعات وضغوط الحياة. واضطر آلاف الأطفال للعمل دون السن القانونية لمساعدة أسرهم. وقد أورد تقرير لجامعة الدول العربية إحصاءات مفادها أن الأطفال شكلوا عام ١٩٨٧ ٢,٣٧ بالمئة من قوة العمل في العراق. والواقع أن دراسة أجريت عام ١٩٧٨ وشملت ٨٩١٢ مشروعاً، أظهرت أن عدد الأحداث العاملين ممن هم دون سن العمل بلغ ١٠٣٥٢، أي ٤٨ بالمئة من مجموع العاملين في تلك المشاريع. ولا شك في أن للفقر أثره البالغ في اتساع ظاهرة عمل الأطفال. ويشير تقرير لليونسيف أن التدهور التدريجي للتعليم ترافق مع تعاظم مسؤولية الأسرة في توفير مستلزمات الحياة، وأن عمل الأطفال يحول دون استقرار الدوام في المدارس. وتبدو خطورة عمل الأطفال من حيث علاقتها بالجنوح. فقد قدرت اليونسيف أن عدد الأطفال الذين أحيلوا إلى مؤسسات الأحداث ارتفع بنسبة خمسة أضعاف. وأظهرت إحدى الدراسات أن ٧٠ بالمئة من الأطفال العاملين الذين خضعوا للدراسة ارتكبوا جرائم سرقة، وأن ٤٥,٤ بالمئة يعانون ظروف العمل السيئة. وأظهرت دراسة مهمة أخرى شملت ٦٩ طفلاً يعملون في مهن الحدادة والسمكرة والبقالة في بغداد، أن

---

(٨) منظمة الأغذية والزراعة الدولية، «برنامج الغذاء العالمي،» ص ١٩.

(٩) United Nations Children's Fund [UNICEF], *Situation Analysis of Children and Women in Iraq* (Iraq: UNICEF, 1998).

٤٨,٦ بالمئة منهم يقضون ٩-١٠ ساعات يومياً في العمل، و٣٩ بالمئة منهم تعرضوا للضرب، و٩٤ بالمئة تركوا مقاعد الدراسة، وأن ٦٩,٨ بالمئة يأكلون وجبة طعام واحدة، و٣٣ بالمئة يفكرون بالموت أو الانتحار.

الشكل رقم (٤)

بعض خصائص ظاهرة عمل الأطفال

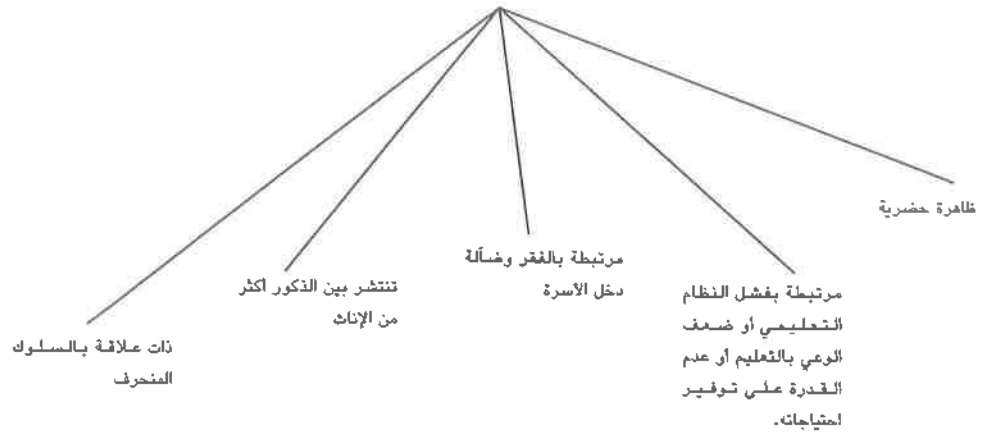

من جانب آخر، اتسعت في المجتمع العراقي ظواهر خطيرة مثل التسول وتشرد الأطفال وأطفال الشوارع، كما اتسعت ظاهرة المرضى والمعوقين بين الأطفال، إذ قدرت اليونسيف عدد الأطفال المعوقين في العراق بحوالى ٣٣٠,٠٠٠ طفل مقابل تراجع كبير في الخدمات المؤسسية والصحية المتوفرة لهم، وخصوصاً بعد عام ١٩٩١.

الشكل رقم (٥)

بعض مؤشرات ظاهرة التسول والتشرد

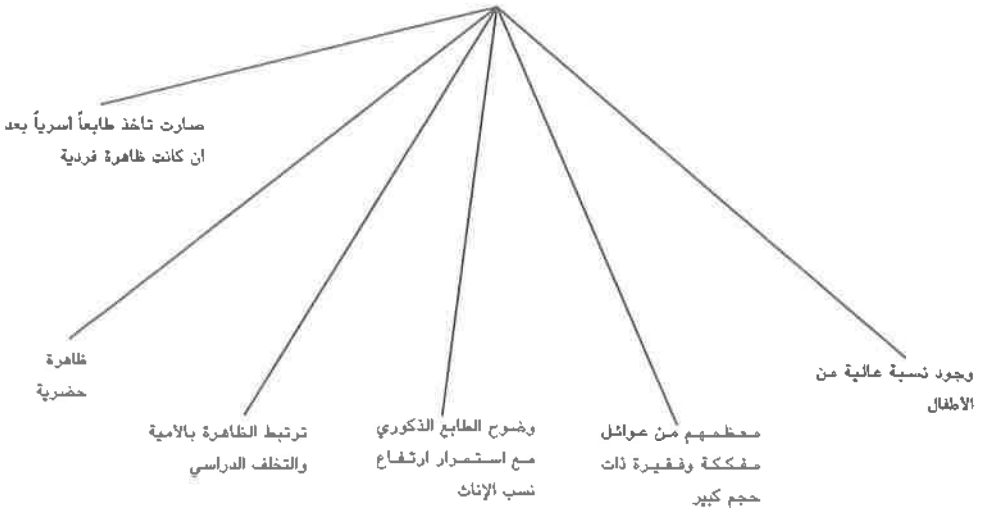

لقد كانت حالات اليتم بسبب وفاة الأب أو غيابه الطويل تغذي ظواهر التشرد والتسول، خصوصاً أن دور الأيتام لم تكن تقدم خدمات تربوية فاعلة تتناسب مع اتساع ظاهرة اليتم بسبب الحروب والنزاعات، بل إن عدد هذه الدور انخفض من ٢٢ داراً عام ١٩٩٠ إلى ١٩ داراً عام ١٩٩٨. وقد شاع بين نزلائها التخلف الدراسي، وأصبحت الحياة فيها مقدمة للانحراف.

٣ ـ المسنون والعجزة

على رغم شيوع ظاهرة الأسرة النواة، فإن الأسرة العراقية ظلت توفر لكبار السن بعض الخدمات المهمة، غير أن اتساع دائرة الحياة الحضرية جعل هذه الشريحة في حالة عوز شديد، وحاجة ماسة إلى الرعاية. وقد حاول قانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لعام ١٩٨٠ أن يحل جانباً من المشكلة من خلال راتب الرعاية. كما أن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أوجدت عدة مؤسسات لهذه الشريحة. إلا أن عددها انخفض من ٩ تضم ٤١٠ مستفيدين إلى ٣ فقط عام ١٩٩٨. ويرجع هذا الانخفاض إلى نقص التمويل على رغم اتساع الظاهرة بشرياً وجغرافياً، ولذلك اتجهت أعداد من كبار السن إلى التسول، وخصوصاً في ظل ضآلة الرواتب التقاعدية وكلفة الخدمات الصحية العالية.

٤ ـ الأيتام ومن في حكمهم

لا شك في أن الحروب والنزاعات التي شهدها المجتمع العراقي طوال العقود الثلاثة الماضية أدت إلى اتساع ظاهرة اليتم سواء بسبب موت الأب أو غيابه الطويل نتيجة الأسر أو الفقدان. كما أن ظروف الحصار قد انعكست بشكل واضح على الأسرة، وخصوصاً غياب أو تقلص مساحة التفاعل الأسري، فالأب والأم إن كانا موجودين فهما مشغولان باهتمامات ضاغطة، والابن لا يجد رعاية حقيقية قادرة على ملء اهتماماته، وقد انعكس ذلك على أنماط التنشئة الاجتماعية، وازدياد معدلات الانحراف.

ثالثاً: شبكات الأمان الاجتماعي في العراق: الفعل والتحدي

إن التحولات المجتمعية السريعة التي شهدها المجتمع العراقي في عقد التسعينيات، وتآكل المكاسب التنموية التي تحققت في عقد السبعينيات، وانهيار الطبقة الوسطى وتدني مستويات المعيشة وارتفاع معدلات الفقر، كلها عوامل أدت إلى زيادة التوترات الاجتماعية وفتحت الطريق أمام المزيد من الانتكاسات المتكررة التي عرّضت البناء الاجتماعي لعدم الاستقرار، الأمر الذي دفع العديد من الباحثين إلى اتباع سياسات اجتماعية جديدة تستهدف الحد من هذه الانعكاسات وتخفيف وطأتها، وبخاصة على الشرائح الفقيرة

وبعض الفئات الأكثر تعرضاً للصدمات (Vulnerable Group) مثل العاطلين عن العمل، والمهمّشين، والإناث الفقيرات، والمتسربين من العملية التربوية، وكذلك المعوقين والمسنين وغيرهم. وما دامت شبكات الأمان الاجتماعي تتكون من حزمة من البرامج الممولة بواسطة الدولة بالدرجة الأولى، يضاف إلى ذلك قدر من التمويل الذي توفره المنظمات غير الحكومية (غير الرسمية) أو المقدمة في إطار برامج المعونة من خلال الشبكات الخاصة، فإن هذه الشبكات تعتمد على مجموعة من الآليات الأساسية في تنفيذ برامجها، تتمثل في برامج دعم أسعار السلع والخدمات الأساسية (غذاء، صحة، نقل، تعليم... الخ)، وبرامج المساعدات والتحويلات المادية والعينية للفئات الشديدة الفقر، وبرامج توليد فرص عمل أو إدخال للفئات التي يمكن مساعدتها على الاندماج الاجتماعي.

الجدول رقم (٢)

شبكات الأمان الاجتماعي في العراق

الشبكات الخاصة	الشبكات الوطنية العامة
١ ـ التأمينات الاجتماعية (تشريعات التقاعد والضمان الاجتماعي: عسكرية ومدنية).	١ ـ توفير الخدمات العامة لجميع أفراد المجتمع.
٢ ـ المساعدات الاجتماعية (تشريعات الرعاية الاجتماعية: (المعوقون، المسنون، العجزة من الفقراء).	٢ ـ دعم أسعار السلع والخدمات الأساسية (صحة، غذاء، تعليم، نقل وغيرها).
٣ ـ برامج المساعدات والتحويلات المادية والعينية للفئات الشديدة الفقر.	٣ ـ تعزيز الرقابة على الأسعار.
٤ ـ برامج توليد فرص عمل أو إدخال للفئات التي يمكن مساعدتها على الاندماج الاجتماعي.	
٥ ـ تشريعات رعاية الأحداث والقاصرين.	
٦ ـ قانون صندوق الزكاة.	

وإذا كانت معطيات الواقع الفعلي في جميع الدول العربية تقلل من أهمية هذه الشبكات وفاعليتها في تخفيف المعاناة الأساسية للشرائح الفقيرة فيها، وتتباين من حيث تركيزها على المناطق الحضرية أو الريفية، وأن تلك الشبكات تعاني تبعات سمة عامة تتمثل في قلة مواردها التمويلية بخاصة، فإن الخطورة تزداد في العراق بسبب اتساع

دائرة الفقر، وارتفاع نسبة الفئات المستهدفة إلى إجمالي السكان، فضلاً عن غياب التنسيق بين الجهات المختلفة المعنية بتنفيذها، مما يؤدي في أغلب الأحيان إلى تداخل وازدواجية برامج المساعدة الممنوحة لبعض المناطق الجغرافية أو لفئات اجتماعية معينة مقابل حرمان مناطق وفئات أخرى من أي شكل من أشكال الضمان أو المساندة الاجتماعية.

ومن الملاحظ أن مكونات هذه الشبكة بعضها عام يستفيد منها المواطنون جميعاً، دون أي اعتبار لفقرهم. وقد اعتمد هذا المنهج في العراق من خلال دعم أسعار السلع والخدمات الأساسية من غذاء وتعليم وصحة ومواصلات وطاقة وغيرها، حيث توسع في فترة الرفاهية الاقتصادية في السبعينيات والثمانينيات، ثم بدأ بالتراجع باتجاه استرجاع كامل الكلفة أو جزء منها. والاتجاه نفسه اعتمد في نظام البطاقة التموينية حيث يحصل كل مواطن على نصيب متماثل، دون أي اعتبار لدرجة فقره أو غناه.

أما البعض الآخر من عناصر الشبكة، فهو خاص، إذ لا تمنح مزاياه إلا للأشخاص الذين تتوفر فيهم الشروط المقررة في القانون المنظم لها.

وهنا تبرز مخاطر أساسية لعل أبرزها:

ـ ضعف الاستهداف، حيث إن أغلبها لا توجّه توجيهاً دقيقاً إلى الفقراء الحقيقيين، لا بل إن البعض منها يساوي في المعاملة بين الفقراء وغيرهم. لقد أصبح قاع المجتمع يعجّ بالفقراء والمحرومين والمهمّشين والعاطلين وغيرهم من ضحايا البطالة والتضخم واللامساواة، مما يحد من الجهود المبذولة في بناء شبكات أمان اجتماعي فاعلة ونموذجية.

ـ تزايد معدلات التمايز الاجتماعي في المجتمع العراقي، في الوقت الذي بقيت فيه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية توسع من رقعة الفقر والحرمان بمختلف صوره وأشكاله.

ـ شيوع مظاهر الفساد الإداري (الرشوة ـ التزوير ـ الاختلاس ـ التهريب)، الأمر الذي دفع العديد من البلدان إلى اللجوء لإقامة شبكات أمان اجتماعي تتسم بالعمومية، لتجنب مشكلات إساءة تنفيذ السياسات الخاصة بشبكات الأمان الأكثر دقة. وهذه الشبكات في حقيقة الأمر لا تسهم في القضاء على ظاهرة الفقر أو التخفيف منها، وإنما تخفف من حجم المعاناة التي يعيشها الفقراء.

وفي العراق تؤكد المعطيات الواقعية عدم فاعلية أغلب عناصر الشبكة. فعلى سبيل المثال، يعكس راتب رعاية الأسرة للمشمولين في راتب الرعاية الاجتماعية، في ضوء ما توفر لدينا من بيانات تقديرية وبشكل واضح، ضعف دور هذا العنصر في الشبكة. فمقياس الكفاءة اعتمد بشكل أساسي على عدد المستفيدين من هذا القانون دون البحث في المقوم الآخر، وهو مقدار التحويلات النقدية المقدمة.

الجدول رقم (٣)

أعداد الأسر الفقيرة المستفيدة من راتب رعاية الأسرة لسنوات مختارة

السنة	العدد	مجموع المبالغ المصروفة (مليون دينار)
١٩٨٠	١٤٧	٠,٦
١٩٨٤	٤٤٧٤١	١٨
١٩٩٠	٧١٧٧٥	٣٥
١٩٩٨	٧٠٢٣٠	٥٨٦ (بعد إضافة ٢٠٠٠ دينار لكل راتب، أي حوالى دولار)
١٩٩٥	٧٠٦٤١	١,٨٦١ مليار
١٩٩٦	٦١٤٦٨	١,٦٠٦ مليار
١٩٩٨	٥٥٢١	١,٥٢٤ مليار
٢٠٠٠	٤٤٩٦١	٢,٤٥٢ مليار
٢٠٠١	٥٧٧١٤	١٣,٢٣٢ مليار

المصدر: انظر: كوثر العبيدي، «المضامين الاجتماعية والاقتصادية لراتب رعاية الأسرة،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم الاجتماع، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٢).

يلاحظ تراجع أعداد الأسر مع ارتفاع حجم المبالغ المصروفة نظراً إلى تآكل قيمة العملة الوطنية مقابل الدولار إلى حد يمكن معه القول إن قيمة الراتب لم تعد تعني شيئاً في ظل التضخم وارتفاع أسعار السلع، لذا فإن عدم كفاية الدخل سواء من خلال راتب الرعاية أو من خلال المصادر الأخرى، أدى إلى الاعتماد على صناديق التكافل والزكاة وعلى الصدقات، بل على التسول أيضاً، وربما الاتجاه إلى ارتكاب أشكال متعددة من السلوك المنحرف.

وبهدف التعرف على فاعلية الشبكة في التخفيف من ظاهرة الفقر، انظر الجدول رقم (٤).

الجدول رقم (٤)

الرعاية الاجتماعية / راتب رعاية الأسرة

السنة	مجموع السكان الكلي/مليون	نسبة الفقر (بالمئة)	عدد الأسر الفقيرة	عدد الأسر المستفيدة	نسبة الأسر المستفيدة إلى الأسر الفقيرة (بالمئة)
١٩٨٦	١٦,٣	٢٤	٥٢١٦٠٠	٤٧,٠٧١	٩
١٩٩٠	١٧,٩	٢٥	٥٩٦,٧٠٠	٦٥,٦٦٨	١١
١٩٩٤	٢٠	٧٠	١,٨٦٦,٦٧٠	٧٠,٢١٦	٣,٧٥

المصدر: انظر: يوسف الياس، «الفئات الأولى بالرعاية وشبكات الأمان الاجتماعي،» بحث مقدم إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ومكتب البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة (مشروع إعداد خطة للتخفيف من الفقر في العراق)، بغداد، آب/أغسطس ١٩٩٩.

وعلى صعيد آخر، فإن ما أنشأته الدولة من مؤسسات لرعاية الأيتام ومن في حكمهم لم يكن يتناسب مع حجم المشكلة. وكذلك الحال بالنسبة إلى أعداد المستفيدين، حيث ازداد عدد دور الرعاية الاجتماعية ثلاثاً فقط بين عامي ١٩٧٩ (كان عددها ٢٢ داراً) وعام ١٩٩٠ (أصبح عددها ٢٥ داراً)، إلا أنه عاد وانخفض إلى ١٩ داراً عام ١٩٩٨[١٠].

الجدول رقم (٥)

أعداد دور الدولة (للأيتام ومن في حكمهم)

وأعداد المستفيدين منها للسنوات المؤشرة

السنة	عدد الدور	المستفيدون		المجموع
		ذكور	إناث	
١٩٧٩	٢٢	٢٢٦	٧٧٧	١٠٠٣
١٩٨٧	٢٥	٦٥١	٤٠٠	١٠٥١
١٩٩٠	٢٥	٧٢٣	٤٨٠	١٢٠٣
١٩٩٨	١٩	٢٢٢	٣٢٠	٥٤٢

ملاحظة: البيانات من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

(١٠) انظر: عبد الحميد، دور المرأة العراقية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ص ٦٦.

خاتمة: أفق المستقبل

ما الذي نحتاجه كي نحقق تنمية اجتماعية ذات مردود إنساني؟ هذا السؤال يثير بلا شك أسئلة أخرى متلاحقة، لعل في مقدمتها: أي تنمية اجتماعية نريد؟ ما علاقتها بالتنمية الاقتصادية؟ ما علاقتها بنمط السلطة الذي سيقوم في المجتمع العراقي بعد انتهاء سلطة الدولة الشمولية؟ ما هي مصادر تمويل هذه التنمية، ولأي رقابة تخضع ومن الذي يقوّم مستوى أداء مؤسساتها؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المهمة.

لقد مر المجتمع العراقي بسنوات عجاف، كانت السلطة فيها مركزية وشمولية إلى حد أصبح المجتمع ذاته امتداداً هامشياً للدولة، محكوماً بإرادتها، ولا يتكلم إلا بصوتها. وقد تدعمت تلك التبعية بتأثير الحصار بوجهيه الداخلي والخارجي، مما ترك آثاراً بنيوية ووظيفية في كل مؤسسات المجتمع. وهكذا بدا ما تحقق في عقد السبعينيات من القرن الماضي مجرد حلم عابر لم يلبث الإنسان العراقي أن صحا منه على قرع طبول الحرب. ولأن التنمية فعل لا يحدث ولا يستمر ولا يؤثر إلا في بيئة سلام، فإن ربع القرن الماضي قد أدى إلى عسكرة المجتمع، وتصاعد حجم التحديات، والعنف، مما أدى بالفعل إلى ضياع جزء كبير مما تحقق في الماضي.

.. المطلوب: دولة تتحرر من فكرة السلطة المطلقة ومنظمات وسيطة بينها وبين المجتمع وسوق يغذي الأمن والتكافل ويتحرر من شراهة الربح..

واليوم، وفي عراق ما بعد الحرب يتكرر السؤال الخطير حول مستقبل هذا المجتمع. فلم يعد للدولة ذات السلطة الشمولية وجود، كما أن الإنسان لم يعد مضطراً لحمل سلاحه والذهاب إلى المجهول، بل لا بد له من أن يسأل دائماً: لماذا؟ فهذا حق من حقوقه. كما أن عليه أن يستمع إلى رأي الآخر. فالديمقراطية ليست مجرد انتخابات، بل هي أيضاً المشاركة الواعية في حياة المجتمع. وربما استطاعت الدولة الشمولية أن تنجح في بعض مجالات الصناعة، لكنها لا يمكن أن تنجح في بناء الإنسان، ولا تستطيع أن تبني من التنمية إلا هياكلها، بل إنها إذا نجحت بتوحيد ظاهري لبنية المجتمع باستخدام أساليب القوة والإجبار، فإن العقل الجمعي يظل أسير الانقسامات الثقافية والعرقية والدينية والطائفية التي تبقى مثل النار تحت الرماد.

التنمية فعل مركب. وهو في أولى سطور صفحاته العديدة يبدأ بنقد ما هو قائم في المجتمع كي يقدم البدائل. وهو إذ يبدأ بالإنسان وينتهي إليه، فإنه يجند كل الممكنات المتاحة ويستثمر الطاقات لكي يعزز الإنجاز بالإنجاز. وحين نقول إن التنمية فعل مركب وإن عناصره متفاضلة متكاملة، فهذا لا يعني صعوبته فقط، بل يعني أن الاجتهاد حوله واسع ومتعدد الأوجه، وأنه ساحة للتنظير الأيديولوجي، بقدر ما هو خطاب لوعود يوتوبية.

إن التنمية الاجتماعية في العراق لم تحقق ما يتناسب مع ما أنفق عليها، إن لم نقل إنها فشلت، ذلك لأن المطلوب هو ليس مجرد الإنفاق. فكيف سيكون الأمر إذا ضاقت مصادر الإنفاق والتمويل كما حدث بعد عام ١٩٩١؟ ولذلك فإن أي تصور مستقبلي للتنمية الاجتماعية في العراق لا بد من أن ينطلق من تشخيص مصادر وعوامل الإخفاقات السابقة طوال أكثر من عقدين. وفي اعتقادنا أن أول تلك المصادر أو العوامل هو أن النظم الشمولية إذ تتصلب أيديولوجياً وتفتقر إلى الرؤية المرنة للواقع، فإنها تحول المجتمع ذاته الى أداة تصبح فيه «التنمية» فعلاً يلبي حاجة السلطة إلى الدعاية لذاتها، وإلى الهياكل التي تعزز هيمنتها، وليس فعلاً يلبي حاجات الإنسان والمجتمع. وتتعاظم الخطورة حين تضفي السلطة على أوامرها ونواهيها طابع القداسة. ولأن النظم الشمولية مركزية على نحو مغلق، فإنها هي التي تخطط، وهي التي تمول، كما أنها هي وليس غيرها من يوجد ويطبق معايير النجاح والفشل، وبالتالي فهي تخنق المبادرات الفردية والطوعية، وتضيّق ساحة المجتمع المدني ومنظماته لكي توجد منظماتها الخاصة المستقلة عنها نظرياً، والدائرة حولها واقعياً.

الشكل رقم (٦)

بعض شروط نجاح التنمية الاجتماعية في العراق في ضوء عوامل الإخفاق التي شهدها المجتمع العراقي خلال العقدين الأخيرين خصوصاً

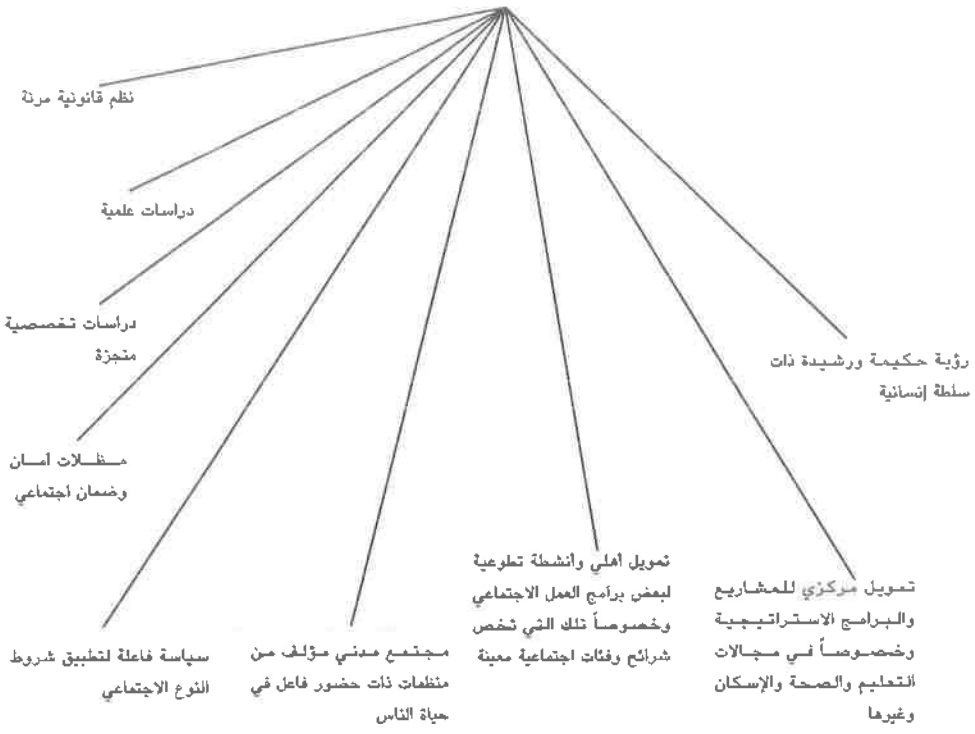

ويمكن التعبير عن تلك الشروط بـ:

قيام عقد اجتماعي جديد بين النظام السياسي والمواطن وبين السوق.

إن هذا التصور يعني أن على العراقيين أن يعيدوا النظر في مجمل البرامج والإجراءات والقوانين السابقة بعين ناقدة والتمسك بما هو صالح أو قابل للتعديل، وذلك حفاظاً على خبرة مفيدة أو تجربة نافعة.

إن أي تصور مستقبلي للتنمية الاجتماعية في العراق لا بد من أن ينطلق من تشخيص مصادر وعوامل الإخفاقات السابقة ليضع شروط نجاح التنمية في المستقبل.

إن عقداً اجتماعياً كالذي أشرنا إليه يتطلب شروطاً معقدة وصعبة. ويمكن أن نشير إلى بعضها في ما يلي:

١ ـ دولة تتخلى عن فكرة السلطة المطلقة (وهي فكرة عاشت في صميم النظام السياسي في العراق على رغم التخفيف الظاهري عنها من خلال المجالس والهيئات الاجتماعية) وتبتعد عن التدخل المباشر في كل الأنشطة مهما كانت المبررات الأيديولوجية.

٢ ـ مجتمع منجز ومبادر تبنى فيه الشخصية على أساس نمط جديد من التنشئة يعزز مشاعر المسؤولية إزاء الآخر، ويحترم رأيه، شخصية تؤمن بمبدأ التطوع قبل التكليف، وترى في العمل الاجتماعي واجباً مقدساً.

٣ ـ سوق يتحرر من شراهة الربح مدركاً أن تلك الشراهة هي التي تمهد للانفجارات الاجتماعية، وتهدد التالي أهم عوامل الحياة في أي سوق، ونعني بذلك الأمن الاجتماعي.

٤ ـ لا بد من وجود منظمات وسيطة بين الدولة والسوق والمجتمع. إن الجمعيات والمجالس البلدية، والمنظمات التخصصية والشعبية للشباب والنساء والأطفال وذوي المهن والعمال وغيرها، تشكل البنية المؤسسية للمجتمع المدني دون أن يعني ذلك العمل خارج الضوابط الضرورية.

٥ ـ يستند العقد الاجتماعي المذكور إلى أحد المميزات الثقافية للعراق والسمة المميزة لهويته عبر التاريخ، ونعني بذلك التعدد في الوحدة، بحيث تصبح برامج التنمية الاجتماعية متاحة للجميع وثمارها توزع على نحو عادل، وأن يكون للجميع شرف الإسهام فيها من دون أي تمييز.

٦ ـ التأكيد على دور المؤسسات الخاصة بالبحث العلمي للظواهر الاجتماعية

والنفسية لما يمكن أن توفره من بيانات عن المشكلات الاجتماعية وعن مسيرة التنمية ومعوقاتها، وعن شخصية الفرد العراقي وهمومه وتطلعاته.

٧ ـ التأكيد على مرونة القوانين وشفافيتها واحترامها دون إضفاء قدسية فائقة عليها وبما يؤمّن مساحة للإبداع.

الشكل رقم (٧)

بعض شروط العقد الاجتماعي المقترح

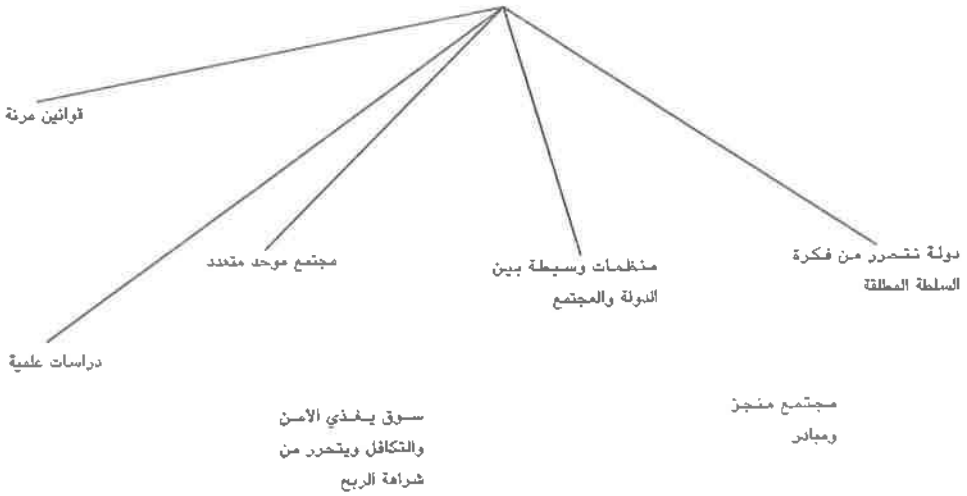

من الضروري أن ينطلق العقد الاجتماعي المقترح من رؤية وظيفية كلية، فإن من المهم أن يستند إلى تحديد واضح للأولويات. ومن الخطأ الاعتقاد بأن كل شيء يمكن أن يحدث بين عشية وضحاها، فنحن بحاجة إلى نمط جديد من التربية والتنشئة، وإلى نمط جديد من المؤسسات يتحرر من عبء الأيديولوجيا وينفتح على حرية فكرية منضبطة ومنتجة، وإلى أداء لا يلغي الآخر، ولا يهمل مطالب الذات، بل إننا نحتاج إلى إعادة نظر في كثير مما نعده ثوابت لا تتغير. وفي اعتقادنا أن المجتمع العراقي قادر على أن يحقق ذلك كله، مع الوقت ومع مزيد من الصبر والمبادرة والإحساس بالمسؤولية الجماعية.

أما على صعيد شبكات الأمان الاجتماعي، فإن المعالجات تقتضي التالي:

أ ـ تحديد مفهوم وطني للفقر، ورسم خطوطه وخارطته، ومن ثم تحديد فئات الفقراء حسب أولويات الرعاية والغاية منها.

ب ـ رسم سياسة واضحة ودقيقة لتحديد فاعلية أداء شبكات الأمان الاجتماعي. وهذا يتطلب منا ضرورة وجود دراسات معمقة ومستمرة لسبر أغوارها وتحديد مدى نجاحها في الوصول إلى الشرائح والفئات المستهدفة ومدى فاعليتها وكفاءتها في تغطية الاحتياجات الأساسية لهذه الفئات.

ج ـ توفير الموارد الكافية لإقامة شبكة أمان اجتماعي فاعلة. وهذا ما يتعذر في الغالب من الحالات، لأن الحاجة إلى الأمان تزداد عادة في الأوقات التي تتوجه فيها سياسات الإنفاق الحكومي إلى الانكماش.

د ـ التأكيد على أهمية تفعيل شبكات الأمان الاجتماعي التقليدية (الزكاة، الصدقات، التكافل) النابعة من ثقافة المجتمع، وهي تنهض بدور كبير في تعزيز قيم التضامن والتماسك وتعزيز الأمن الاجتماعي، ودفع المؤسسات الأهلية إلى أن تنسج بينها شبكة من العلاقات الأفقية والعمودية لكي تتمكن من أداء دورها الإنساني والتنموي.

هـ ـ التأكيد على أهمية الدور الاجتماعي الفاعل للقطاع الخاص في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، ليس من خلال قيام رجال الأعمال بتقديم رعاية اجتماعية أو تبرعات مباشرة للمحتاجين كجزء من عائد أرباح أنشطتهم الاقتصادية، بل من خلال التفاعل مع المشكلات الاجتماعية، وعدم التهرب من مسؤولياتهم، والالتزام بدفع الضرائب المطلوبة، ومراعاة اعتبارات الحفاظ على البيئة، فضلاً عن تعزيز الجوانب الإنسانية للقطاع الخاص وعدم التهرب من حقوق شركائه في العملية الإنتاجية[١١].

و ـ تفعيل دور المنظمات غير الحكومية التي تعتمد معايير المواطن والمشاركة الطوعية من جانب هذه المنظمات في مجالات تقليل الفقر وإدماج المهمّشين والفئات والشرائح الأكثر احتياجاً.

إن تفعيل هذه المؤسسات لا يعني انتقاصاً من الدور الذي تقوم به الدولة والقطاع الخاص، بل إنه يعني تكميلاً لهذا الدور من أجل تدعيم القدرات التنافسية لمواجهة ظروف الأزمات.

وختاماً، نقول إن التجارب التنموية قد أثبتت أن التنمية تحتاج إلى دولة فعالة تقوم بدور الحافز والميسر للتطور، وتشجع أنشطة الأفراد ودوائر الأعمال الخاصة وتكملها. ومما لا شك فيه أن التنمية التي تسيطر عليها الدولة قد فشلت، ولكن فشلت أيضاً التنمية التي تتم بغير تدخل الدولة. وقد أثبت التاريخ مراراً وتكراراً أن الحكومة الجيدة الرشيدة ليست من قبيل الترف، بل هي ضرورة حيوية، فمن دون دولة فعالة يتعذر تحقيق التنمية المستدامة سواء في جانبها الاقتصادي أو الاجتماعي؟ □

---

(١١) عدنان ياسين مصطفى، «شبكات الأمان الاجتماعي العربية: الفعل والتحدي،» **مجلة دراسات اجتماعية** (بيت الحكمة)، العدد ٥ (٢٠٠٠)، ص ٥٩-٦٧.

السياسات الاقتصادية في العراق: الواقع الراهن مع نظرة مستقبلية

باسل جودت الحسيني

مستشار وطني، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ـ بغداد.

أولاً: السياسات الاقتصادية خلال فترة ما قبل الحرب

طال الحديث وتصاعد الاهتمام بالاقتصاد العراقي خلال فترة الحصار وبالسياسات الاقتصادية التي اعتمدت خلال تلك الفترة.

وكان السؤال الذي يتردد كثيراً ويثيره العديد من المنظمات الدولية والوكالات والمؤسسات المختلفة هو: كيف استطاع العراق أن يصمد أمام الظروف الصعبة التي خلقها الحصار الشامل، وما هي السياسات والإجراءات التي اتخذها آنذاك للتصدي لهذه الظروف؟

في الحقيقة لم تتم الإجابة عن هذا التساؤل بشكل واضح ومؤكد وذلك لأسباب عديدة من أهمها:

ـ اتصفت معظم مؤشرات الاقتصاد الكلي بالسرية التامة وكانت أية محاولة للحصول عليها تقترن بمخاطر، وخاصة إذا كان وراء هذا الجهد منظمة دولية. فلم يكن يسمح بالحصول على البيانات الخاصة بالناتج القومي الإجمالي مثلاً إلا بعد مرور خمس سنوات على إصدارها وبالأسعار الجارية، ولا تعطى أية معلومات عن المنهجية التي اعتمدت في احتساب هذا المؤشر.

ـ تخضع عملية احتساب الناتج المحلي الإجمالي إلى عدة أسعار صرف للدولار الأمريكي مقابل الدينار العراقي. ولم يكن بالإمكان الحصول على تبرير مقبول عن السبب في اعتماد مثل هذا الأسلوب من الجهاز المركزي للإحصاء المسؤول عن احتساب هذه المؤشرات.

ـ لا تتضمن عملية احتساب الناتج المحلي الإجمالي ولا بقية المؤشرات، البيانات الخاصة بمحافظات الحكم الذاتي، وهي أربيل ودْهُوكْ والسليمانية، مما تجعلها غير ممثلة للقطر ككل.

بالإضافة إلى ذلك، لم تكن هناك أي سياسة أو استراتيجية اقتصادية معلنة أو يمكن تخمينها، مما أوجد اتفاقاً شبه عام بأن العراق قد اتبع سياسة إدارة الأزمات منذ عام ١٩٩٠ ولغاية كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٥ على أساس أن الحصار حالة مؤقتة ولم يكن يتوقع أنها ستستمر لكل هذه السنين.

وقد ركزت سياسة إدارة الأزمات هذه على ثلاثة جوانب أساسية هي، الأمن الغذائي، والاستثمار، إضافة إلى دعم الأجور والرواتب.

١ ـ **الأمن الغذائي وسياسات الاستثمار**: لقد أعطيت مسألة الأمن الغذائي أسبقية أولى بين بقية المسائل الأخرى، حيث كان من المؤكد أن فرض الحصار في آب/أغسطس ١٩٩٠ سيؤدي إلى شحّة كبيرة في كمية المواد الغذائية المتاحة في السوق، ولا سيما أن العراق يعتمد على الاستيراد في سد نسبة ٧٠ بالمئة من احتياجاته الغذائية.

وكانت إيرادات النفط هي المصدر الأساسي لتغطية نفقات هذه الاستيرادات. لذلك اعتمدت الدولة البطاقة التموينية التي يتم بموجبها توزيع المواد الغذائية الأساسية لكافة المواطنين في عموم القطر. وقد اعترفت معظم المنظمات الدولية العاملة في العراق بأن نظام البطاقة التموينية هذا كان نظاماً ناجحاً إلى حد كبير، وأنه استطاع أن ينقذ العراق من مجاعة مؤكدة على الرغم من افتقار السلة الغذائية التي كانت توزع بسعر رمزي جداً إلى الكثير من العناصر الغذائية المهمة كالبروتين وبعض الفيتامينات الضرورية لجسم الإنسان. ولا بد من الإشارة إلى أن هذه السلة الغذائية منذ البدء بتوزيعها وحتى عام ١٩٩٧ لم تكن توفر أكثر من ١٠٠٠ سعرة حرارية، مع العلم أن الحاجة الأساسية الدنيا لجسم الإنسان هي ٢٥٠٠ سعرة حسب معيار منظمة الصحة العالمية.

إضافة إلى الحصة الغذائية، تم التركيز على إنتاج المحاصيل الاستراتيجية مثل: الحنطة والشعير والرز والذرة وزهرة الشمس، حيث ألزم المنتجون بزراعة نسبة معينة من أراضيهم بالحبوب وإلزامهم بتسويقها إلى الدولة حصراً وبأسعار محددة.

وقد لوحظ أن هذا التوجه في القطاع الزراعي أدى إلى ظهور نتائج سلبية كثيرة كان من أهمها: اللجوء إلى زراعة أراضٍ ذات غلة واطئة بالحبوب دون الاكتراث بتطبيق الدورات الزراعية منعاً لتدهور التربة، إضافة إلى أن توزيع مدخلات الإنتاج بأسعار مدعومة، وبخاصة الأسمدة الكيميائية، دفع بالعديد من الفلاحين إلى بيعها إلى منتجين آخرين ممن ينتجون محاصيل ذات ربحية عالية. لذلك تم تعديل هذه السياسة بعد سنة ١٩٩٦ وأصبح السعر المجزي هو المعول عليه في تحفيز المزارعين على إنتاج وتسويق المحاصيل الاستراتيجية.

أما في مجال سياسة الاستثمار، فقد تمت مراجعة المشاريع الاستثمارية الممولة من قبل الدولة بشكل مباشر، وأعطيت الأولوية للمشاريع الإنتاجية المهمة. كما توقفت المشاريع التي تحتاج إلى النقد الأجنبي، وتلك التي تم التعاقد على تنفيذها بواسطة شركات أجنبية. وكان من الطبيعي أن يكون القطاع الخاص إحدى ضحايا هذه السياسة بسبب اعتماده الكبير على دعم الدولة، ولا سيما في مجال توفير ما يحتاجه من النقد الأجنبي.

> المنظمات الدولية العاملة في العراق اعترفت بأن نظام البطاقة التموينية كان ناجحاً إلى حد كبير، وأنه استطاع أن ينقذ العراق من مجاعة مؤكدة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى حملة إعادة إعمار البنى الارتكازية والمرافق الإنتاجية التي دمرها القصف الجوي منذ بدء حرب الخليج في ١٩٩١/١/١٧. وقد ساعد تراكم الخزين من المكائن والمعدات وتوفر مواد البناء محلياً على إنجاز هذه الحملة خلال فترة قياسية بدأت في منتصف عام ١٩٩١، وانتهت في نهاية عام ١٩٩٣، حيث أعادت إعمار كافة ما دمر أثناء الحرب، بل تجاوزته إلى إنشاء مشاريع أخرى جديدة.

وفي غياب الموارد النفطية ومحدودية إمكانية الاقتراض من الجمهور عن طريق سندات الخزينة، لجأت الدولة إلى تمويل العجز في الموازنة العامة عن طريق الإصدار النقدي الذي أدى إلى ارتفاع حاد في المستوى العام للأسعار بلغت ذروته في نهاية عام ١٩٩٥، حيث ارتفعت الأسعار ٧٠٠ مرة عما كانت عليه عام ١٩٨٨.

لقد أدت مستويات التضخم العالية هذه إلى إعادة توزيع الدخل لصالح الطبقات الغنية وإفقار الطبقات المتوسطة، وبذلك ازدادت إلى حد كبير الطبقات الفقيرة. ولم يكن الجهاز الضريبي بالمرونة والكفاءة اللازمتين لمعالجة هذا النمط الجديد من توزيع الدخل، مما ساعد على تعميق التباين في مستويات الدخل.

٢ ـ **سياسة الرواتب والأجور**: لقد حاولت الدولة اعتماد سياسة معينة لمعالجة آثار انخفاض القوة الشرائية للرواتب والأجور، وذلك بمنح زيادات نسبية أو مطلقة، إلا أن هذه الزيادات كانت أقل بكثير من الانخفاض الحاصل في القوة الشرائية، مما تسبب في ترك الكثيرين من موظفي الدولة وظائفهم، وبخاصة أصحاب الكفاءة منهم الذين استطاعوا أن يحصلوا على فرصة عمل أفضل خارج القطر أو داخله.

ثانياً: السياسات الاقتصادية بعد عام ١٩٩٦

تفاقم الوضع الاقتصادي في العراق وبلغ ذروته في كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٩٥، حيث تجاوز سعر الصرف للدولار الأمريكي مقابل الدينار العراقي حاجز الـ ٣٠٠٠ دينار للدولار الواحد. وبما أن معظم أسعار السلع في السوق تقاس بموجب

سعر الصرف هذا، فقد أصبح متوسط راتب الموظف الذي كان بحدود ٣٠٠٠ دينار يعادل دولاراً أمريكياً واحداً بقوته الشرائية.

لقد كان وصول الحالة الاقتصادية إلى هذا المستوى المتدني وتطبيقاته على حياة الإنسان العراقي بمثابة إنذار بوشوك حصول انفجار كبير أجبر الحكومة على قبول برنامج النفط مقابل الغذاء. ومع إعلان موافقة الحكومة على هذا البرنامج وخلال أقل من ثلاثة أيام انخفض سعر الصرف إلى أقل من ٥٠٠ دينار للدولار الواحد مما تسبب في خسائر كبيرة للعديد من أصحاب الأعمال والتجار.

مع القبول ببرنامج النفط مقابل الغذاء، أصبحت هناك قناعة لدى القيادة العراقية بأن الحصار سيستمر لفترة طويلة من الزمن، ولا بد من اتخاذ الإجراءات اللازمة للحيلولة دون عودة الاقتصاد إلى الحالة التي وصل إليها في نهاية عام ١٩٩٥. وبذلك وجه رئيس الجمهورية رسالة إلى مجلس الوزراء تضمنت المبادىء الأساسية التي سارت عليها الدولة بعد عام ١٩٩٥ مركزة على خفض الإنفاق الحكومي ومن ضمنه عدم منح أية زيادة في الرواتب والأجور، والتوقف عن إصدار أوراق نقدية إضافية، وزيادة موارد الدولة من خلال الضرائب والرسوم وإلغاء الإعفاءات وإعادة النظر في الدعم وإيقاف المساعدات.

وعلى الرغم من النتائج الإيجابية التي تحققت بتطبيق بنود هذه الرسالة المتمثلة بإحداث توازن في موازنة الدولة والحد من وتائر التضخم والتوقف الفعلي عن الإصدار النقدي، إلا أن الاقتصاد استمر في حالة الركود بسبب المغالاة في فرض الضرائب والرسوم والإجراءات الأخرى التي اعتمدت لسحب السيولة من السوق وزيادة إيرادات الدولة. كل ذلك تطلب اتخاذ إجراءات إضافية لتفعيل الاقتصاد العراقي وخلق فرص عمل بدأت في عام ٢٠٠٠، حيث شملت هذه الإجراءات منح امتيازات للمشاريع المنتجة لوسائل الإنتاج ولتلك التي تستخدم مدخلات إنتاج محلية. ومن هذه الامتيازات شمولها بالإعفاء من ضريبة الأرباح لمدة ٥ ـ ١٠ سنوات ومنح مواقع بإيجارات رمزية. كما شملت هذه الإجراءات إنشاء صندوق للتنمية يهدف الى منح قروض للمشاريع المشمولة بهذه الامتيازات.

أما في المجال الزراعي، فقد استمرت الدولة بمنح أسعار مشجعة لشراء المحاصيل الأساسية والحبوب المستخدمة في الإنتاج الصناعي، إلا أنها تركت الخيار للمزارعين بتسليم المنتجات إلى الدولة أو بيعها في السوق بما في ذلك عبر المنافذ الحدودية.

لقد تزامنت رسالة رئيس الجمهورية هذه مع الموافقة على برنامج النفط مقابل الغذاء في بداية عام ١٩٩٦ الذي ركز في مراحله الأولى على توفير الغذاء، حيث تحسنت محتويات الحصة التموينية بشكل ملحوظ، وارتفعت السعرات الحرارية التي تقدمها للشخص الواحد إلى ٢٠٠٠ سعرة حرارية تقريباً. إلا أنه مع ذلك فشل في تخفيض وفيات الأطفال وحالات سوء التغذية المزمنة بشكل مؤثر. إضافة إلى ذلك، فإن هذا

البرنامج لا يمنح أي دخل نقدي للحكومة ولم يوجّه لتسديد الديون الخارجية المترتبة على العراق، كما هو الحال بالنسبة الى التعويضات التي خصص لها البرنامج ٣٠ بالمئة من العوائد النفطية.

وبذلك بقيت الديون الخارجية الناجمة عن الحرب العراقية ـ الإيرانية وحرب الخليج إحدى المشكلات الأساسية التي تهدد مستقبل الاقتصاد العراقي.

١ ـ **الديون الخارجية**: لقد اختلفت البيانات حول حجم الديون الخارجية للعراق، وكانت مثل هذه البيانات محاطة بالسرية التامة، إلا أنه أمكن الآن الحصول على بيانات قريبة إلى الدقة. فقد أشار التقرير المقدم للأمين العام للأمم المتحدة عام ١٩٩١ إلى أن ديون العراق بلغت آنذاك ٤١ مليار دولار عدا الخليجية منها، لأنها كانت بمثابة منح أو مساعدات. وهذه تقدر بـ ٢٧ مليار دولار، ومعظم هذه الديون ناجم عن اتفاقيات ثنائية عسكرية في الغالب، عدا بعض الاتفاقيات المعقودة مع اليابان وفرنسا والصين.

إن عدم قدرة العراق على تسديد الديون بسبب الحصار وعدم قدرته على بيع النفط زاد من صعوبة الموقف، فالفوائد المتراكمة على هذه الديون لغاية عام ١٩٩١ بلغت ١٣ مليار دولار، وبذلك أصبح مقدار الديون وفوائدها عام ١٩٩١ حوالى ٥٤ مليون دولار.

ومع احتساب فائدة مركبة منذ ذلك العام وحتى الوقت الحاضر وبمعدل ٦ بالمئة، يصبح مقدار الديون حوالى ١٠١ مليار دولار. وإذا أضفنا إلى هذا المبلغ الديون الخليجية فسوف تصبح بحدود ١٢٨ مليار دولار.

ولا شك في أن هذا المبلغ يعتبر عبئاً كبيراً على الاقتصاد العراقي في الوقت الحاضر الذي يحتاج إلى مليارات الدولارات لإعادة إعمار ما خلفته الحرب من دمار، وتحسين مستوى المعيشة.

والمشكلة هنا أن العراق لم يستفد من هذه الديون لأن أغلبها كان لأغراض عسكرية. ومع ذلك فإن الفوائد المتراكمة على هذه الديون قابلة للنقاش بجدية في مفاوضات مع نادي باريس لأنها تراكمت خلال التسعينيات، أي خلال فترة الحصار الذي فرض على العراق بقرار من مجلس الأمن، ومن المؤكد أن يحصل العراق على نتائج إيجابية من خلال التعاطف مع وضعه الراهن في ظل الظروف الجديدة الحالية.

ومن جهة أخرى، كانت طلبات التعويض، سواء التي أُقرت أو قيد الدراسة مبالغاً فيها. وقد بلغت التعويضات المقرة حوالى ٣٥ مليار دولار، في حين بلغ الحجم الإجمالي، أي حجم مبلغ الطلبات المقدمة بحدود ٧٠ مليار دولار. وفي ضوء الظروف الراهنة، كان لا بد من إعادة النظر في حجم هذه التعويضات، حيث خفضت نسبة ما يستقطع لها من واردات النفط من ٣٠ بالمئة إلى ٢٥ بالمئة، ثم إلى ٥ بالمئة، بموجب قرار مجلس الأمن الأخير الخاص برفع العقوبات عن العراق.

٢ ـ **البطالة**: من الأعباء الأخرى التي يعانيها العراق، والتي لا تتوفر حولها أية بيانات رسمية، مشكلة البطالة. وعلى الرغم من عدم توفر البيانات والإحصاءات المحدثة حول هذه الظاهرة، إلا أن هناك مؤشرات عامة يمكن اللجوء إليها واستخدامها لتقدير حجم البطالة في القطر.

لقد أظهر إحصاء عام ١٩٩٧ أن حجم السكان في سن العمل بلغ ٥٣ بالمئة من مجموع السكان، أي بحدود ١٢ مليون شخص. إن القدرة على إيجاد فرص عمل لهذا العدد الكبير من السكان يعتمد على قدرة الدولة على الإنفاق وخلق فرص العمل وتشجيع القطاع الخاص.

الإجراءات التي اعتمدت من قبل قوات الاحتلال مؤخراً بحل الجيش العراقي والأمن والمخابرات والأمن الخاص ستزيد المشكلة تفاقماً، إذ لا يقل عدد هؤلاء عن المليون شخص.

وكما ذكرنا سابقاً، فإن السياسة الاقتصادية منذ عام ١٩٩٥ استهدت تقليص الإنفاق الحكومي وعدم خلق وظائف جديدة أو منح زيادات في الرواتب والأجور. إضافة إلى ذلك، كان دور القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي جزئياً على الرغم من الدعوات في السنوات الأخيرة إلى دعم هذا القطاع، حيث إن ارتفاع نسبة الضرائب والرسوم بشكل كبير، وإلغاء الإعفاءات منذ عام ١٩٩٥، جعلا مساهمة هذا القطاع في خلق فرص العمل ضئيلة جداً، في الوقت الذي تزداد فيه الحاجة إلى ذلك بسبب الزيادة في حجم السكان في سن العمل التي تنمو بوتائر أعلى من النمو السكاني، إذ بلغ معدل النمو ٣,١-٣,٣ بالمئة سنوياً، في حين بلغ معدل النمو السكاني ٢,٩ بالمئة.

ويلاحظ أن القطاع العام لا يشغل إلا ١٥ بالمئة من قوة العمل الفعلية، وهذه النسبة تمثل ٧ بالمئة من مجموع السكان في سن العمل. لذا فإن حجم التشغيل في القطاع العام لا يشكل نسبة مؤثرة في حجم الدخل المتحقق. ويبدو أن الإناث من السكان في سن العمل يملن إلى العمل في القطاع العام، حيث ارتفعت نسبتهن من ١٢ بالمئة عام ١٩٦٨ إلى ٤٠ بالمئة عام ٢٠٠٠. إلا أن الصورة الإجمالية لمساهمة المرأة في قوة العمل تشير إلى انخفاض هذه المساهمة من ١٢ بالمئة عام ١٩٨٧ إلى ٩ بالمئة عام ١٩٩٧.

ومما تقدم، يلاحظ أن ٤٠ بالمئة من السكان القادرين على العمل هم في حالة بطالة، وإذا تم توزيع هذه النسبة حسب الجنس وحسب المحافظات فسوف نجد أنها تتركز في مراكز المدن، وأن هناك تفاوتاً واضحاً بين المحافظات من جهة، وبين الريف والحضر وبين النساء والرجال من جهة أخرى.

ولا بد من التأكيد أن الإجراءات التي اعتمدت من قبل قوات الاحتلال مؤخراً بحل الجيش العراقي والأمن والمخابرات والأمن الخاص ستزيد من تفاقم المشكلة، إذ لا يقل

عدد هؤلاء عن المليون شخص، أضف إلى ذلك توقف معظم المشاريع والمعامل عن العمل بسبب سوء الحالة الأمنية من جهة، وعدم توفر الطاقة الكهربائية من جهة أخرى، إضافة إلى حالة عدم اليقين المرتبطة بمجمل الأوضاع الأمنية والسياسية في القطر.

والنتيجة الطبيعية إلى مثل هذا الوضع هو زيادة نسبة البطالة بشكل كبير، مما حدا البعض على القول إن معظم الشعب العراقي هو اليوم في بطالة سواء حقيقية أم مقنّعة.

٣ ـ الدخل القومي والناتج المحلي الإجمالي: يعتبر التقرير الخاص بمؤشرات تطور الاقتصاد العراقي من التقارير السرية التي يقتصر تداولها على مستوى المسؤولين الكبار وربما يقتصر تداوله من قبل الوزراء فقط. بمعنى آخر، إن البيانات التي يتضمنها هذا التقرير تستخدم لصنع القرار والتخطيط للمراحل اللاحقة. ومع ذلك نجد أن البيانات الواردة فيه هي بيانات لا يصعب على أي اقتصادي أن يشخّص الخلل الكبير في مدى دقتها. فيشير هذا التقرير إلى أن الدخل القومي شهد تطوراً ملحوظاً خلال المدة ١٩٦٨–١٩٩٩ حيث ارتفع من ٨١٢,٥ مليون دينار عام ١٩٦٨ إلى ٥٥٨٢٦٢٢,٦ مليون دينار عام ١٩٩٩، وبذلك يكون قد حقق معدلاً سنوياً مركباً للنمو قدره ٣٣ بالمئة.

إن معدل النمو المرتفع هذا لا يمكن قبوله خلال فترة ٣١ سنة كانت ١٩ سنة منها سنوات حرب وحصار، والأسوأ من ذلك أن التقرير نفسه يشير إلى أن معدل النمو السنوي المركب خلال السنوات ١٩٦٨–١٩٨٠ بلغ ٢٧,٨ بالمئة، في حين بلغ معدل النمو هذا خلال السنوات ١٩٨٠–١٩٩٩، أي خلال سنوات الحرب العراقية ـ الإيرانية والحصار وحرب الخليج ٣٦,٣ بالمئة.

لا بد من أن يكون من الصعب القبول بهذه البيانات التي تشير إلى أن معدل النمو في الدخل القومي خلال فترة تأميم النفط والتنمية الانفجارية خلال السبعينيات ـ كما كانت تسمى ـ كان أقل من معدل نموه خلال سنوات الحرب والحصار الشامل.

إن زيادة الدخل القومي من ٨١٢,٥ مليون دينار عام ١٩٦٨ إلى ٥٥٨٢٦٢٢,٦ لم تأخذ بنظر الاعتبار القيمة الحقيقية للدينار العراقي الذي بدأ بسعر ٣,١ دولار للدينار الواحد عام ١٩٦٨ لينتهي بسعر صرف بلغ ٢٠٠٠ دينار للدولار الواحد. وكان قد تجاوز الثلاثة آلاف دينار للدولار الواحد خلال العام ١٩٩٥.

فالقيمة المجردة للدينار في حسابات الدخل القومي هي قيمة مضللة لا يمكن اعتمادها لأغراض التخطيط ورسم السياسات واتخاذ القرار.

وبطبيعة الحال، اعتمدت هذه البيانات نفسها في احتساب متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي لتبين أن متوسط نصيب الفرد قد ازداد بمعدل نمو سنوي قدره ٢٨,٩ بالمئة خلال الفترة ١٩٦٨–١٩٩٩، وأن هذا المعدل قد ارتفع إلى ٨١,٤ بالمئة سنوياً خلال الفترة ١٩٩٠–١٩٩٩.

ومن المفيد أن التقرير المذكور قد تضمن بيانات الناتج المحلي الإجمالي ومتوسط نصيب الفرد منه بالأسعار الجارية والثابتة لعام ١٩٨٨. والجدول التالي يبين مقدار الاختلاف بين هاتين القيمتين:

الجدول رقم (١)

مقارنة بين الناتج الإجمالي ومتوسط نصيب الفرد منه

السنة	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية (ملايين الدنانير)	متوسط نصيب الفرد (دينار)	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة (ملايين الدنانير)	متوسط نصيب الفرد (دينار)
١٩٨٨	١٩٤٣٢,٢	١١٥١,١	١٩٤٣٢,٢	١١٥١,١
١٩٨٩	٢٠٤٠٧,٩	١١٤٠,٧	١٨٨٢٦,٢	١٠٨٠,٢
١٩٩٠	٢٢٨٤٨,٣	١٢٧٧,٢	١٦٣٧٣,٤	٩١٥,٢
١٩٩١	٢١٣١٣,٣	١١٥٧,١	٧١٣٤,٨	٣٨٧,٤
١٩٩٢	٥٦٨١٣,٦	٢٩٩٨,٢	٨٩٦٤,٠	٤٧٣,١
١٩٩٣	١٤٠٥١٧,٩	٧٢١٤,٢	١٣٣١٨,٤	٦٨٣,٨
١٩٩٤	٧٠٣٨٢١,٣	٣٥١٧٨,٨	١٢٧٠٣,٤	٦٣٤,٩
١٩٩٥	٢٢٥٢٢٦٣,٨	١٠٩٦٧٣,٩	١٠٣٧٦,٨	٥٠٥,٣
١٩٩٦	٢٥٥٦٣٠٧,٠	١٢١٠١٤,٣	١٥٥٢٧,٨	٧٣٥,١
١٩٩٧	٣٢٨٦٩٢٤,٧	١٤٩١٣٤,٥	١٨٩٢٦,١	٨٥٨,٧
١٩٩٨	٤٤٦٧٠٠٤,٧	١٩٩٦٠٩,٠	١٨٤٣٠,٧	٨٢٣,٦
١٩٩٩	٦٣٠١٢٨٥,٣	٢٦٩٢٥١,٠	٤١٧٩٨,٣	١٧٨٦,٠

ويلاحظ من بيانات الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية زيادة سنوية كبيرة تحققت خلال السنوات ١٩٦٨-١٩٩٩، وأن معدل النمو السنوي المركب المتحقق قد سجل وتائر عالية، وبخاصة خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٩، حيث سجلت معدل نمو مركب سنوي مقداره ٨٦,٧ بالمئة بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي، و٨١,٢ بالمئة بالنسبة إلى متوسط نصيب الفرد منه خلال الحقبة نفسها من الزمن كما هو مبين في الجدول رقم (٢).

وعلى النقيض من ذلك، يبين الجدول رقم (١) أيضاً أن احتساب قيمة الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة لسنة ١٩٨٨ قد أظهر تراجع هذه القيمة خلال السنوات ١٩٨٨-١٩٩٢، ثم سجلت زيادة ملحوظة خلال العامين ١٩٩٢ و١٩٩٣ اللذين تركزت

خلالهما حملة إعادة إعمار ما خربته الحرب، حيث عاد بعدها الناتج القومي بالانخفاض خلال عام ١٩٩٤ ثم بدأ بالارتفاع من عام ١٩٩٥، حيث شكل هذا العام طفرة كبيرة في قيمة الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ بسبب البدء ببرنامج النفط مقابل الغذاء. ومن المعتقد أن هناك خطأً كبيراً في ما يتعلق بقيمة الناتج المحلي الإجمالي للعام ١٩٩٥. فالمعروف أن موافقة العراق على برنامج النفط مقابل الغذاء كانت في نهاية عام ١٩٩٥، إلا أن بيع النفط والبدء باستلام العوائد لم يبدأ إلا في النصف الثاني من عام ١٩٩٦. ويظهر الجدول كذلك أن معدل النمو المركب السنوي للفترة ١٩٩٠-١٩٩٩ بلغت ١١,٠ بالمئة بسبب الإيرادات النفطية بعد عام ١٩٩٦، وأن نمو متوسط نصيب الفرد منه كان ٥,٧ بالمئة خلال الفترة نفسها. على جانب آخر، كانت معدلات النمو السنوي المركب لمعظم الفترات الزمنية سالبة ما عدا الفترة ١٩٩٠-١٩٩٩، حيث سجلت معدلاً سنوياً قدره ٥,٧ بالمئة. وهذه الزيادة في معدل النمو تعود إلى الواردات النفطية التي أعقبت موافقة العراق على برنامج النفط مقابل الغذاء.

الجدول رقم (٢)

معدل النمو السنوي المركب للناتج المحلي الإجمالي ونصيب الفرد منه

السنوات	الناتج القومي الإجمالي(بالمئة)		نصيب الفرد منه	
	بالأسعار الجارية	بالأسعار الثابتة	بالأسعار الجارية	بالأسعار الثابتة
١٩٩٩-١٩٦٨	٣٢,٥	-	٢٨,٤	-
١٩٨٠-١٩٦٨	٢٥,٥	-	٢١,٣	-
١٩٩٩-١٩٨٠	٣٧,١	-	٣٣,٠	-
١٩٩٩-١٩٩٠	٨٦,٧	١١,٠	٨١,٢	٥,٧

٤ ـ الناتج المحلي الإجمالي حسب الأنشطة الزراعية: بلغت قيمة الناتج المحلي الإجمالي في النشاط الزراعي بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ (٣٤٤٧,٨) مليون دينار عام ١٩٩٠، وارتفعت إلى ٤٣٩٥٠,٠ مليون دينار عام ١٩٩٩، حيث بلغ معدل النمو خلال هذه الفترة ٢,٧ بالمئة في حين كان معدل النمو بالأسعار الجارية ٩٨,٢ بالمئة خلال الفترة نفسها.

وفي مجال الصناعة التحويلية، ارتفعت قيمة الناتج المحلي الإجمالي من ٣٣٣٩,٥ مليون دينار عام ١٩٩٠ بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ إلى ٣٨٤٤,٧ في عام ١٩٩٩، حيث بلغ معدل النمو السنوي خلال هذه الفترة ١,٦ بالمئة فقط في حين كانت هذه النسبة تساوي ٦٨,٢ بالمئة إذا ما حسبت بالأسعار الجارية.

أما قطاع الماء والكهرباء، فكان أكثر ضحايا الحصار وحرب الخليج، حيث انخفضت قيمة الناتج المحلي الإجمالي في هذا القطاع من ٢٩٧,٨ مليون دينار عام ١٩٩٠ بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ إلى ٢٧٥,٤ مليون دينار عام ١٩٩٩. وبذلك سجل معدل النمو السنوي انخفاضاً بنسبة ٠,٩ بالمئة خلال المدة المذكورة.

ويعتبر قطاع البناء والتشييد من أكثر القطاعات تأثراً بالحصار وبالعواقب الناجمة عن حرب الخليج، حيث بلغت قيمة الناتج المحلي الإجمالي في هذا القطاع (٣٠٧٧,٣) مليون دينار عام ١٩٩٠ وبالأسعار الثابتة لسنة ١٩٨٨. وقد انخفضت هذه القيمة إلى ٢٢٩,٦ مليون دينار فقط في عام ١٩٩٩، أي أنها انخفضت بمعدل سنوي بلغ ٢٥,١ خلال هذه المدة.

كانت سائر القطاعات ضحايا الحصار وحرب الخليج.. على أنه من الواضح أن القطاع النفطي كان القطاع الوحيد الذي تضرر بشكل مباشر وفوري عند فرض الحصار، إذ توقف تصدير النفط حتى قبول برنامج النفط مقابل الغذاء..

وقد كان قطاع النقل والمواصلات أوفر حظاً من القطاعين السابقين، حيث ارتفعت قيمة الناتج المحلي في هذا القطاع من ١٨٩٦،٥ مليون دينار عام ١٩٩٠ بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ إلى ٢٥٠٩,٩ مليون دينار في عام ١٩٩٩، أي أنها زادت بمعدل نمو سنوي مركب مقداره ٣,٢ بالمئة خلال هذه المدة.

ومن القطاعات الأخرى التي اتصفت بمعدلات نمو سلبية خلال عقد التسعينيات هو قطاع نشاط التجارة، حيث انخفضت قيمة الإنتاج في هذا القطاع من ٢٤٧٥,١ مليون دينار في عام ١٩٩٠ وبالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ الى ١٧٦٠,٨ مليون دينار عام ١٩٩٩، أي بمعدل سنوي مركب مقداره ٣,٥ بالمئة خلال المدة نفسها.

ولم يكن قطاع تجارة الجملة أوفر حظاً من نشاط التجارة، حيث انخفضت قيمة الناتج المحلي الإجمالي في هذا القطاع من ٢١٤٣,١ مليون دينار عام ١٩٩٠ وبالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ إلى ١٤٠٩,٤ مليون دينار في عام ١٩٩٩، أي بمعدل نمو سنوي مركب مقداره ٣,٧ بالمئة خلال هذه الفترة.

وشهد قطاع المال والتأمين وخدمات العقارات تحسناً نسبياً خلال الأعوام ١٩٩٠-١٩٩٩، حيث ارتفعت قيمة الناتج المحلي الإجمالي في هذا القطاع من ٢٠٣٧,٢ مليون دينار عام ١٩٩٠ وبالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ إلى ٧٣٢٧,٨ في عام ١٩٩٩، وبهذا يكون الناتج المحلي الإجمالي في هذا القطاع قد نما بمعدل نمو سنوي مركب قدره ١٥,٣ بالمئة خلال هذه المدة.

لقد تأثر قطاع خدمات التنمية الاجتماعية بالحصار وبحرب الخليج كثيراً، شأنه في ذلك شأن القطاعات الأخرى، وربما كان هذا التأثر أكثر شدة عما هو عليه الحال في

القطاعات الأخرى، فلقد انخفضت قيمة الإنتاج في هذا القطاع من ٤٤٠٦,٥ مليون دينار عام ١٩٩٠ وبالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨ إلى ٣٨٠,٦ مليون دينار فقط في عام ١٩٩٩. وبذلك يكون معدل النمو السنوي المركب سلبياً وبنسبة ٢٣,٨ بالمئة.

ومن الواضح أن القطاع النفطي كان القطاع الوحيد الذي تضرر بشكل مباشر وفوري عند فرض الحصار على العراق، إذ توقف تصدير النفط حتى قبول برنامج النفط مقابل الغذاء في عام ١٩٩٦ عدا الكمية الصغيرة التي كانت تصدر إلى الأردن.

وبذلك كانت قيمة الناتج المحلي الإجمالي للنفط الخام ٣٠١٩,٦ مليون دينار عام ١٩٩٠، وارتفعت إلى ٢٤٤٦٧,٩ مليون دينار عام ١٩٩٩. ومن الطبيعي أن هذه الزيادة الكبيرة حصلت بعد عام ١٩٩٦.

٥ ـ دور القطاع الاشتراكي في توليد الناتج المحلي الإجمالي: لقد كان للقطاع الاشتراكي الدور السيادي في قطاعات النفط الخام والكهرباء والماء والبنوك والتأمين وخدمات التنمية الاجتماعية.

أما في القطاعات الأخرى، فإن دور القطاع الاشتراكي يختلف من قطاع إلى آخر. ففي النشاط الزراعي انخفضت نسبة مساهمة القطاع الاشتراكي إلى الصفر في عام ١٩٩٩ في حين انخفضت نسبة مساهمة القطاع الاشتراكي في قطاع الصناعة التحويلية من ٦٣,١ بالمئة عام ١٩٨٠ إلى ٦٠,٨ عام ١٩٩٩، وهذا يعني أن القطاع الاشتراكي ما زال يلعب دوراً كبيراً في توليد الإنتاج في هذا القطاع.

ولكن مساهمة القطاع الاشتراكي في نشاط التشييد والبناء كانت منخفضة نسبياً ولو أنها ارتفعت من ١١,١ بالمئة عام ١٩٨٠ إلى ١٤,٠ بالمئة عام ١٩٩٩.

وقد تراجعت مساهمة القطاع الاشتراكي في قطاع النقل والمواصلات بشكل مستمر منذ العام ١٩٦٨، حيث انخفضت من ٣٢,١ إلى ٢,٣ بالمئة فقط في عام ١٩٩٩.

وهناك تذبذب كبير في مساهمة القطاع الاشتراكي في نشاط تجارة الجملة والفرد والفنادق والمطاعم، حيث استمرت في الارتفاع منذ عام ١٩٦٨ حتى بلغت ٥٩,٢ بالمئة في عام ١٩٨٠، ثم بدأت بالانخفاض حتى وصلت إلى ٢,١ بالمئة فقط في عام ١٩٩٩.

ثالثاً: اقتصاد العراق خلال فترة ما بعد الحرب

إن ما ورد أعلاه يوضح الحالة الاقتصادية السائدة حسبما تشير إليها المؤشرات الاقتصادية التي تمت مناقشتها، آخذين بنظر الاعتبار درجة دقة البيانات وطرق احتسابها، أضف إلى ذلك مستوى الكفاءة العام في أداء المؤسسات الحكومية بشكل عام بعدما ترك

معظم الموظفين ذوي المؤهلات العالية وظائفهم بحثاً عن فرص عمل أفضل داخل القطر وخارجه.

.. أما أن تتوقف كافة أجهزة الدولة عن العمل بشكل تام على الرغم من مرور أكثر من شهرين على سقوط بغداد.. فهذا أمر لا يمكن تبريره أو تفسيره!

وبصورة عامة، فإن صورة النشاط الاقتصادي لم تكن مطمئنة بسبب ما عانته من مشكلات، وبخاصة تلك التي خلقتها ظروف الحصار الذي طال لأكثر من اثنتي عشرة سنة. وكان من المتوقع والمعلن أن قوات الاحتلال وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ستأتي بحلول ومعالجات سريعة، وأن توفر المناخ الملائم للاقتصاد العراقي ليعاد تفعيله وإنقاذه من التدهور الذي عاناه خلال التسعينيات، ولكن مع الأسف لم تتخذ أية إجراءات يمكن أن يستشف منها بأن العراق قد وقف على الطريق الصحيح، على الرغم من أن الحرب لم تدمر البنى التحتية بالشكل الذي حصل خلال حرب الخليج. إضافة إلى ذلك، فقد ظهرت عدة مشكلات كانت على العكس مما توقعه الناس من دولة عظمى تتجه نحو قيادة العالم ومن الوعود التي أعلنت حول مستقبل العراق الجديد، مما تسبب في حالة إحباط لدى الكثير من الناس وحتى بين أعداء النظام السابق. ومن أهم هذه المشكلات التي تؤثر في تفعيل النشاط الاقتصادي ما يلي:

١ ـ **الانهيار المؤسسي**: من عمليات التخريب غير المبررة والتي وصفها الكثير من الناس بأنها متعمدة ومخطط لها، هي مسألة إحراق مؤسسات الدولة بعد سرقة محتوياتها. وقد حدثت مثل هذه الأعمال وبشكل محدد في بعض محافظات القطر خلال حرب الخليج، ولكن النظام السابق أعاد تلك المؤسسات إلى العمل بشكل فوري حال بسط نفوذه على تلك المناطق مرة أخرى، وذلك لم يستغرق أكثر من أيام معدودة.

أما أن تتوقف كافة أجهزة الدولة عن العمل بشكل تام على الرغم من مرور أكثر من شهرين على سقوط بغداد ومن ضمنها البنوك والمؤسسات المالية الأخرى، بما في ذلك البنك المركزي، فهذا أمر لا يمكن تبريره أو تفسيره.

ولا شك في أن توقف مؤسسات الدولة عن العمل، ومراجعة معظم الموظفين إلى مواقع بديلة، دون أن يتحقق أي عمل إيجابي حاسم باتجاه إيجاد مواقع بديلة دائمة وإعادة تقسيمها أو تجديدها لتلائم عمل المؤسسات المختلفة، أخذا يؤثران سلباً في نفسية الموظفين، إضافة إلى نشوء المشكلات التي تخلقها النقاشات حول عدم السماح للبعثيين بالاستمرار بالعمل وعلى أي مستوى وما إلى ذلك من الحالات التي بدأت تزيد من نفاقم المشكلة وتحد من إمكانية العودة إلى الحياة الوظيفية الطبيعية في الوقت الذي تحتاج المصالح الاقتصادية للناس الى مؤسسات الدولة ذات العلاقة بمصالحها لكي تستطيع أن تمارس عملها بشكل صحيح. ولعل هذا الوضع

زاد من ترك الموظفين ذوي المؤهلات الجيدة الذين بقوا في الخدمة كل هذه السنين لوظائفهم لشعورهم بالإحباط حول مستقبل دوائرهم وهي تتخبط من دون أن يظهر بصيص ضوء في آخر النفق.

٢ ـ **فقدان الأمن**: إن عدم عودة مؤسسات الدولة إلى عملها الطبيعي، وبخاصة دوائر الأمن والشرطة زاد من حالة الفوضى التي عمت بغداد ومدن العراق بعد الحرب. فإن غياب السلطة وعدم إيقاف المتجاوزين على القانون عند حدهم، شجع الآخرين على القيام بأعمال السلب والنهب والسطو المسلح على السيارات وبشكل مفضوح من دون خوف من أي أحد. فكيف يمكن أن يبدأ أي نشاط اقتصادي تحت مثل هذه الظروف؟ لعل الظاهرة المنتشرة الآن هي ظاهرة ما يسمى «سوق الحرامية» يبيعون كل ما سرقوه من الدولة وغيرها علناً وهم مسلحون ولا يأبهون بما يقومون به. ومما يشجعهم على ذلك مرور قطاعات من الجيش الأمريكي بدباباتهم ومدرعاتهم، من دون أن تتدخل في ذلك.

٣ ـ **عدم فاعلية القوانين**: قد يبدو أن هذا العنوان هو تكرار لعبارة فقدان الأمن، ولكن وضعه بشكل مستقل هو لتأكيد تأثير فقدان سيادة القانون في التبادل التجاري وفي العلاقات التجارية بين الوكلاء الاقتصاديين. فعلى سبيل المثال، البيع بالجملة كان قائماً على مبدأ «على التصريف» بالنسبة إلى بائعي المفرد. وتاجر الجملة في هذه الحالة معتمد على قوة القانون في استرداد حقوقه إذا ما امتنع بائع المفرد من تسديد ما ترتب بذمته بعد بيعه للبضاعة. في الوقت الحاضر بالإمكان أن يمتنع بائع المفرد عن دفع مستحقاته وربما يهدد صاحب الجملة بالسلاح إذا طالبه بذلك لعدم مباشرة المحاكم وأجهزة الشرطة أعمالها كما ينبغي.

أما الإيجارات، فقد توقف الكثير من المستأجرين عن دفع بدلات الإيجار على أساس أن النشاط الاقتصادي في ركود، أو لأنهم من المنتسبين الى المؤسسات التي تم تسريحها ولم يستلموا راتباً لحد الآن، وما شابه ذلك من المبررات.

٤ ـ **فرض الوصايا على الأسواق**: تمّ من بعض رجال العصابات بحجة توفير الحماية له وفرض أتاوة على التجار، مما يزيد من حالة عدم اليقين وبالتالي يحجّم أي نشاط اقتصادي جاد.

٥ ـ **الانتساب إلى بعض الأحزاب الدينية**: دعا الكثير من العاملين إلى التمرد على أصحاب العمل وفرض شروط عمل معينة عليهم وتهديدهم، إضافة إلى أعمال السرقة العلنية من دون قدرة رب العمل على حماية مصالحه.

٦ ـ **دور القطاع الاشتراكي والقطاع الخاص**: لا يمكن لأي فرد أن يتنبأ بمصير القطاع العام أو بدور القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي، فكما هو مبين أعلاه كان

القطاع العام مهيمناً على غالبية القطاعات، لذا فإن انهياره أو تحجيم دوره من دون أن يكون هناك بديل ذو كفاءة يحل محله في القيام بالأنشطة الاقتصادية المختلفة ربما يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار في السوق وفي مختلف النشاطات الاقتصادية.

من جانب آخر لا بد من الإشارة إلى أن طبقة جديدة من القطاع الخاص قد ظهرت الآن معظمها من اللصوص الذين سرقوا الكثير من الموارد المالية من البنوك أو السلع الكثيرة من مخازن الدولة. وهؤلاء لا يتمتعون بالحد الأدنى من الأخلاقية التي يمكن أن يتصف بها المنتجون في القطاع الخاص، وبخاصة في غياب المؤسسات الرقابية.

٧ ـ زاد الطين بلة عزوف السوق عن قبول الورقة النقدية من فئة العشرة آلاف دينار: حيث أثر ذلك في التداول النقدي، وخلق أزمة كبيرة في السوق من دون أن تتبنى جهة ما، وبخاصة البنك المركزي والبنوك الأخرى الإجراءات السريعة لمعالجة هذا العمل غير المبرر. وبعد مرور أكثر من شهر تفتح عدد قليل من البنوك أبوابها لساعات محدودة من الصباح لتقوم باستبدال عدد محدد من هذه الورقة النقدية بفئات أصغر منها، أو أن تودعها في الحساب. وقد أُعلن مؤخراً عن إصدار عملة جديدة تحل محل العملة القديمة التي قد تحل هذه المشكلة النقدية القائمة.

٨ ـ **الإعلام**: كل هذه الأحداث تأتي إلى مسامعنا من خلال الإشاعات بسبب ضعف وسائل الإعلام. وقد بدأ الناس يتساءلون هل أن أمريكا فعلاً غير قادرة على إنشاء إذاعة وتلفزيون جديدين؟ لماذا لم يتحقق ذلك وقد مضى على سيطرتها على العراق أكثر من شهرين، فالشعب لا يخبر بشيء، وليست لديه المعرفة بما يحدث من حوله، وليس لديه تفسير له، مما جعل الناس في حالة إحباط لما آل إليه الوضع في العراق والركود الذي أصاب الاقتصاد العراقي.

٩ ـ تزايد أعمال المقاومة: لقد بدأت أعمال المقاومة بالازدياد كما بدأت تأخذ مناحي جديدة سواء في نوع الأسلحة المستخدمة أو في حجم الهجوم على القطاعات الأمريكية. وتطور أخيراً إلى الاستمرار في تبادل النار بعد الهجوم.

١٠ ـ الانقطاع المستمر للتيار الكهربائي من العوامل الأساسية الأخرى المؤثرة في النهوض بالنشاط الاقتصادي: على الرغم من عدم تعرض محطات توليد الطاقة إلى التدمير واقتصار ذلك على تخريب أجزاء صغيرة نسبياً من شبكات نقل الطاقة، إلا أن هذه المشكلة بدأت تقلق الناس كثيراً، وبخاصة في فصل الصيف. هذا مع العلم أن معظم المصانع لم تبدأ نشاطها بعد. وهذا يعني أنها لو بدأت فسوف يكون من الصعب الحصول على الطاقة الكهربائية لفترات تؤمن التشغيل الاقتصادي لهذه الأنشطة.

لذا فقد لجأ أصحاب المعامل التي لا بد من عملها مثل معامل الطحين والثلج والأغذية، إلى استخدام المولدات الكهربائية. إلا أن هذا الإجراء تعرض هو الآخر إلى

الكثير من التوقفات بسبب شحّة الوقود وحتى الديزل الذي كان دائماً وفيراً وبأسعار زهيدة حيث أصبح يباع بالسوق السوداء بأضعاف سعره الحقيقي. وبطبيعة الحال يقوم المنتج بدفع هذه الزيادة إلى المستهلك عن طريق رفع الأسعار بسبب عدم مرونة الطلب على معظم هذه المنتجات.

وإلى جانب الانقطاعات في التيار الكهربائي هناك الشحّة أيضاً في توفر الماء الصافي والخام وما في ذلك أيضاً من تأثير سلبي في مجمل مرافق الحياة وليس فقط في النشاط الاقتصادي.

هذه العوامل كلها ترفع حالة عدم اليقين إلى أعلى درجاتها. والمشكلة أن الخط البياني لحالة عدم الاستقرار ما زال في ارتفاع مستمر مما له تأثير بالغ في الاستثمارات الجديدة، أو بدء تشغيل المشاريع القائمة والاستمرار بالنشاطات الاقتصادية المختلفة.

أضف إلى ذلك أنه لم يعلن لحد الآن منهاج عمل واضح من قبل قوات الاحتلال. وربما يعزى ذلك إلى تأخر تشكيل حكومة وطنية، وهذا أمر خطير آخر أدى تأخيره إلى إثارة الكثير من التساؤلات حول جدية الإجراءات المتخذة في هذا المجال.

ولعل الإجراء الاقتصادي الوحيد الذي اتخذ هو إطلاق الاستيراد بدون إجازة وبدون جمرك مما أغرق الأسواق بالكثير من البضائع ذات الاستهلاك السريع، والتي تتمتع بطلب عال. وهذه الخطوة قد سدت الثغرة الواسعة بين العرض والطلب على هذه السلع، وأدت فعلاً إلى انخفاض أسعارها، إلا أنها استخدمت أيضاً وعلى نطاق واسع لعمليات غسيل الأموال التي سرقت من البنوك ومن المؤسسات الحكومية بكميات كبيرة جداً سواء بالنقد العراقي أو بالعملات الأجنبية.

على أية حال العراق بانتظار تشكيل حكومة وطنية للوقوف على منهاج عملها وفي ما إذا كانت هذه الحكومة تستطيع أن تعيد الأمن إلى مدن العراق وأهله الطيبين. فقد أثبتت السنوات الماضية أن النشاط الاستثماري في العراق يمكن أن يحقق نتائج كبيرة ومذهلة خلال سنوات قليلة إذا ما تمتع بالأمن والاستقرار، وتوفر له وضوح الرؤية السياسية والاقتصادية المستقبلية.

ما علينا إلا أن نكون متفائلين، وأن تبقى أيدينا مرفوعة إلى السماء.

نرجو من الله أن يعين عراقنا الحبيب على أن يتجاوز هذه المحنة بأسرع وقت ممكن وبأقل التضحيات □

نماذج من جهود إعادة الإعمار العراقية أثناء الفترة من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٢

جعفر ضياء جعفر

اللجنة الوطنية لنقل التقانة، بغداد،
وعضو المجمع العلمي العراقي.

مقدمة

أدت الحرب التي وقعت خلال شهري كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير ١٩٩١، والتي أعقبتها هبات في اثنتي عشرة محافظة من بين محافظات العراق الثماني عشرة، إلى أضرار للأملاك العامة والخاصة على السواء. فقد ألقيت كميات تربو على ١٠٠ كيلوطن (١٠٠ ألف طن) من المتفجرات بواسطة صواريخ التحالف وقواته الجوية التي قامت بأكثر من ١٠٠ ألف طلعة خلال أيام الحرب التي بلغت ٤٢ يوماً. وقد هاجم السلاحين الجويين الأمريكي والإنكليزي وكذلك صواريخهما من نوع كروز المنشآت الصناعية العراقية في عدد من المناسبات اللاحقة أثناء الفترة من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٨، وكانت أكبر هذه الهجمات تلك التي شنت على مدى أربعة أيام في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٨، حينما دمر عدد ضخم من المنشآت الصناعية تدميراً واسع النطاق.

إنه ليكون من قبيل المستحيل تناول كافة مشروعات إعادة الإعمار التي نفذت في العراق خلال الفترة ١٩٩١ ـ ٢٠٠٢، وذلك ببساطة، لأن هذه الورقة تعتمد على ذاكرة كاتبها، وعلى أي الأحوال فإن الوقت المخصص لها محدود بعض الشيء. ومن ثم ستركز هذه الورقة على الخبرات (والذكريات) الشخصية في تنفيذ مشروعات إعادة الإعمار وستحاول أن تبين العوامل الجوهرية المشتركة التي تترك أثراً كبيراً في العادة على جهود إعادة الإعمار ذات النطاق الواسع. ولا بد من أن النظر بطريقة ملائمة في هذه العوامل سيكون مفيداً في الظروف الجارية والمستقبلية في العراق، وربما في غيره.

ويتعين أن نقرر من البداية أنه حتى قبل أن يوضع وقف إطلاق النار في ٢٨ شباط/فبراير ١٩٩١ موضع التنفيذ كان يجري تنفيذ خطوات محسومة نحو إعادة الإعمار. كان مدى التدمير الذي لحق بقطاعات الكهرباء والخدمات هائلاً ولكنه لم يفد غالباً في تحقيق أي غاية عسكرية تتعلق بالأهداف المعلنة لتلك الحرب. مع ذلك فلا بد من أن النية كانت تركيع الشعب العراقي (والحكومة). ونظراً لهذا فإنه لم تكن تقدم أي مساعدة من أي طرف خارجي (عدا بعض المنظمات غير الحكومية، وقليل من المبادرات الفردية وبعض الإغاثة الإنسانية). كان الأمر اليومي هو الاعتماد على النفس، وكان ذلك مفهوماً لنا جميعاً في العراق. لم تكن شركات كيلوغ (Kellog) وبراون (Brown) وروت (Root KBR) (الأمريكية) تقدم أي مساعدة، ولا كانت شركة هاليبورتون (Halliburton) تفعل. ولم تعقد وكالات الأمم المتحدة أية ورش عمل، مثل هذه الورشة، دعماً لإعادة الإعمار. لجنتان، الأولى برئاسة السيد مارتي أهتيساري(*) (Martti Ahtissari)، والثانية برئاسة الأمير صدر الدين أغا خان(**)، أوفدتا من قبل الأمين العام للأمم المتحدة في عام ١٩٩١ لاستعراض الوضع الإنساني في العراق. وقد نشر تقريراهما وهما متاحان للإطلاع العام.

وإذا نظرت إلى الأمور بأثر رجعي، فلعله كان من حسن الطالع أنه لم تكن هناك أي من شركات KBR (أو بعض مثيلاتها من الشركات الهندسية الكبرى) تلاحقنا في ذلك الوقت عن قرب، وذلك لسببين. **أولهما** أنها ما كانت لتتبنى بعض خيارات أعمال التصليح التي نفذت بالفعل، لمجرد أنها ليست المستوى السائد ولا تظهر في كتيّباتها الارشادية الهندسية. وبطبيعة الحال فإن خيار التصليح المناسب كان سيصبح عندئذ استبعاد المعدات المتضررة وإصدار أمر استبدال (مع تأخير يمتد لعدة شهور أو أكثر). **ثانياً** أن تكاليف التصليح من شأنها أن تتصاعد فلكياً إلى عدة مليارات من الدولارات سواء بالنسبة للمعدات أو بالنسبة للجهود الهندسية (قدرت تقارير الأمم المتحدة حاجة تبلغ عشرة مليارات دولار لقطاعات الخدمات، وبصفة أساسية للكهرباء). ومن قبيل المصادفات أن تقديرات مماثلة تقدم الآن!

(*) مارتي أهتيساري (فنلندي) كان في ذلك الوقت يشغل منصب الأمين العام المساعد للأمم المتحدة ورئيس بعثة الأمم المتحدة لدى العراق (المحرر).

(**) الأمير صدر الدين أغا خان ربطته علاقة وثيقة بالأمم المتحدة منذ عقد السبعينيات من القرن الماضي، وفي الوقت الذي تتناوله هذه الورقة كان منسق الشؤون الإنسانية وبرامج المساعدات الاقتصادية لأفغانستان (١٩٨٨ - ١٩٩٠) ثم ممثلاً خاصاً للأمم المتحدة لشؤون المساعدات الإنسانية للعراق والكويت بعد حرب الخليج عام ١٩٩٠ و١٩٩١ (المحرر).

١ ـ عوامل مهمة تؤثر على إعادة الإعمار

هذه العوامل هي من فئتين، الأولى على الصعيد العالمي، والثانية على صعيد المشروع.

أ) على الصعيد العالمي

ـ الوضع الأمني العام (القانون والنظام).

ـ تنظيم كافة المصادر المتاحة (الحاضرة).

ـ تحديد أولويات عند مستوى القطاع ثم عند مستوى المشروع داخل كل قطاع.

ـ اعتماد مصادر مادية بما يتفّق مع الأولويات المتبناة.

ـ حل سريع للصراعات المتعلقة باعتماد المصادر بمجرد ظهورها.

ـ توفر الأموال المطلوبة.

ـ دافع قوي لدى أفراد الطواقم المشتركين.

ـ أعمال تعزيز المعنويات.

ب) على مستوى المشروع

ـ إزالة الأنقاض.

ـ تقارير تقدير تفصيلية للأضرار.

ـ إدراج قائمة بخيارات الإصلاح.

ـ انتقاء الخيار الملائم الذي يتيح الارتجال.

ـ تخطيط التصليح الملائم والمتابعة الملائمة باستخدام تقنيات تخطيط النفقات وتقديرها (Cost Planning and Appraisal /CPA).

ـ مراقبة الجودة والاختبار التام لكل أعمال التصليح بالإضافة إلى توثيق أي ابتعاد عن مستوى الممارسة الهندسية.

ـ تنفيذ كل مستويات السلامة المناسبة وتوثيق أي ابتعاد يمكن أن تفرضه الضرورة في بعض الأحيان.

ـ تقديم تقارير متعددة عن تقدم العمل (يومياً/أسبوعياً).

٢ ـ جوانب معينة عرقلت عمل إعادة الإعمار في العراق

عرقلت العوامل التالية كل عمل إعادة الإعمار في العراق:

أ) العقوبات التي فرضها مجلس الأمن في آب/أغسطس ١٩٩٠، والتي لم ترفع إلا مؤخراً.

ب) نقص العملة الأجنبية الذي جعل استيراد سلع وقطع غيار وخدمات امراً شبه مستحيل إلى أن نفذ برنامج «النفط مقابل الغذاء» في أواخر عام ١٩٩٦. وحتى عندئذ كانت لهذا البرنامج نجاحات محدودة في مجال مشتريات قطع الغيار في قطاعات الطاقة والاتصالات والنفط نظراً للتأخيرات الطويلة في الموافقة على العقود، وهي تأخيرات كانت تفرضها لجنة الـ ٦٦١ التابعة لمجلس الأمن (المؤلفة في معظمها من ممثلين للولايات المتحدة والمملكة المتحدة).

إن جسر الجمهورية في وسط بغداد خصصت له أولوية أولى في إعادة الإعمار ونفذت هذه المهمة من قبل شركات الإنشاء المرتبطة بوزارة الإسكان في غضون أربعة أشهر.

ج) صعوبة الاتصالات (في الشهور الأولى التي أعقبت الحرب مباشرة) لأن كافة الاتصالات الهاتفية الرئيسة كانت قد قذفت بالقنابل وكانت وصلات الميكروويف خارج الخدمة وظلت كذلك حتى نهاية عام ١٩٩١.

٣ ـ تحديد الأولويات

قبل نهاية شهر شباط/فبراير ١٩٩١ كانت أولويات إعادة الإعمار قد حددت بوضوح. وقد خصصت الأولوية الأولى لمصافي تكرير النفط في الدورة وفي الشمال. أما الأولوية الثانية فخصصت لتوليد الكهرباء ونقلها وتوزيعها. وخصصت الأولوية الثالثة لإعادة إعمار قطاعات النقل والبناء (أي إنتاج الإسمنت). وتبعتها الاتصالات والمنشآت الصناعية الأخرى. أما المصادر التي لم تكن مطلوبة لأية مشروعات أولوية أولى فقد خصصت لها الأولوية الثانية تلقائياً، وهكذا.

وكان بعض الاستثناءات ضرورياً. وعلى سبيل المثال فإن جسر الجمهورية في وسط بغداد خصصت له أولوية أولى في إعادة الإعمار ونفذت هذه المهمة من قِبل شركات الإنشاء المرتبطة بوزارة الإسكان في غضون أربعة أشهر.

٤ ـ إعادة إعمار مصفاتين للنفط

يبين الجدول رقم (١) سعات مصافي النفط الرئيسة الثلاث في العراق. فالسعة الاسمية للتكرير في الدورة (بغداد) هي ١٠٠ كيلوبرميل يومياً، أما تلك في الشمال فسعتها ٣١٠ كيلوبرميل يومياً. وقد خُصصت الأولوية الأولى لإعادة إعمار كلا هاتين المصفاتين نظراً لأن إنتاجهما من النفط عُد ضرورياً وكافياً لتلبية الطلب لما تبقى من سنة ١٩٩١ وربما لوقت غير قصير من عام ١٩٩٢. وكان هذا راجعاً بصفة أولية إلى توقع مستوى منخفض للطلب في أعقاب الحرب مباشرة، نظراً إلى الدمار الذي لحق بكثير من المجمعات الصناعية التي تعد في العادة المستخدم النهائي لمنتجات النفط.

صدرت التعليمات إلى المدير العام لمصفاة الدورة أثناء الأسبوع الأخير من الحرب (حوالي ٢٢ شباط/فبراير ١٩٩١) بأن يعد تقرير تقدير أضرار وأن يرفع خطة لعملية إعادة تأهيل عاجلة للمصفاة. وقد رفع التقرير خلال أيام قليلة، وكان قائماً على مصادر القوة البشرية المتاحة في المصفاة وانتهى إلى استنتاج بأن المصفاة يمكن أن تصبح في الخدمة في غضون نحو ١٨ شهراً. وبطبيعة الحال فإن هذا المشروع كان سيحتاج إلى قطع غيار أساسية مثل الأنابيب والمضخات وتجهيزات المراقبة. ولم تكن نسبة كبيرة من هذه القطع الأساسية متوفرة في المصفاة.

بعد مناقشات حامية ووعود بالدعم من مؤسسات وزارة النفط (مثل الشركة الحكومية لمشروعات النفط) خفض الوقت اللازم لإعادة تأهيل المصفاة إلى نحو ١٢ شهراً.

في هذه المرحلة أصبح واضحاً بجلاء أن أي خفض كبير في زمن تنفيذ أي مشروع يمكن أن ينجز فقط بإشراك مصادر إضافية كبيرة (بشرية ومادية على السواء) من مؤسسات خارج وزارة النفط. وعلى سبيل المثال فإن عدد فرق اللحام التي أمكن مبدئياً تجنيدها من الدورة ومن الشركة الحكومية لمشروعات النفط لم يكن سوى أربع.

وكان من حسن الطالع أن المشروع البتروكيماوي رقم ٣ (PC3 الذي كان الاسم الشيفري للبرنامج النووي العراقي) كان يملك قوة بشرية ضخمة مدربة وكذلك مصادر مادية معتبرة. فكان متوفراً عدد لا يقل عن أربعين من فرق اللحام ذات الخبرة بكل أنواع تقنيات اللحام (بما فيها اللحام بالشعاع الالكتروني). كذلك فإن بعض الهيئات داخل هيئة التصنيع الحربي استطاعت أن تجند مصادر إضافية.

وفي حالة مصفاة الدورة أقيم مكتب ميداني هندسي ضخم في الموقع. وأنتجت رسوم بيانية لمد الأنابيب وتشغيل الأجهزة، وكذلك أنتجت رسوم لمواقع مد الأنابيب ورسوم مجسمة للأشغال. ووجه انتباه خاص إلى نقاط العبور. وتم تقسيم مشروع إعادة الإعمار في الدورة إلى نحو تسعة قطاعات مستقلة ذاتياً. وكان مشروع PC3 مسؤولاً عن أربعة قطاعات وأضيف إليه في وقت لاحق قطاعين آخرين. أما الهيئات

التابعة لهيئة التصنيع الحربي فكانت مسؤولة عن ثلاثة قطاعات. وكان أفراد طواقم المصفاة مسؤولين عن الخدمات ومراقبة الجودة والتنسيق العام بين مجموعات العاملين المختلفة. واستمر العمل على مدار الساعة على ورديتين مدة كل منهما ١٢ ساعة. وقد ظل جميع أفراد الطواقم في الموقع وسمح لهم بيوم عطلة واحد أسبوعياً. وكانت تسلم أجور إضافية بقيمة ١٠ أيام زيدت فيما بعد إلى ١٥ ثم إلى ٢٠ يوماً إلى جميع العاملين ونفذ هذا في كافة مشروعات الإعمار التالية. وكانت الروح المعنوية عالية جداً وكان العمل يتقدم باطراد بصورة جيدة إلى أقصى حد. وفي النهاية بدأت المصفاة عملياتها في يوم ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٩١، بعد ما لا يزيد عن شهرين من بدء إعادة الإعمار.

ويمكن أن تحكى قصة مماثلة عن إعادة إعمار مصفاة الشمال، التي كانت سعتها ثلاثة أمثال تلك. وهناك بدأت العمليات في منتصف تموز/يوليو ١٩٩١. في هذا الوقت كانت منتجات النفط تتاح في جميع أنحاء البلد وتلبي الطلب. واستؤنفت الصادرات من بعض المنتجات الفائضة إلى بلدان مجاورة (خارج برنامج النفط مقابل الغذاء).

٥ ـ القدرات المتاحة في قطاع الكهرباء قبل حرب عام ١٩٩١ وفي أعقابها

كانت مؤسسة الكهرباء في عام ١٩٩٠ تضم عدداً إجمالياً من نحو ٢٦ ألفاً من الموظفين في إطار ثلاث شركات للقطاع العام (شركات مملوكة للدولة). وكانت إحدى شركات الدولة مسؤولة عن توليد ونقل الكهرباء ذات الضغط العالمي (HV) والضغط العالي الفائق (UHV)، في حين كانت الشركتان الأخريان تؤديان مهمة توزيع الكهرباء من الضغط المتوسط (١١ ـ ٣٣ كيلوفولت) حتى مستوى المستهلك العام لدرجة ٤٠٠ فولت.

وفي جانب التوليد فإن أنواعاً ثلاثة من الأنظمة كانت مقامة:

أ) **الكهرومائي** ـ يُدرج الجدول رقم (٢) قائمة الحدود القصوى لمحطات القوى الكهرومائية التي كانت في حالة تشغيل في العراق في عام ١٩٩٠ (أي قبل الحرب) وكذلك وضعها في نيسان/أبريل ١٩٩١ (أي بعد الحرب وفي أعقاب الهبّات). وكانت القوة الكهرومائية المقامة تعادل ٢,٥ جيغاوات (GW) في ست محطات رئيسة للقوى. وقد بقي نحو ٦٠ ميغاوات (MW) (أو ٢,٤ بالمئة من القدرة المشيّدة) في حالة تشغيل في نيسان/أبريل ١٩٩١. وجدير بالإشارة هنا أن قرابة ٢,٤ جيغاوات من الطاقة الكهرمائية الإضافية كان قيد الإنشاء في ذلك الوقت، وهو ما كان من شأنه يضاعف قدرة الطاقة الكهرومائية. وكانت كل هذه المشروعات ـ المدرجة في الجدول رقم (٢)، مخططة للاكتمال أثناء الفترة ١٩٩٣ ـ ١٩٩٥. وكان أكبر هذه المشروعات مشروع سد البخما على رافد الزاب الأعلى من نهر دجلة في المنطقة الكردية من العراق. وقد كانت إمكانات القوى الكهرومائية في العراق، لنهري دجلة (وروافده) والفرات تقدر بـ ١٤ جيغاوات.

وكل المشروعات المائية التي كان قد تم بناؤها في العراق كانت ترمي أساساً إلى أغراض السيطرة على المياه وأغراض الري. لهذا كانت السيطرة على تدفق المياه موضوعة دائماً تحت إشراف وزارة الري. وكان توليد الكهرباء يعتبر بمثابة نتاج جانبي مفيد. وفي السنوات الأخيرة عانى العراق من انخفاض في تدفق المياه من نهري دجلة والفرات معاً، الأمر الذي أثر على إنتاج الطاقة من كل محطات الطاقة الكهرومائية (HPS).

ب) **البخار** ـ يدرج الجدول رقم (٣) قائمة الحدود القصوى الرئيسة لكل محطات القوى البخارية (SPS) التي كانت في حالة تشغيل في عام ١٩٩٠ وكذلك حالتها في نيسان/أبريل ١٩٩١. إذ كانت القدرة الكلية المقامة ٥,٥٢ جيغاوات في ثمانية مواقع. وقد بقيت ٢٢٠ ميغاوات (أو نسبة ٤,٢ بالمئة فقط من القدرة المقامة) في حالة تشغيل في نيسان/أبريل ١٩٩١. كذلك كانت أربع محطات للطاقة الكهرومائية لا تزال قيد الإنشاء في عام ١٩٩٠. وكان يمكن لها أن تضاعف تقريباً قدرة محطات الطاقة الكهرومائية بحلول عام ١٩٩٣.

ج) **العنفة (المحركات التوربينية) التي تشتغل بالغاز** ـ يبين الجدول رقم (٤) الحدود القصوى المتغيرة لمحطات القوى الرئيسة التي تشتغل بواسطة محركات العنفة الغازية (GTPS) التي كانت في حالة تشغيل في عام ١٩٩٠ وكذلك حالتها في نيسان/ أبريل ١٩٩١. فقد كانت القدرة المقامة ١,٧٦ جيغاوات في أكثر من عشرين موقعاً (حيث إن الوحدات المتنقلة كانت موزعة على نطاق واسع). وبقيت ٤٤٠ ميغاوات (قرابة ٢٨ بالمئة من القدرة المقامة) في حالة تشغيل في نيسان/أبريل ١٩٩١. وكان قد تم التوقيع على إنشاء مشروع واحد لمحطة تشتغل بمحركات العنفة الغازية (التوربينات) خلال عام ١٩٩٠. وفي الأوقات السابقة كانت وحدات محركات العنفة تعد بصورة عامة مفيدة لوحدات تغطية حمولات الذروة وليس لوحدات حمولة أساسية.

ويلخص الجدول رقم (٥) الوضع الإجمالي للطاقة الكهربائية في العراق. وكانت قدرة توليد الطاقة الكهربائية المقامة في عام ١٩٩٠ حوالى ٩,٨ جيغاوات والقدرة التي بقيت سليمة في نيسان/أبريل ١٩٩١ حوالى ٧٧٠ ميغاوات فقط (أو ٧,٨ بالمئة فقط). وينبغي أن نشير هنا إلى أن الأضرار التي لحقت لم تكن قاصرة على توليد القوة الكهربائية، إنما لحقت أضرار واسعة النطاق ببعض المحطات الفرعية للضغط العالي (HV) والفائق (UHV) وكذلك بعض خطوط النقل وخاصة في جنوب العراق. كذلك فقد تضررت على نطاق واسع شبكات التوزيع في المحافظات التي عانت من هبّات خطيرة في أعقاب الحرب مباشرة.

٦ ـ إعادة إعمار قطاع الكهرباء

بدأت أشغال إعادة الإعمار مبكراً في آذار/مارس ١٩٩١. ومرة أخرى قُدم دعم واسع النطاق من البرنامج النووي (PC 3) وهيئة التصنيع الحربي. وانخرط عدة آلاف من العاملين من خارج قطاع الكهرباء في إعادة الإعمار في كافة مواقع محطات الطاقة

الكهرومائية ومحطات الطاقة البخارية ومحطات محركات العُنفة الغازية التي كانت قد تضررت. في كل موقع منها أقيم مشروع منفصل بإدارة مهندس ذي خبرة، وليس بالضرورة من قطاع الكهرباء. وكان يملك سيطرة تامة على مصادر الموقع ومنح سلطة إدارية ومالية كافية لتامين تنفيذ العمل في حينه. وأقيم مكتب مركزي متخصص في توجيه المصادر. وعهد إلى هذا المكتب بمهمة توزيع المصادر المتاحة وتوجيهها طبقاً للأولويات التي تم إقرارها على أساس قاعدة تقديم الخدمة حسب أولوية الحضور. وقد أنجزت بنجاح كبير مهام كثيرة لم يكن العاملون في قطاع الكهرباء العراقي قد حاولوا إنجازها من قبل، مثل تبديل وتصليح وضبط الدوارات البخارية الضخمة، وتصليح المحولات الكهربائية الضخمة حتى قوة ٤٤٠ ميغافولت و٤٠٠ كيلوفولت. وقد استمد العاملون أنفسهم خبرة واسعة وأصبحوا أكثر ثقة بقدراتهم من الناحية التقنية. وفي النهاية كان باستطاعتهم أن يتولوا أية مهمة تقنية بمعدل معقول من النجاح. وقد كان تصليح شبكة النقل للضغط العالي والضغط الفائق أقل صعوبة وبهذا نفذ في الوقت ذاته. أما شبكة التوزيع فتم تصليحها بواسطة طاقم من شركتي التوزيع من دون مساعدة كبيرة من مؤسسات خارج القطاع.

> **مدير مصفاة الدورة أعد تقريراً استند إلى الإمكانات البشرية المتاحة معتبراً أن الوقت المطلوب للإصلاح هو ١٨ شهراً ثم خفض الى ١٢ شهراً لكن التصليح تم في فترة لا تزيد عن شهرين**

بحلول منتصف أيار/مايو ١٩٩١ كانت الكهرباء قد أصبحت متاحة من الشبكة الوطنية في كل محافظات العراق (بما في ذلك الشبكات الكردية الثلاث). وبحلول تموز/يوليو ١٩٩١ كان طلب المناطق الريفية على الكهرباء قد لبي، وكان المتاح منها أكثر من ثلاثة آلاف ميغاوات. وفي تموز/يوليو ١٩٩٢ لبيت حمولة ذروة بمقدار ٤٥٠٠ ميغاوات وفي وقت لاحق في عام ١٩٩٤ حَفزت الحمولة إلى ٥٢٠٠ ميغاوات، وهكذا تجاوزت حمولة الذروة التي كانت قد سجلت في تموز/يوليو ـ آب/أغسطس ١٩٩٠ (أي مستويات ما قبل الحرب). ولم يكن هناك عملياً أي تبديد للحمولة في جميع أنحاء البلد حتى صيف عام ١٩٩٦. مع ذلك كان الطلب على الكهرباء يزداد بمعدل ٥ ـ ٧ بالمئة سنوياً. ولم تسمح العقوبات التي فرضت على العراق من آب/أغسطس ١٩٩٠ بتشييد قدرة إضافية لتوليد الكهرباء، ولا هي سمحت باستيراد قطع غيار أساسية من أجل مواجهة الحدود التي فُرضت على الكهرباء في معظم محطات الطاقة الكهرومائية ومحطات محركات العنفة الغازية بسبب نقص قطع الغيار اللازمة لعمليات الصيانة المعتادة، ومن أجل الإبقاء على إنتاج الكهرباء من كل وحدة عند قيمته المرسومة. وفي النهاية تعطل نظام التردد ٥٠ هيرتز وأصبح من الضروري تسريب الحمولة الخطيرة. وفي فترة ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١ بلغت نسبة العجز في الإمدادات ٣٠ بالمئة في تموز/يوليو ـ آب/أغسطس، مع بعض تحسن في سنة ٢٠٠٢.

٧ ـ إكمال مشروع ري شمال الجزيرة

يقع مشروع ري شمال الجزيرة غرب الموصل على الحدود مع سوريا. والهدف من المشروع هو أن يكون مكملاً لأعمال ري ١٦٠ ألف دونم (الدونم = ٢٥٠٠ متر مربع) من الأراضي الصالحة للزراعة. وكانت هذه المنطقة ذات الخصوبة العالية من العراق تعتمد على الأمطار لإنتاج محاصيل استراتيجية مثل القمح والشعير. ولم يكن بالإمكان ضمان الأمطار المطلوبة سواء من حيث تكرارها أو كميتها، ومن ثم كان المحصول يخفق في بعض المواسم. ولهذا كانت الحاجة إلى ري إضافي. وأثناء فترة العقوبات كانت مثل هذه المشروعات تحظى بأولوية عالية في محاولة لتحقيق اكتفاء ذاتي في المحاصيل الاستراتيجية. وقد استكملت ـ بواسطة شركة أجنبية في عام ١٩٩٠ ـ المرحلة الأولى من المشروع، التي تألفت من تشييد محطة ضخ ضخمة تضم ١٢ مضخة كهربائية (يتطلب كل منها ٤ ميغاوات) تحت خزان صدام. وبلغ قدر المياه التي رفعت إلى ارتفاع ٨٥ متراً ٤٠ متراً مكعباً، وذلك من أجل ري ٥٠ ألف دونم في المرحلة الأولى، وكان مقرراً رفع منسوب المياه مرة أخرى خلال المرحلتين التاليتين. أما المرحلة الثانية من المشروع فكانت بالكاد قد بدأت في آب/أغسطس ١٩٩٠ وكانت تستلزم إنشاء محطة ضخ ثانية من أجل رفع المياه بمعدل ٢٧ متراً مكعباً إلى ارتفاع ٢٢ متراً لكي تروي ٧٥ ألف دونم أخرى. وكانت المرحلة الثالثة تتطلب إنشاء محطة ضخ ثالثة لرفع ٩ أمتار مكعبة من المياه إلى ارتفاع ٢٣ متراً لكي تروي باقي دونمات المشروع وهي ٣٥ ألف دونم. ولم يكن أي من تجهيزات المرحلتين الثانية أو الثالثة قد تم استيراده قبل آب/ أغسطس ١٩٩٠ حينما غادر جميع أفراد طاقم المقاول الأجنبي العراق.

ولقد كان من حسن الطالع أن كانت قد أقيمت لمحطة الطاقة البخارية في الناصرية دائرتا تبريد منفصلتان، إحداهما أقيمت على قاعدة الحلقة المفتوحة، والثانية كانت حلقة مغلقة. وقد شُغِّلت دائرة الحلقة المغلقة لفترة وجيزة حينما افتتحت محطة الطاقة البخارية في عام ١٩٧٩، ولكن تبين أن بها مشكلة لأن بخار الماء المتصاعد من برجي التبريد الملحقين كانت تحمله الريح مباشرة إلى مساحة التحويل السفلي مباشرة، الأمر الذي كان يسبب إطلاق شرارات متكرر وكان ينتج عن هذا إغلاق تجهيزات الضغط الفائق. أما نظام التبريد بالحلقة المفتوحة فقد عمل بشكل سليم وكان كافياً تماماً للتشغيل العادي، ومن ثم فإنه جعل نظام الحلقة المغرغة زائداً عن الحاجة، بل عديم الفائدة.

وقد أظهر التفتيش الدقيق على الحدود القصوى المائية للمضخات الثماني التي تؤلف الحلقة المغلقة أنها ستكون صالحة للمرحلتين الثانية والثالثة من مشروع ري شمال الجزيرة. فقد كان بإمكان كل مضخة أن تعطي ٦,٦ متراً مكعباً من رفع المياه بحد أقصى قدره ٢٧ متراً، بينما تحتاج إلى ٢ ميغاوات من الطاقة الكهربائية عند نقطة التشغيل هذه. وكان قد تقرر إزالة هذه المضخات الثماني من محطة الطاقة البخارية في الناصرية وإقامتها في محطتين للرفع شيدتا لهذا الغرض في مشروع ري شمال الجزيرة. وأقيمت خمس مضخات للمرحلة الثانية، ومضختان للمرحلة الثالثة، وحفظت

الأخيرة في المخازن. وقد اكتمل هذا المشروع في نيسان/أبريل ١٩٩٤ ونفذ في نحو ١٨ شهراً. وكان واحداً من مشروعات الري الرئيسة التي استكملت خلال حقبة العقوبات.

ما الذي يمكن تعلمه من خبرة إعادة الإعمار السابقة؟

في ظل ظروف أمنية مستقرة يمكن استنتاج ما يلي:

ـ لا بد لأي جهد لإعادة الإعمار أن يبدأ بتجميع كافة مصادر القطاع الصناعي ككل.

ـ لا بد من تحديد واضح للأولويات على مستوى القطاع وكذلك على مستوى المشروع.

ـ لا بد من إقامة مشروعات منفصلة وتعيين مديرين ذوي خبرة ولديهم سلطات إدارية ومالية كافية.

ـ يمكن ـ بدوافع كافية وتنظيم جيد لطواقم الأفراد العراقيين تنفيذ أي مشروع لإعادة الإعمار بمساعدة ضئيلة، أو بلا مساعدة في الموقع من مقاومين أجانب.

ـ سيتوجب استيراد قطع الغيار الأساسية والمواد التي تحتاج لاستبدال، وسيتعين على المورّدين الأجانب أن يبذلوا أقصى جهدهم لخفض الوقت اللازم للتسليم.

ـ من المتوقع أن تكون التكاليف الإجمالية لإعادة الإعمار أدنى بكثير حينما ينخرط فيها أفراد طواقم عراقيين أساساً. وبالإضافة إلى هذا فإن من المتوقع أيضاً حدوث خفض معتبر في الوقت اللازم لتنفيذ المشروع.

ـ أود أن أشكر طاقم شركة بترول الهلال، كريش ودامو ونويل، للمساعدة التي أسدوها إلي في وضع هذه الورقة □

الجدول رقم (١)

سعة مصافي النفط المقامة في العراق حتى كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠

مصفاة النفط	سعة/برميل يومياً	المجموع
دورة/بغداد	١٠٠٠٠×٣+٧٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠
الشمال/باجي	١٥٠٠٠٠×٢+٧٠٠٠٠×٢+١٠٠٠٠×٢	٣١٠٠٠٠
الجنوب/البصرة	٢×١٠٠٠٠+٧٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠
وحدات صغيرة مكررة	١٤×١٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠
	المجموع	٧٠٠٠٠٠

الجدول رقم (٢)

محطات الطاقة الكهرومائية المقامة في العراق حتى كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠

اسم المحطة	عدد الوحدات	الوحدة القصوى (ميغاوات)	الطاقةالإجمالية (ميغاوات)	الحالة في نيسان/أبريل ١٩٩١
سد صدام				
السد الرئيس	٤	١٨٧,٥	٧٥٠	ضربت بالقنابل
السد المنظّم	٦	١٥	٩٠	ضربت بالقنابل
خزان المياه المضخوخة	٢	١٢٠	٢٤٠	ضربت بالقنابل
دوقان	٤	١٠٠	٤٠٠	نهب
دير بنديخان	٣	٨٠	٢٤٠	نهب
سامارا	٣	٢٧	٨١	ضرب بالقنابل
حمرين	٢	٢٥	٥٠	على ما يرام
حديثا	٦	١١٠	٦٦٠	ضرب بالقنابل
محطات اخرى			< ١٠	على ما يرام
المجموع	٢٥٢١ ميغاوات			
محطات الطاقة الكهرومائية قيد التشييد في آب/اغسطس ١٩٩٠				
بخما	٦	٢٥٠	١٥٠٠	نُهبت
بغدادي			٣٠٠	على ما يرام
بدوش			٤٠٠	على ما يرام
مخول			٢٥٠	على ما يرام
المجموع	٢٤٥٠ ميغاوات			

ملاحظات:

أ) سعة محطات الطاقة الكهرومائية في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠ = ٢٥٢١ ميغاوات.

ب) الباقي من سعة محطات الطاقة الكهرومائية في حالة تشغيل في نيسان/أبريل ١٩٩١ = ٦٠ ميغاوات (٢,٤ بالمئة).

ج) توقف العمل كلياً في مشروعات محطات الطاقة الكهرومائية في آب/أغسطس ١٩٩٠ ولم يبدأ حتى اليوم.

الجدول رقم (٣)

محطات الكهرباء البخارية في العراق في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠

اسم المحطة	عدد الوحدات	الوحدة القصوى (ميغاوات)	الطاقة الإجمالية (ميغاوات)	الحالة في نيسان/أبريل ١٩٩١
باجي	٦	٢٢٠	١٣٢٠	ضربت بالقنابل
ديبوس	٤	١٥	٦٠	ضربت بالقنابل
دورة	٤	١٦٠	٦٤٠	ضربت بالقنابل
جنوب بغداد	٦	٦٠	٣٦٠	ضرب بالقنابل
المسيّب	٤	٣٢٠	١٢٨٠	ضربت بالقنابل
الناصرية	٤	٢١٠	٨٤٠	ضربت بالقنابل
الحرثا	٤	٢٠٠	٨٠٠	ضربت بالقنابل بشدة
النجيبة	٢	١١٠	٢٢٠	على ما يرام
المجموع	٥٥٢٠ ميغاوات			
محطات الطاقة البخارية قيد الإنشاء في آب/اغسطس ١٩٩٠				
الشمال	٤	٣٥٠	١٤٠٠	على ما يرام
اليوسفية	٨	٢١٠	١٦٨٠	على ما يرام
الأنبار	٤	٤٠٠	١٦٠٠	على ما يرام
الناصرية ٢	٢	٢٣٠٠	٦٠٠	على ما يرام
المجموع	٥٢٨٠ ميغاوات			

ملاحظات:

أ) سعة محطات الطاقة البخارية في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠ = ٥٥٢٠ ميغاوات.

ب) الباقي من سعة محطات الطاقة البخارية في حالة تشغيل في نيسان/أبريل ١٩٩١ = ٢٢٠ ميغاوات (٤,٢ بالمئة).

ج) توقف العمل كلياً في مشروعات محطات الطاقة البخارية في آب/أغسطس ١٩٩٠. وبدأ العمل بالمشروعين ١ و٢ في عام ٢٠٠١ ضمن برنامج «النفط مقابل الغذاء».

الجدول رقم (٤)

محطات الطاقة بمحركات العنفة الغازية في العراق كما في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠

اسم المحطة	عدد الوحدات	الوحدة القصوى (ميغاوات)	الطاقة الإجمالية (ميغاوات)	الحالة في نيسان/أبريل ١٩٩١
الموصل	١٢	٢٥	٣٠٠	ضربت بالقنابل
دبيس	٣	٣٥	١٠٥	ضربت بالقنابل
	٣	٢٥	٧٥	
تاجي	٨	٢٥	٢٠٠	ضربت بالقنابل
دورا	٤	٣٥	١٤٠	على ما يرام
هيلا	٤	٢٥	١٠٠	ضربت بالقنابل
النجف	٣	٧٠	٢١٠	ضربت بالقنابل
شيابا	٢	٢٥	٥٠	على ما يرام
بي سي ١	٤	٢٥	١٠٠	على ما يرام
خور الزبير	٤	٧٠	٢٨٠	ضربت بالقنابل
موبايل ١	١٠	١٢	١٢٠	على ما يرام
موبايل ٢	١٠	٨	٨٠	على ما يرام
المجموع	١٧٦٠ ميغاوات			
محطات الطاقة بمحركات العنفة الغازية في آب/أغسطس ١٩٩٠				
خور الزبير ٢	٤	١٢٠	٤٨٠	على ما يرام

ملاحظات:

أ) سعة محطات الطاقة الغازية في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠= ١٧٦٠ ميغاوات.

ب) الباقي من سعة محطات الطاقة الغازية في حالة تشغيل في نيسان/أبريل ١٩٩١ = ٤٩٠ ميغاوات (٢٧,٨ بالمئة).

ج) توقف العمل كلياً في مشروعات محطات الطاقة الغازية في آب/أغسطس ١٩٩٠. وتم تطوير العمل، بشكل جزئي، في بعض المشاريع ضمن برنامج «النفط مقابل الغذاء».

الجدول رقم (٥)

ملخص قدرة توليد الكهرباء المقامة في العراق في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠، والقدرة الصافية المتبقية في نيسان/أبريل ١٩٩١

نوع	القدرة المقامة (ميغاوات)	القدرة المتبقية في نيسان/ أبريل ١٩٩١ (ميغاوات)	القدرة السليمة (بالمئة)
كهرومائية	٢٥٢١	٦٠	٢,٤
بخارية	٥٥٢٠	٢٢٠	٤,٢
غازية	١٧٦٠	٤٩٠	٢٧,٨
المجموع	٩٨٠١	٧٧٠	٧,٨

صدر حديثاً:

موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الأفريقي:
دراسة في إشكالية الهوية السياسية، ١٩٦٠ ـ ١٩٩٣

د. محمد سعيد بن أحمدو

هذا الكتاب يعالج موضوع الهوية السياسية في موريتانيا، وهو موضوع بكر لم يُدرس من قبل بصورة مباشرة باستثناء بعض المقالات لباحثين فرنسيين حول ازدواجية انتماء موريتانيا إلى الوطن العربي وأفريقيا تحديداً، بعد انضمامها إلى الجامعة العربية.

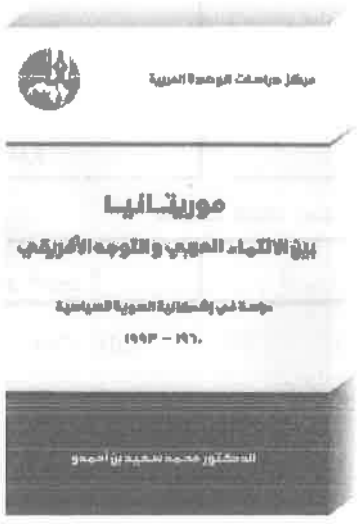

٣٥٦ صفحة
الثمن: ١٠ دولارات
أو ما يعادلها

■ حلقة نقاشية

الفضائيات العربية وتغطية الحرب على العراق

عقدت هذه الحلقة النقاشية يوم ٣٠ نيسان /أبريل ٢٠٠٣ في الجامعة الأميركية في الشارقة، وقد شارك فيها كل من:

الحبيب الغريبي	فادي إسماعيل	فيصل القاسم
قناة أبو ظبي	قناة العربية	قناة الجزيرة

أعد مخطط الندوة، وأدار الحوار فيها، وأعد مقدمتها وتقريرها

محمد الزياني

الجامعة الأميركية في الشارقة

أولاً: مقدمة

١ ـ الوجه الجديد للإعلام العربي

يمكن القول بأن الحرب الأخيرة على العراق لم تكن حرباً عسكرية فحسب. الحرب كانت في الحقيقة حربين، «الحرب الفعلية» و«الحرب الفعالة»، أو بعبارة أخرى الحرب الميدانية والحرب الإعلامية، والتي كانت أحياناً أكثر حدة من الأولى. لقد اتسمت التغطية الإعلامية للحرب على العراق بكثافة غير معتادة وتدفق غير مسبوق للأخبار والتقارير والتعاليق و الصور. كما ظهرت في هذه الحرب تكنولوجيا متطورة جعلت منها حدثاً بصرياً وتكنولوجياً استثنائياً.

إن هذه الحرب هي من أكثر الحروب وضوحاً من حيث المشاهد وتدفق الأخبار وتعدد التقارير، ولكنها في الوقت ذاته أكثر الحروب ممارسة للتضليل والتوجيه باستعمال التقنية السمعية البصرية الحديثة من الجانب الأمريكي، والأداء المسرحي من الجانب العراقي. كلا الطرفين كان يعطي صورة انتقائية عن الواقع. كانت انتقائية الجانب الأمريكي تتسم بكونها مدروسة وتصدر عن الإعلاميين الملحقين بقوات التحالف والذين ينقلون ما يتسنى لهم رؤيته ومتابعته، وهي في ذلك لا تختلف كثيراً عما كانت تمارسه السلطات العراقية من رقابة لعمل الصحافيين في الأماكن الخاضعة لسيطرتها. إذا كان الجيش الأمريكي يفرض قيوداً على الصحافيين الذين يحاولون تغطية الحرب من دون موافقة الجنود ومنع جمع الأنباء بطريقة مستقلة، فإن النظام العراقي كان لا يسمح للصحفيين بالتحرك إلا بصحبة رقيب. وإذا كان فنسنت بروكس قد تحول إلى ظاهرة وهو يعلن ما يريد الأمريكيون إعلانه وفقاً لمراحل الحرب وسيناريوهاتها، فإن محمد سعيد الصحاف كان يقول ما بدا له، وبطريقته الخاصة في هذه الحرب.

وبين التقارير اليومية من المركز الإعلامي للتحالف بقاعدة السيلية في قطر التي تعطي القليل من المعلومات والكثير من التبريرات، والمؤتمرات الصحفية لوزير الإعلام العراقي التي تفتقر إلى كثير من الموضوعية، وجد المشاهد العربي نفسه يبحث عن صورة واضحة لمجريات الحرب وعن صياغة للأحداث تخلو من التوجيه الإعلامي.

من البديهي أن تجند الأطراف المتحاربة إعلامها لخدمة مصالحها، وأن تسخره لتبليغ وجهة نظر معينة. لذلك يصعب تصديق هذا أو ذاك أو تلقي الأخبار والتحاليل بطريقة مسلّمة من الجهات الرسمية. من هنا يأتي دور الإعلام العربي الناشئ الذي اعتمد عليه الكثيرون من المشاهدين العرب لمتابعة وقائع الحرب والتواصل مع المستجدات.

وعلى عكس التغطية الإعلامية لحرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، والتي احتكرت فيها شبكة «سي إن إن» (CNN) المشهد الإعلامي ونجحت بأن تراقب الصورة المتدفقة من أرض المعركة، بل على حد قول الكاتبة الأمريكية سوزان سونتاغ، حولت الحرب إلى لعبة فيديو شغلت البلاد وأثارت المهتمين بالتكنولوجيا[١]، فإن تغطية حرب الخليج الثالثة اتسمت بعدم أحاديتها، إذ لم تتفرد قناة معينة بالتغطية ولم تعد المادة الإخبارية حكراً على المصادر الغربية التي سيطرت على الساحة الإعلامية الدولية لعقود.

كما اختلفت تغطية الفضائيات العربية عن تغطية الشبكات الأمريكية إلى درجة توحي بأن كلاً منها تنظر إلى الحرب من عدسة مختلفة. أعطت الفضائيات العربية منظوراً مختلفاً وأحياناً متناقضاً لما نقله المراسلون المزروعون في الوحدات العسكرية البريطانية، وبخاصة الأمريكية التي اتسمت تغطيتها إلى حد بعيد بالوطنية، وإن كان ذلك على حساب الموضوعية. ولعله من المفارقات أن نتحدث عن عسكرة الإعلام الأمريكي وإخضاعه للمؤسسة السياسية في الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر تحرر الإعلام

---

(١) الحياة، ١٥/٤/ ٢٠٠٣، ص ١٤.

العربي الناشئ من الرقابة والديماغوجية والتوجيه التي تعتمدها وسائل الإعلام الرسمي المرئي. فكان من الطبيعي ومنذ الأيام الأولى للحرب أن تتضارب الأنباء عما حدث حول سقوط أم قصر، والفاو، واعتقال قائد عسكري رفيع المستوى، وانتفاضة الشعب العراقي في البصرة، وعمليات المقاومة، ومصدر سقوط قذائف على حي سكني في بغداد، والسيطرة على مطار صدام الدولي.

الحرب الأخيرة على العراق أبرزت معادلة إعلامية جديدة لعب الإعلام العربي المرئي الناشئ فيها دوراً ليس بالهين. فقد أصبحت الفضائيات العربية تعمل بشكل مستقل عن المصادر العالمية الإخبارية، وصار للفضائيات العربية مراسلون في الخطوط الأمامية للحرب جعلها تستقصي المعلومات من أرض الحدث عوضاً من تلقيها من مصدر خارجي وإعادة صهرها. هذا لا يعني طبعاً أن الإعلام العربي انفرد بهذه التغطية، وإنما كان هناك نقل متبادل للأخبار بين الإعلام الغربي والعربي من شأنه إعادة التوازن للأنباء التي تبثها القنوات الغربية، وهذه سابقة في حد ذاتها. صار الإعلام العربي المرئي خلال الحرب مصدراً مهماً للأخبار مما أكسبه صبغة ليست فقط إقليمية، بل عالمية أيضاً.

ويمكن القول بأن تغطية بعض المحطات التلفزيونية العربية للحرب، رغم بعض التحفظات التي سوف نتعرض لها لاحقاً، كانت في المستوى، واتسمت بالجدية والمهنية. وقد لاحظ المشاهد العربي ابتعاد العديد من القنوات عن أسلوب الدعاية والتهويل والمبالغة والتعتيم الذي اعتدنا عليه كطابع مميز لبعض القنوات خلال العقود الماضية.

٢ ـ بعض العوامل التي ساهمت في ارتقاء الإعلام المرئي العربي

يمكن القول إن الإعلام المرئي العربي استطاع خلال الحرب أن يزاحم الإعلام الغربي ويتعامل معه ندياً. فقد أصبح إلى حد ما بديلاً شرعياً للإعلام الغربي وله صدقيته من الناحية التقنية والإعلامية وحتى الإيديولوجية إن صح التعبير. مما لا شك فيه أن هذا الأداء الجاد للفضائيات لم يحدث من باب الصدفة أو ضمن فراغ. لذلك فإنه يتعين علينا أن نتساءل عن الأسباب التي أدت إلى هذه القفزة النوعية. بمعنى آخر، ما الذي حدث ليجعل المجتمع العربي والمشاهد العربي يميلان إلى الإعلام العربي ويفتخران به ولو لفترة معينة؟

هناك العديد من العوامل التي ساهمت في ارتقاء الإعلام العربي، نذكر من أهمها:

ـ انفتاح الاتصالات بين الدول والمناطق في ظل العولمة والتطورات التقنية، بما في ذلك الأطباق الفضائية، وسع في قاعدة الإعلام المرئي وجعله في متناول أكبر عدد من المشاهدين وبالتالي جعله أكثر تأثيراً.

ـ تحكم وكالات الأنباء العالمية الكبرى في مجال انسياب الأخبار وفي تقديم تفسيرها المتحيز أحياناً للأحداث التي تقع في منطقة الشرق الأوسط.

ـ الحضور المهيمن لشبكات الإعلام الغربية والأمريكية على الخصوص حتى إن نجاح شبكة مثل «سي. إن. إن» كنموذج للسيطرة الإعلامية صار يمثل وجهاً آخر من وجوه الهيمنة الأمريكية.

ـ توفير تقنيات متطورة للتواصل مع المراسلين مثل الهواتف المحمولة العاملة بواسطة الأقمار الاصطناعية.

ـ وجود اهتمام غير مسبوق في الوطن العربي بالفضائيات واستثمار في الإعلام خلال العقد المنصرم أديا إلى إحداث زخم إعلامي كبير برزت بعض مظاهره في تعدد القنوات العربية بصفة عامة، والإخبارية بصفة خاصة.

ـ وجود واقع عرض وطلب إعلامي من خلال الحرب، إذ هناك تدفق لسيل من المعلومات واستهلاك مفرط لهذا الكم الهائل المتوفر من المعلومات. ما من شك في أن الواقع الإعلامي والعسكري والرغبة في متابعة الأخبار بشكل متواصل فرضا طلباً متزايداً على مصادر الإعلام العربي.

ـ اكتساب الأخبار خلال الحرب أهمية بالغة وضعت القنوات العربية أمام مسؤولية كبيرة.

ـ وجود حاجة ملحة لتغطية إعلامية عربية لحرب تدور رحاها في دولة عربية ولنقل الأحداث للمشاهد العربي من منظار عربي وبتشبع وفهم للواقع العربي.

ـ الإمكانيات المالية والتقنية المتاحة لبعض الفضائيات مثل قناة أبو ظبي التي سخرت إمكانيات ضخمة وميزانية كبيرة لتغطية الأحداث.

ـ إيفاد العديد من المراسلين إلى أرض الحدث يتفننون في الوصول إلى الخبر وبثه، حتى إن بعض القنوات لها مراسلون في جميع أنحاء العراق وبعثات تلفزيونية في مختلف المدن والمحافظات العراقية.

ـ ترسيخ بعض الفضائيات العربية في السنوات الأخيرة لتقاليد صحافية جديدة، وانتهاج طريقة تعامل مع الحدث تتسم بالاتصال المباشر مع المراسلين عبر الأقمار الاصطناعية والهواتف الجوالة، والتغطية المكثفة والنقل الفوري للحدث وللمؤتمرات الصحفية .

ـ تشعبات المنطقة وتعدد الأزمات جعلت هناك نوعاً من الممارسة والتجربة في التعامل مع الحدث ونقل المعلومة، لعل أهمها التغطية الإعلامية لانتفاضة الأقصى.

ـ ترسيخ بعض الأحداث الأخيرة التي شهدتها المنطقة وعلى رأسها الحرب في

أفغانستان للبعد الإعلامي للحرب. إن استعمال شبكة القاعدة بطريقة مدروسة ومكثفة لأشرطة مسجلة تتضمن خطباً وبيانات لبن لادن ومعاونيه، وبثها عبر فضائيات عربية، من شأنهما أن يستدرجا الإعلام العربي إلى ما يسمى بالحرب على الإرهاب. ثم إن الارتباك الذي واجهت به الولايات المتحدة مثل هذا التكتيك الإعلامي للقاعدة والانزعاج الشديد من بعض الفضائيات العربية أديا بالجانب العربي إلى إدراك قوة الإعلام وإلى السعي للعب دور فيه.

ـ حصول عملية رد فعل طبيعية لعدم توفر تغطية إعلامية حرة للحرب على العراق بسبب التسابق للفوز بالحرب الإعلامية بين قوات التحالف والقوات العراقية.

ـ سعي قوات التحالف إلى السيطرة على المادة الإعلامية، وإلى حصر التغطية وتقديم الأحداث بطريقة تتناغم مع الموقف الرسمي وتتناسق مع الأحكام التي يصدرها.

ـ تمادي واستمرار رؤية الإعلام الغربي للعالم العربي من زاوية واحدة وبطريقة نمطية.

ـ غياب التلفزيون العراقي والكاميرا العراقية عن الحدث، إذ انحصرت برامجهما على الخطاب الرسمي على حساب الاهتمام بالمواطن العراقي ومعاناته.

ـ غياب موقف رسمي عربي فعال وذي رؤية تجاه قضية العراق. في ظل هذا الفراغ السياسي، وجدت الفضائيات ميداناً خصباً للعمل. فالمكانة التي حظيت بها بعض القنوات العربية تعكس مظهراً من مظاهر العجز السياسي في المنظومة العربية وتواري المبادرات. من هنا يمكن أن نقول إن أهمية بعض الفضائيات العربية البديلة تكمن في طرح ومعالجة إعلامية لقضية سياسية متشعبة ومعقدة.

٣ ـ إشكاليات تغطية الفضائيات العربية للحرب

إذاً فنحن اليوم أمام نظام عربي إعلامي جديد تبلورت بعض ملامحه خلال الحرب. ولكن على الرغم من أن المنظومة الإعلامية الجديدة تدعو إلى التفاؤل، فإنها لا تخلو من التساؤلات والتحفظات والغموض التي سنحاول أن نسلط بعض الضوء عليها، نذكر منها التشبث بنظرية المؤامرة، وتضليل الرأي العام، وتضخيم الانتصارات الصغيرة، وخلط الخبر بالرأي، والخوض في تفاصيل الحرب دون تقديم فهم عميق وشامل لما يحدث، والائتمان لثقافة التمني، والسعي إلى إرضاء المشاهد العربي بالعزف على ما يرغب في سماعه ورؤيته، وإخضاع الرسالة الإعلامية للفضائيات للخلفية الإيديولوجية للعاملين بها، واستضافة المحللين السياسيين والخبراء الاستراتيجيين والعسكريين الذين لا تستند تحاليلهم إلى الواقع أو إلى أسس حقيقية على الأرض، وتهميش العراقيين أصحاب الشأن. كذلك كان الإعلام العربي المرئي في رأي بعض النقاد يتنافس لكسب أكبر عدد من المشاهدين، ويتسابق للحصول على المعلومة بغض النظر هل هي صحيحة أم خاطئة، مما جعل التنافس للأفضلية أهم من التنافس لإيصال

الحقيقة. كما يرى البعض أن مراسلي بعض الفضائيات في العراق خلال الحرب لم يكونوا واقعيين أو منصفين، وكانوا انتقائيين ومزاجيين يحاولون دائماً تصوير الجوانب السلبية للحملة العسكرية الأمريكية.

ولعل أبرز الانتقادات الموجهة للفضائيات هي التستر إن صح التعبير على تجاوزات النظام العراقي. النقطة التي يثيرها البعض هي أن الفضائيات العربية غضت الطرف عن ماضي النظام الذي هو جزء مهم في المعادلة، إذ لم يصور الإعلام العربي النواحي السلبية للنظام العراقي، كما تغاضى التلفزيون العربي عن تلك الممارسات التي طالت فئات مختلفة من المجتمع العراقي. لقد كانت بعض الفضائيات العربية دائمة الإيحاء بأن الهدف من هذه الحرب هو تدمير العراق أو على الأقل إضعافه ونهب ثرواته، ولكنها كانت قليلة التساؤل عن دور نظامه في إنهاك العراق و تخريبه على مدى أكثر من ربع قرن. مما لا شك فيه أن القنوات العربية كانت منحازة إلى العراق بوضوح. فهي تطلق على الحرب صفة الغزو أو العدوان إلى غير ذلك من التسميات. الإشكالية كما رآها بعضهم أن معظم تلك القنوات لم يفرق بطريقة واضحة وجلية بين الشعب العراقي والنظام العراقي، طبعاً من دون أن تصبح بوقاً للنظام، ولو أن تلك القنوات ترى نفسها تنقل الواقع كما هو. فكانت تنقل المؤتمرات الصحفية للصحاف وتردد أقاويله، وتتعامل مع تصريحاته كمسلمات. كل هذا أدى إلى التشكيك في امكانية إعادة معادلة لتغطية الحرب لا يشوبها تحمس للنظام وعداء غير مفصح للأمريكيين من جهة، ونقل مسؤول لمعاناة الشعب العراقي من جهة أخرى.

النقطة الأخرى التي يثيرها البعض هي سقوط الفضائيات العربية في فخ التضخيم أو الخداع الإعلامي الذي يمارسه الإعلام الغربي وبالتحديد الإعلام الأمريكي. فمن الواضح أن الولايات المتحدة تعتمد في حروبها على تكتيك إعلامي يتمثل في نفخ العدو وإظهاره بمظهر العدو الذي له جيش خطر متمرس يتطلب قهره جهداً وعتاداً. شاهدنا هذا ليس فقط في الحملة الإعلامية التي استبقت الحرب على العراق، والتي تتحدث عن الحرس الجمهوري المرهوب وفدائيي صدام والأسلحة الفتاكة المهابة إلى غير ذلك، بل أيضاً في الحرب على أفغانستان التي اعتمد فيها الخطاب الأمريكي الإعلامي على التشديد على شراسة المقاومة الأفغانية ودحرها للقوات الروسية. إن انهيار القوة الدفاعية في بغداد بتلك السرعة واختفاء الجيش العراقي يجعلنا نتساءل إلى أي مدى ساهم الإعلام العربي في هذا الأسلوب الإعلامي الذي يعتمد التضخيم والتهويل، ولا سيما أن وسائل الإعلام تعاملت بجدية مع هذه التصورات حتى إنها باتت أمراً واقعاً؟ أليس الإعلام هو من رسم النظام بهذه الصورة المهيبة؟ هل خُدع الإعلام العربي كما خُدع العالم كله أم أنه خدَعنا؟ هل عاد الإعلام العربي إلى تضليل الناس وصناعة الوهم على منوال إعلام أحمد سعيد الذي كان يتحدث من إذاعة صوت العرب عن انتصارات مذهلة للجيش المصري في حين كان هذا الأخير يتكبد خسائر فادحة وهزيمة محققة في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ . وحتى أحمد سعيد له مأخذ على أداء الفضائيات العربية. في تصريح لصحيفة **الشرق الأوسط**. يقول أحمد سعيد إن الفضائيات اقتصر دورها على مجرد النقل، وأنها «لعبت

دوراً سلبياً، ونجحت بأن تصل بالمشاهد العربي إلى حالة من التبلد السياسي الكامل، ووقفت به عند حد الانفعال من دون أن تصل به إلى درجة التحرك الإيجابي»[٢].

طبعاً هذه الهواجس والشكوك التي كانت تحوم حول الفضائيات والانتقادات اللاذعة التي وُجّهت للدور الذي لعبته في تغطية الحرب إن عبرت عن شيء فهي لا تعبر بالضرورة عن فشل ومحنة الإعلام العربي الناشئ، وإن كانت تشير الى أخطاء كثيرة ومشاكل مختلفة، بقدر ما هي تعكس مدى تشعب وتعقيد الخارطة السياسية والاجتماعية والعسكرية والإعلامية في منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، والعراق بصفة خاصة.

٤ ـ خصوصية الندوة

هذه الندوة الإعلامية تتميز من سابقاتها ولها خصوصياتها:

أولاً، أردنا هذه الندوة أن لا تكون ندوة تستثني العامة. الهدف من هذه التظاهرة هو أن نسعى إلى مساعدة المشاهد العربي على أن يدرك أبعاد التجربة الإعلامية التي فرضها واقع الحرب علينا.

ثانياً، سعينا إلى أن نعطي فرصة للتفكير المتأني في أبعاد هذه التجربة الإعلامية الجديدة بعيداً عن الشاشات وعن الإدمان الإعلامي الذي فرضه علينا واقع الحرب .

ثالثاً، تعودنا على شاشات التلفاز أن يستجوب الصحفي الخبير أو المحلل أو الأكاديمي. نحن في هذه الندوة نعكس الآية، إذ نضع تحت المجهر هؤلاء الصحفيين وصانعي القرار الإعلامي الذين تقع على عاتقهم مسؤولية كبيرة نحو المشاهد العربي.

رابعاً وأخيراً، إلى وقت ليس ببعيد ظل الإعلام العربي إلى حد ما خارج الخطاب المتداول في الجامعات، إذ لم يكن موضوعاً أكاديمياً ذا وزن حتى في سياق العولمة الإعلامية، والنزر اليسير من البحوث التي أجريت حول الإعلام المرئي العربي كانت في محدودية موضوع البحث نفسه، إذ غالباً ما كان الإعلام العربي إما موجهاً ويخدم مصالح وتوجهات أنظمة معينة، أو مثالياً بعيداً عن إيقاع العصر وعن طموحات الناس. ولكن حرب الخليج الثالثة أعطت الإعلام العربي بعداً جديداً وجعلته محط أنظار السياسيين والمنظرين والأكاديميين على حد سواء.

إذاً نقول ـ ومن خلال هذه الندوة ـ إن الإعلام العربي المرئي الجديد صار موضوع بحث ودراسة قائماً بذاته يجب التوقف عنده والتمعن فيه، وبخاصة أننا في العديد من الجامعات في المنطقة ندرس الإعلام والصحافة، وتتخرج على أيدينا الدفعة تلو الأخرى من الطلبة الذين يتطلعون إلى ممارسة الإعلام في العديد من المؤسسات والقنوات التي تزخر بها المنطقة.

---

(٢) أحمد سعيد، في: **الشرق الأوسط**، ٢٠٠٣/٤/٢٤، ص ١٧.

٥ ـ ضيوف الندوة

لفهم ملامح الإعلام العربي الجديد وأبعاد تغطية بعض القنوات للحرب، نستضيف ثلة من الإعلاميين والصحافيين الذين ساهموا بشكل أو بآخر في تغطية الحرب على العراق ونقل الصور والأحداث والتحاليل التي قضينا الساعات تلو الأخرى نتابعها على شاشاتنا. من **قناة العربية** نستضيف الأستاذ فادي إسماعيل الذي له خبرة طويلة مع «إم. بي. سي» وهو يشغل الآن منصب مدير البرامج الوثائقية. ومن **قناة أبو ظبي الفضائية** نستضيف أيضاً الأستاذ الحبيب الغريبي، رئيس تحرير ومذيع، غطى الحرب على العراق في النشرات الإخبارية وفي بعض البرامج الحوارية الأخرى مثل «المدار» و«على خط النار». ومن **قناة الجزيرة** نستضيف وجهاً بارزاً تعودنا أن نراه مساء كل يوم ثلاثاء في برنامجه الحواري «الاتجاه المعاكس» هو الدكتور فيصل القاسم.

ضيوفنا يمثلون ثلاث قنوات فضائية إخبارية غطت الحرب بطريقة مباشرة، متواصلة ومكثفة، حظيت باهتمام بالغ في الأوساط العربية وحتى العالمية. صحيح أن قناة أبو ظبي التي هي قناة عامة وليست إخبارية صرفة، ولكنها تحولت إلى ذلك خلال الحرب. طبعاً هذه القنوات ليست الوحيدة التي غطت الحرب بشكل مكثف، فهناك مثلاً الحياة ـ «إل. بي. سي.» وقناة المنار والمستقبل، ولكنها كانت في طليعة الإعلام الإخباري المرئي العربي.

صحيح أن هذه القنوات مرتبطة بجهات كفيلة ومُمَولة من بعض دول الشرق الأوسط. فالجزيرة مثلاً هي قناة قطرية وأبو ظبي قناة إماراتية، أما عن العربية فيرتبط اسمها ارتباطاً وثيقاً بمركز تلفزيون الشرق الأوسط (إم بي سي) السعودي. لكن على الرغم من تباين خلفياتها، فإن هذه القنوات تعكس جانباً مهماً من ملامح الوجه الإعلامي العربي الجديد. إن لهذه القنوات رواجاً يتعدى حدث الدول الكفيلة لها لترتقي إلى قنوات إقليمية وفي بعض الأحيان قنوات ذات بعد عالمي.

ثانياً: الافتتاحيات

١ ـ الفضائيات العربية في غياب الأحزاب الثورية

فادي إسماعيل (قناة العربية)

بدأت قناة العربيّة تبث برامجها لأربع وعشرين ساعة في اليوم في الثالث من آذار/ مارس ٢٠٠٣، أي قبل بداية الحرب بنحو أسبوعين، ممّا اضطرنا إلى الركض ونحن نتعلم كيف نمشي. الحرب إعلامياً تكسب عبر التغطية الميدانية وليس من الاستوديوهات. مهمتي أنا التي كلفتني بها قناة العربيّة في الفترة ما قبل الحرب كانت التحضير عبر توزيع جغرافي لطاقاتنا البشرية والتقنيّة في العراق وحول العراق. كان لنا مراسلون وأدوات بث فضائي (Fly Away) في تركيا وفي إيران، وأنا ذهبت شخصيّاً إلى إيران

حتى نتمكن من إدخال تلك التقنيات إلى كردستان العراق، وحتى نتمكن من أن نكون في جنوب العراق عندما تسمح الفرْصة. إضافة إلى الانتشار الجغرافي في كل البلدان العربية والمجاورة للعراق وطبعاً داخل العراق وخاصة في بغداد، كان لنا مراسل مدمج مع القوات الأمريكية.

في الأيّام الأولى للحرب كُنا حذرين، نحاول تجنّب الإثارة وإبداء العواطف. كنّا نحاول أن نكون مهنيين وموضوعيين. لكن الشارع العربي لا يرحم، إذ يُؤوّل الشارع العربي الموضوعية المهنيّة انحيازاً لمن يرتأيهم أنهم أعداؤه. لقد صار الشارع العربي ينادي «من ليس معنا فهو ضدّنا». ونحن قناة وليدة والانطباع الأول الذي يتكوّن عن أي شيء جديد وعن أيّ قناة جديدة هو مهم جداً ومن الصعب تغييره. وآخر ما نتمنّاه أن نكتسب عشيّة الحرب انطباعاً بأننا لسنا مع الشارع العربي.

أمّا الشعب العراقي المسكين فكان عليه انتظار سقوط بغداد على يد الأمريكيين حتى تتمكن الفضائيات العربية ونتمكن نحن من تناول ممارسات النظام القمعيّة والمآسي التي أحدثتها داخلياً. كُلنا يعلم، ونقول هذا بكل واقعية وجرأة، حدود التغطية التي كان مسموحاً بها من داخل بغداد. هل كان مسموحاً نقد ممارسات النظام العراقي؟ هل كانت هناك إمكانية لتغطية إخباريّة فعلية للأحداث والمشاعر الداخلية مثلما فعلنا في مصر والأردن ولبنان؟ حتّى شبكة «سي. إن. إن.» كتب رئيسها يتحدث عن تعرض مراسل ومصور للشبكة للتعذيب، وكيف سكتت «سي إن إن» عن هذه التجاوزات حفظاً على مكتبها وتواجدها في العراق.

ما هو الإيجابي في التغطية الإعلامية العربية للحرب؟ الإيجابي بالنسبة الى الفضائيات ككل وقناة العربية بصفة خاصة هو انتشارنا في العراق وما حولها، وهو انتشار يوازي أو يفوق ما عملته القنوات الغربية والمخضرمة والتي لها ميزانيّات لتغطية هذه الحرب تفوق ميزانيات قنوات العربية والجزيرة وأبو ظبي. وجود أطقم تصوير وكاميرات تنقل الصوت والصورة إلى الشارع العربي كان نسبيّاً إنجازاً إيجابيّاً خاصة إذا قارنا هذه الحرب بحرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١ حيث كانت «سي. إن. إن.» المصدر الوحيد للصورة والمعلومة.

الجانب السلبي لهذه التغطية الإعلامية للحرب هو عدم وجود أي معلومات عسكريّة تأتي من الجانب العراقي، ما عدا المؤثرات الصحفيّة التي شاهدناها جميعاً. وبالتالي كانت مصادر الأخبار، سواء أحببنا ذلك أم لا، هي الصحفيين المرافقين للقوات الأمريكية والبريطانية. نقطة ضعف أخرى لهذه التغطية تتمثل في الخبراء الذين استضفناهم نحن وكل الفضائيات لمحاولة تغْبِئَة الوقت نظراً لأن الناس في زمن الحرب يودون الاستماع إلى الأخبار ومتابعة الأحداث أربع وعشرين ساعة في اليوم، ونحن في حاجة إلى كسب اهتمام المشاهد. فكان هناك العديد من الخبراء، ولكن هؤلاء الخبراء كانوا في معظم الأحيان خبراء متقاعدين انقطعوا عن الحديث عمّا هو حديث في الشؤون العسكريّة. والعديدون منهم لم يسمعوا عمّا يسمى بالثورة في الشؤون العسكرية (Revolt in Military Affairs) والتي

مكنت الأمريكيين إلى حد كبير بأن يقوموا بما قاموا به. كذلك لم يكن لدى هؤلاء الخبراء معلومات ميدانيّة. ما كان لديهم هو نظريات وتكهنات.

إذا كانت الحالة كذلك، كيف يمكن أن يكون الإعلام العربي غير مردّد لما يقوله الآخرون سواء النظام العراقي أم قوات التحالف؟ الأمريكيون، رغم كل الانتقادات التي وجهت إليهم في خصوص إدماج أو زرع مراسلين وصحفيين ضمن القوات العسكرية وهو ما يعبر عنه بكلمة «Embedded» والتي ترجمها بعضهم إلى «المقمَّطة»، كانت لديهم مصادر معلومات مباشرة وميدانية قد تكون مشوَّهَة ومُشوِّهة ولكنها تبقى مصدراً مباشراً حيّاً (Live) لنقل المعلومات والتطوّرات والأحداث لحظة بلحظة. أمّا الفضائيّات العربيّة فقد كانت في مواقع ثابتة بكاميرات ثابتة تعُدّ سقوط القذائف على المدن العراقية، وخاصة بغداد، وتتكهن أين سقطت هذه القذائف.

في نهاية هذه الكلمة الأولية، يحق القول بأن الفضائيات العربية ليست بديلاً من الأحزاب الثوريّة العربيّة وليس من المفروض أن تكون كذلك. لا يمكن أن نتهم الفضائيات العربية بالفشل بمجرد أنها لم تستطع القيام بما فشلت فيه الأحزاب الثورية والطليعية. القنوات التلفزيونية لا يمكنها أن تلعب دور الجيوش المحاربة او تلقي بالهزيمة على عاتق المراسلين . نحن لسنا إلا جزءاً من الشارع العربي نعكس قوته وضعفه، ولسنا في برج عاجي بعيداً عن الشارع العربي.

٢ ـ الإعلام العربي المرئي في ظل الأحداث الكبرى

الحبيب الغريبي (قناة أبو ظبي الفضائيّة)

ما من شك في أن الفترة الماضية كانت فترة استثنائية انصبت فيها المتابعة بشكل كلي على مجريات ووقائع الحرب على العراق. وكانت النافذة الوحيدة التي أطل منها الجميع على تفاصيل ما يجري هي نافذة الإعلام وبالذات التلفزيون الذي اكتسح كل البيوت وحبس أنفاس الجميع، وفرض سلطانه أحياناً بالقسر والقوة محيلاً كل الأشكال الإعلامية الأخرى على شبه تقاعد مؤقت. ولكن هل معنى هذا أن الإعلام التلفزيوني كان هو الأفضل والأصدق والأعمق في تناول إشكاليات الحرب؟ قد لا يمكن الجزم بذلك ولكن ما أعطى لهذا الجهاز السحري أحقية وجوده وتربعه على العرش هو ما يتميز به التلفزيون أصلاً من خصائص تحسب لصالحه في مثل هذه الأحداث وهي:

ـ الصورة والمساحة البصرية التي يمنحها للمتلقي، والكل يعرف مدى أهمية الصورة في نقل وقائع متحركة تماماً كما هو الشأن في أفلام «الأكشن» في السينما، ثم إن حاسة البصر عادة ما تكون هي الأقرب للكائن البشري في تحديد علاقته بالواقع وتفاعله معه.

ـ التغطية المباشرة والفورية بحيث ينقل الحدث في إبانه وبالصوت والصورة الى المشاهد دون تأخير أو إبطاء.

ـ التقنيات الحديثة في مجال الإعلام أو الثورة المعلوماتية التي قلبت المفاهيم ووصلت الى حد خلق أجواء تفاعلية بين الباث والمتلقي، وأساس هذه التكنولوجيا الجديدة هو منظومات الأقمار الاصطناعية وأجهزة البث الأرضي (SNG) والهواتف المرئية الى آخر الابتكارات الحديثة .

ـ اعتماد كل الأطراف، وأعني الأطراف الصانعة للحدث، على التلفزيون لبث رسائل أو معلومات او القيام بالتطبيقات وإبداء الرأي، وهو ما منح التلفزيون من حيث يدري أو لا يدري عنصر السبق الصحفي وكثيرة هي الأمثلة على ذلك.

لهذه الأسباب مجتمعة يمكن أن أقول إن الأسبقية في تغطية هذه الحرب كانت للتلفزيون بلا منازع. ولكن هل قال التلفزيون كل الحقيقة؟ وهل كانت هناك حقيقة كاملة حتى يقولها؟ الجواب أن الحقيقة كانت غائبة رغم المطاردة اليومية لكشفها. فقد شهدت هذه الحرب بالذات محاولات مفضوحة للتعتيم على مجرياتها من قبل الجانبين، وعشنا أياماً وأسابيع ونحن نلوك بمرارة الأكاذيب المتدفقة على ألسنة الناطقين العسكريين والمسؤولين في هذا المعسكر وذاك. كانت هذه الحرب بحق حرباً إعلامية جرت بعيداً عن الوقائع العسكرية الميدانية الحاصلة على الأرض مما أعطى الانطباع للبعض بأننا بصدد تغطية حربين في الوقت نفسه: حرب البيانات والتصريحات وحرب المدافع والدبابات. وفي النهاية أفقنا جميعاً على أوجاع اللحظة التاريخية المريرة وهي سقوط بغداد بشكل مفاجيء معاكس لمجرى الأحداث وبدون مقدمات كبرى. ما الذي جرى؟ وكيف جرى ما جرى؟ هذا ربما يكون الفصل الثاني من المعركة الإعلامية القادمة. يُقال إن الحقيقة هي الضحيّة الكبرى للحروب، وفعلاً ثبت صدق هذه المقولة في هذه الحرب الأخيرة حيث إن الحقيقة كانت غائبة وما زالت غائبة إلى حد الآن. إذا كان دور الإعلام هو نقل الحقيقة فنحن لم نحقق نجاحاً على هذا المستوى لأن جزءاً كبيراً من الحقيقة ما زال غائباً. لا أحد يعرف كيف سقطت بغداد بهذه السرعة، لا أحد يعرف مصير القيادة العراقية، ولا أحد يعرف الخسائر البشريّة التي كانت حصيلة هذه الحرب. وبقطع النظر عن هذه التساؤلات الكبرى التي ستبقى أجوبتها مردومة تحت ركام المعركة ربما الى حين وربما الى الأبد، فإن ما يهمنا هو كيف كان أداء الفضائيات العربية. هل ما يتردد عن تفوقها ونجاحها في التغطية مرده ضربة حظ أم نتيجة منطقية لخطة إعلامية محكمة واستراتيجية عمل واضحة؟

بالنسبة إلى تجربة قناة أبو ظبي، كان هناك نوع من التواصل. طبعاً قناة أبو ظبي هي ليست قناة إخبارية كما هو الشأن بالنسبة إلى قناة الجزيرة والعربية. ولكن في الفترات الأخيرة، أي منذ ثلاث سنوات تقريباً وبتواتر الأحداث الكبرى منذ الانتفاضة الفلسطينية والحرب على أفغانستان، بدأت هذه القناة بإرادة واضحة وبرغبة ملحة، دون أن تكون قناة إخبارية مائة في المائة، تغطي هذه الأحداث بالزخم الذي يرتضيه العاملون فيها. المؤكد وأنه خلافاً لعقليتنا السياسية التقليدية في مجال الفعل ورد الفعل، وخلافاً أيضاً لعاداتنا العربية السيئة في ركوب القطار وهو يسير، كان هناك هذه المرة إعداد

مسبق وتخطيط مبكر، حيث تم توزيع المراسلين والموفدين الخاصين على جميع المناطق الساخنة قبل فترة طويلة نسبياً من اندلاع الحرب. وتم توفير التجهيزات التقنية اللازمة وتخصيص استديو كامل ومجهز لمواكبة الحدث وتجنيد كل الطاقات البشرية على مدى الأربع والعشرين ساعة لرفع هذا التحدي. ونحن نعرف في هذا المجال مدى أهمية هذه التحضيرات اللوجستية بما في ذلك أن تجمع كتيبة كاملة من المراسلين والموفدين، وأن تضع على ذمتهم تجهيزات تقنية عالية تؤمّن البث المباشر والحي ومن مكان الحدث في أي لحظة. إضافة إلى مثل هذه التحضيرات والتي تشكل حسب اعتقادي المدخل الناجع الأول لمثل هذه التغطية، جاءت البرمجة لتعزز هذا التوجه، حيث إن نشرات الأخبار صارت تقريباً كلها مخصصة للحدث. فكان هناك بث مباشر على مدار الساعة وتعاقد مع محللين سياسيين وأكاديميين حرصنا ألا تكون لديهم أي خلفية سياسية أو انتماءات أو تلوينات إيديولوجية معينة حتى نأخذ ما أمكن من الحقيقة من أفواههم. لا بد أيضاً من أن نذكر أنه كانت هناك إرادة وكان هناك استثمار. طبعاً لا يمكن أن ننكر أن الإعلام التلفزيوني في عصرنا هذا أصبح يعتمد بشكل كبير على الاستثمار وعلى رؤوس الأموال. وأعتقد أن الأمر كان شبيهاً بالنسبة إلى القنوات الأخرى وهو ما انعكس إيجابياً على نوعية الأداء. إذا كانت الحروب السابقة كما اتفق عليها هي حروب الآخرين، فأعتقد أن هذه الحرب بالذات، طبعاً على واجهاتها الإعلامية، واكبتها تغطية إعلامية تشكل مكسباً للجميع. المهم هو أننا دخلنا هذه الحرب بكل رغبة في التفوق والامتياز وهذا حق مشروع للجميع. لست أدري، ربما نكون قد وفقنا الى حد ما، ولكن مما لا شك فيه أنه كان هناك بعض الانزلاقات وقد تكون هناك بعض السلبيات، ولكن لا اعتقد أنها أثرت بشكل كبير في مسار هذه التغطية، وسنأتي لاحقاً إلى إثارة هذه السلبيات إن كانت فعلاً موجودة.

يمكن القول ـ وبدون شوفينية ـ إنه لأول مرة تفوق الإعلام التلفزيوني العربي على نظيره الغربي وبخاصة الأمريكي، وربما أعيد ذلك للأسباب التالية:

ـ إن الإعلاميين الإمريكيين اختاروا منذ البداية فريقهم كما يقال، فتحولوا الى طرف فاقد لكل حيادية وموضوعية. وقد صرحت بعض القيادات الإعلامية الأمريكية صراحة أنها تختار هذه المرة الوطنية على المهنية. ونحن اليوم نسمع منظرين غربيين وأمريكيين بالذات ربما درءًا لفشلهم في هذه التغطية يقولون ويتعللون بأننا فضلنا الوطنية على المهنية والحرفية.

ـ انهم وفي مفارقة عجيبة تحولوا في لحظة الى إعلام دعائي سياسي واختاروا أسوأ ما في إعلامنا العربي الرسمي وهو البروباغندا السياسية القائمة على إخفاء الحقيقة والتعتيم عليها والنبرة التبريرية والاتكال على رهانات خاسرة مثل التبشير بحتمية انقلاب الشعب العراقي على قيادته واستقبال العراقيين الغزاة بالقبل والورود. في الوقت نفسه كانت الفضائيات العربية تعطي حق جميع الأطراف في تقديم المعلومة والرأي، وتحاول مقاربة الإشكاليات بما أمكن من الموضوعية والشفافية.

ـ اعتماد أكبر الشبكات التلفزيونية الأمريكية على الصور الخاصة للقنوات العربية وهو ما يعني فقدانها لرهان السبق الصحفي .

وبناء على ما تقدم يمكن استخلاص جملة من الاستنتاجات:

ـ إن الإعلام العربي ـ وخلافاً لما كان يقال ويتردد ـ قادر فعلاً على البروز والتألق والتفوق على نظيره الغربي إذا ما توفرت له عناصر القوه والموضوعية.

ـ إن أسطورة الإعلام الغربي النزيه والموضوعي قد بدت تتهاوى، وعلينا الاستفادة الفورية من هذه السقطة التاريخية.

ـ إن معاركنا الإعلامية القادمة وما أكثرها ستكون المحك الحقيقي لهذه النقلة النوعية وهي معارك على صعد عديدة كالديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية، وذلك حتى لا تكون الحادثة أو التغطية الأخيرة مجرد قوس فتح ثم أغلق بسرعة.

أعتقد أن هذه الحرب أو هذا الحدث لم يستثن أحداً في مجال العمل الإعلامي. الكلّ اشتغل بالحماسة والاندفاع نفسهما حتى أن بعض محطات التلفزة المحلية والرسمية تابعت الحدث عن كثب، وتحولت إلى قنوات إخبارية كاملة تبث على مدار الساعة. نحن رُبما لم نُغط حرباً معاصرة حديثة بتكنولوجيا متطورة وتقنيات عالية، بل ربّما دخلناها بموروثنا التاريخي إذا رجع صدى الملامح والبطولات الأسطورية التي زخر بها تاريخنا. نحن لا ننكر أن هذه الخلقية السيكولوجية كانت مدخلنا جميعاً سواء لمتابعة الحرب أو تغطيتها عن كثب لأننا في النهاية إعلاميون أولاً وعرب ثانياً. المهم هو أننا كإعلاميين عرب، وكقنوات تلفزيونية عربية بقطع النظر عن انتماءاتها وبغض النظر عن العاملين فيها، دخلنا هذه التغطية بشيء من ذاتنا، واعتبرناها تغطيتنا نحن وليس تغطية الآخرين. وفي هذه الحالة أعتقد أن مفاهيم علمية وأكاديمية مثل الحيادية والموضوعية والشفافية ربما يكون من التجني اعتمادها وإطلاقها على الإعلاميين العرب، لأن جزءاً منها في النهاية ينهار مع الحرب. بالنسبة الى سقوط بغداد، سقوط عاصمة عربيّة عششت في ذاكرتنا الجماعية لعقود وقرون من الزمن، يبدو أن المقاربة لفهم الحيادية والموضوعية لا بد من أن تكون نسبيةً جداً في هذا الأمر.

وختاماً، لا بد من الإقرار، ورغم كل العوامل المهنية والأدوات الحرفية التي استخدمت في التغطية الإعلامية لهذه الحرب، بأننا كإعلاميين عرب دخلناها جميعاً بشيء من ذاتنا. فبقدر اعتقادي أننا كنا موضوعيين الى حد ما، إلا أننا لم نكن «لامنتمين» على حد قول كولن ويلسون، فقد كان هناك في ركن ما من ضميرنا الجمعي إحساس بالانتماء الى مفاهيم مجردة مثل العروبة ولعناوين راسخة في وجداننا مثل بغداد. وأكاد أجزم بأن الكثيرين منا كانوا يتمنون في داخلهم أن تتخذ هذه الحرب منحى ملحمياً يعوض ما في نفوسنا وضمائرنا من خيبات ونكسات حفل بها تاريخنا الحديث، وزادتنا على مر السنين يأساً وإحباطاً وشعوراً بالمذلة والقهر. لذلك هزتنا من الداخل حادثة إسقاط العم «منقاش» لطائرة أباتشي الأمريكية ببندقيته العتيقة رغم يقيننا بأنها وهم وأكذوبة. كما

كنا نطرب لتصريحات وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف وهو يتحدث عن اندحار العلوج وانتحارهم على أسوار بغداد. كان هذا تداخلاً عجيباً وغير مفهوم بين الواقع والفانتازيا في هذه الحرب. وكان ذلك رجع صدى للفكر الأسطوري الميتافيزيقي الذي تقتات عليه منذ قرون ذهنيتنا العربية المشتركة. رغم كل هذا عندما تأتي الحقيقة، لا بُد من أن نتماسك، ولا بُد من أن نحاول أن نؤدي هذه الوظيفة وهذه المهمة بالقدر الذي يسمح بتبليغ المعلومة الصحيحة على الأقل.

٣ ـ وسائل الإعلام الناشئة وحبل الكذب

فيصل القاسم (قناة الجزيرة الفضائية)

لا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن التغطية الإعلامية الغربية للغزو الأمريكي ـ البريطاني للعراق من دون مقارنتها بمثيلتها العربية حتى تتضح الصورة تماماً ونقدّر أهمية التغطية العربية. من وجهة نظر مراقب للقنوات العربية الغربية أثناء الحرب، يمكن القول إن وسائل الإعلام الغربية بدأت تأخذ من وسائل الإعلام العربية قديماً طبعاً أسوأ ما فيها، ألا وهو العقائدية أو الشوفينية المخابراتية، وأن وسائل الإعلام العربية الناشئة وبخاصة الفضائيات بدأت تأخذ أفضل ما كان موجوداً في الإعلام الغربي سابقاً، ألا وهو الموضوعية والاتزان وأحياناً الحياد المبالغ فيه.

بعبارة أخرى، في الوقت الذي بدأت فيه بعض الفضائيات العربية تفلت من براثن الرقابة والتحكم البوليسي بالإعلام، راحت بعض وسائل الإعلام الغربية توغل في التزمت والضيق. فكلنا شاهدنا كيف أن إحدى القنوات الأمريكية طردت مراسلاً تلفزيونياً مشهوراً لأنه خرج عن الخط المرسوم. لاحظوا كيف ظهرت الخطوط الحمراء في الإعلام الغربي على السطح في ساعة الحقيقة، ومن حمد الله لم تقم أي قناة عربية بطرد مراسل خلال التغطية.

وقد تلقيت رسائل إلكترونية كثيرة من أمريكان وأوروبيين يناشدون فيها قناة الجزيرة البث باللغة الإنكليزية أو تسيير موقع على الانترنت لأنهم كانوا يعتقدون أن معظم وسائل الإعلام الغربية لم يكن لها هم إلا التطبيل والتزمير لقوات التحالف بشكل شوفيني. كما تلقيت رسائل تفيد بأن الكثيرين من الغربيين راحوا يتابعون الجزيرة على الرغم من جهلهم باللغة العربية. كثيرون رأوا أن بعض وسائل الإعلام الغربية لم تكن أكثر من بوق دعاية مفضوحة ورخيصة للجهات المتورطة في الغزو. حتى المشاهد العربي الذي كان على مدى عقود ينظر بعين الريبة إلى الإعلام العربي، ويستقي معلوماته من الإعلام الغربي وبخاصة الإذاعات الموجهة، وكلنا يعرف نكتة دريد لحام «افتح لنا على لندن حتى نعرف ماذا يحدث في قريتنا»، راح هؤلاء المشاهدون يبتعدون عن وسائل الإعلام الغربية بفضل الأداء الرائع للفضائيات العربية التي سحبت البساط من تحت العديد من القنوات الأمريكية والأوروبية على الأقل عربياً. وقد اطلعت على بعض

الاستفتاءات التي أجرتها مواقع الإنترنت والصحف العربية ووجدت أن شبكة «سي. إن. إن.» مثلاً لم تحظ سوى بمشاهدة خمسة بالمئة من المشاهدين العرب، بينما حصلت الجزيرة على أكثر من خمسين بالمئة من المشاهدين بشهادة صحيفة **الشرق الأوسط** الصادرة في لندن، والمعروفة بعشقها الشديد لقناة الجزيرة (طبعاً العكس هو الصحيح).

بعبارة أخرى، لقد تغير المشهد الإعلامي العربي على مدى عقد من الزمن بشكل دراماتيكي. فكلنا يعرف أن شبكة «سي. إن. إن.» الأمريكية كانت أثناء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ مصدر المعلومات الوحيد تقريباً، وكانت سيدة الإعلام العالمي حتى بالنسبة الى العرب. وقد شاهدت رسماً كاريكاتورياً في ذلك الوقت يصور طائرة حربية وقد ركب على أحد جناحيها مراسل «سي. إن. إن»، وكأنهم يقولون لنا إن هذه القناة تعرف حتى أين تسقط الصواريخ بالضبط لشدة استحواذها على المشهد الإعلامي. لكن البساط بدأ يتحرك من تحت وسائل الإعلام الغربية منذ عام ١٩٩٨، وليس في الآونة الأخيرة، أي أيام عملية ثعلب الصحراء، حيث دخلت قناة الجزيرة بقوة في تغطية الحرب، وبدأت تنافس بجدارة إلى حد أنها أصبحت مصدراً مهماً للمعلومات والأخبار حتى بالنسبة الى وسائل الإعلام الغربية. وقد ظهرت صحيفة **التايمز** البريطانية ذات صباح وهي تحمل على صفحتها الأولى صورة تلفزيون غربي وقد ارتسمت على شاشته «خاص بالجزيرة». ومرت الأيام وجاءت حرب أفغانستان لتتربع الجزيرة على عرش التغطية الحربية. فأصبحت مصدر المعلومات الوحيد تقريباً تماماً كما كانت «سي. إن. إن.» خلال حرب الخليج الثانية.

صحيح أن الوضع كان مختلفاً في عملية غزو العراق الأخيرة، حيث كان عدد القنوات الفضائية التي تغطي الحرب أكثر من الهم على القلب، ولكن أيضاً استطاعت القنوات العربية أن تفوز بقصب السبق، وكلنا شاهد النجاحات التي حققتها أكثر من قناة عربية، ليس فقط بسبب اعتماد أجهزة متطورة تضاهي الأجهزة الغربية، بل أيضاً بسبب أسلوب عملها ومهنيتها العالية. فكما قلت، تميزت التغطية العربية بالكثير من الموضوعية والحياد مما جلب للقنوات العربية بعض النقد. فبعض المعلقين مثلاً رأى أنها بالغت في حيادها في نقل مجريات الحرب، كما لو أن الحرب كانت تدور في بلاد «الواق واق» وليس في بلد عربي. لكن البعض الآخر أثنى على هذه الحيادية والموضوعية قائلاً إن بعض القنوات العربية وبخاصة الجزيرة أصبحت قنوات عالمية وليس عربية فقط. وبالتالي كان لا بد من التحلي بأكبر قدر من الموضوعية والاتزان والالتزام بهذه الموقع المتقدم الذي وصلت إليه.

كنت في الماضي أشكك في واقع الأمر بنظرية المؤامرة من قبيل أن العرب مستهدفون وغير مسموح لهم بتحقيق أي نهضة مهما كان نوعها. لم أؤمن كثيراً بهذا الطرح في السابق، لكن للأسف الشديد، بعد أن رأيت التعامل الرسمي الغربي مع النجاحات التي حققها الإعلام العربي على مدى الفترة الماضية، بدأت أراجع مواقفي. فمن الواضح أنه ليس مسموحاً لنا مثلاً أن نكون متفوقين إعلامياً. فكلنا يعرف ما حصل

لمكتب قناة الجزيرة في كابول في بداية الهجوم على أفغانستان. لقد تم تدميره بصواريخ قالوا إنها طائشة. لكن العجيب أنها طاشت مرة أخرى في بغداد وأصابت مكتبنا هناك واستشهد على أثرها زميلنا المرحوم طارق أيّوب.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، فما إن أطلقنا موقعاً على الإنترنت باللغة الإنكليزية حتى انقض عليه القراصنة من كل حدب وصوب، مما استدعى اختفاءه بين الحين والآخر. فالحرب لم تكن على أرض المعركة فقط، بل دارت رحاها أيضاً على الساحة الإعلامية. وقد وصل الحد بأحد المراكز المالية الأمريكية إلى منع المراسل الاقتصادي للجزيرة من دخوله في الوقت الذي يحدثوننا عن الشفافية الإعلامية. في برنامج حواري أدرته حول الإعلام خلال الحرب قال أحد المشاركين وهو البروفسور أسعد أبو خليل، أستاذ العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا أنه كان يتلقى سيلاً من المكالمات الهاتفية والرسائل الإلكترونية المسمومة من قبل المشاهدين الغربيين لمجرد أنه كان ينتقد الغزو. وهذا برأيه دليل على أن الإعلام الغربي كان أحادياً جداً في تعامله مع مشاهديه. بعبارة أخرى، فإنه عودهم على صورة معينة وكل من يأتي بعكسها فهو ملعون مطعون. كنت أعتقد أن الإعلام العربي الرسمي فقط هو الذي كان يقتدي بنظرية غوبلز وزير إعلام هتلر، القائمة على الكذب ثم الكذب، فلا بد من أن يعلق شيء في أذهان الجماهير... لكن تبيّن أن سياسة الكذب والتدجيل الإعلامي هي في صلب الكثير من وسائل الإعلام الغربيّة. وكل من لا يشاركهم في لعبة الكذب هذه يجب أن يضرب بكافة الوسائل الممكنة. لكن العولمة الإعلامية قد قضت على نظرية غوبلز الإعلامية مرة وإلى الأبد. فإذا كان طول حبل الكذب الإعلامي في السابق مائة متر، فقد أصبح طوله في عصر السماوات المفتوحة أقل من عشرة أمتار. ولو كان غوبلز حيّاً حتى الآن لغيّر نظريته لتصبح «لا تكذبوا كثيراً، فإنكم ستنكشفون بسرعة»، راجياً أن لا يزعل منا وزراء الإعلام والناطقون العسكريون الذين كانوا يسلوننا بأكاذيبهم خلال الحرب الأخيرة.

ثالثاً: المحاور

١ ـ معجمية الحرب

محمد الزياني

لفت انتباه المشاهدين في الوطن العربي الاختلاف أو التباين في تسميات التغطية الإعلامية للحرب وحتى في المصطلحات التي وقع اختيارها للإشارة إلى الحرب. فمثلاً، في قناة الجزيرة نقرأ: «الحرب على العراق»، في قناة أبوظبي: «الحرب»، في العربية: «حرب الخليج الثالثة»، في قناة المنار: «العدوان الأمريكي»، في المستقبل: «العراق في مهب الحرب»، وفي «الحياة ـ إل بي سي»: «حرب على العراق».

عنوان هذه الندوة هو «الحرب على العراق». هذه التسمية هي طبعاً مثيرة للجدل،

ولكنها مقصودة بغرض إثارة هذا الموضوع. أعتقد أن الجميع يتفق معي على أن الفرق بين «الحرب على العراق» و «الحرب في العراق» هي أكثر من مسألة حرف جر. هل يمكن قراءة معان أخرى من هذه التسميات؟ هل تعبر هذه التسميات على توجهات معينة لهذه القنوات؟هل هذه التسميات هي مجرد اختيار مهني، أم هي تعكس خلفية سياسية؟ ثم من يحدد صياغة وتسمية التغطية؟ هل هو شخص معين، هل هي المؤسسة؟

فادي إسماعيل

بالنسبة إلى قناة العربية، كان لدينا هم أن تكون تسمية الحرب لا تخضع لتأويلات، لأننا كنا نسعى إلى عدم إساءة فهمنا. فكان هذا العنوان «حرب الخليج الثالثة» الذي يوحي بتسلسل حروب في إطار جغرافي. فحرب الخليج الأولى دارت رحاها بين العراق وإيران، وحرب الخليج الثانية وقعت عند احتلال العراق للكويت، وحرب الخليج الثالثة هي هذه الحرب. لم يكن هناك محاولة تأدلج وراء العنوان. فالمضمون هو الذي يعبر عن الواقع أكثر من أي شيء آخر، إذ كان من الممكن أن تسمى هذه الحرب «العدوان على العراق»، ويؤخذ موقف من المضمون يخالف ذلك. إذاً تسمية الحرب كانت تندرج في إطار تكوين جماليات المظهر على الشاشات أكثر مما كانت مسألة جوهرية.

الحبيب الغريبي

واجهتنا في البداية معضلة تسمية هذه الحرب. اختيار تسميات هذه الحرب يطرح إشكالية مفتوحة للجدل ألا وهي: هل تحيل هذه التسميات على مجرد اختيار مهني أم أنها تحيل على خلفية سياسية؟ فعلاً كانت هذه الحرب مُعضلة على المستوى اللغوي وكذلك كتأويل سياسي. في قناة أبو ظبي حاولنا بالتوافق مع الجميع أن نسمي الأشياء بمسمياتها، وأن لا نحملها ما لا تحتمل. ربما المواقف تأتي في ما بعد، ولكن طبعاً ومع كل تقديري للتسميات الأخرى وكل المصطلحات التي استعملت في القنوات الأخرى، نحن سعينا إلى أن تكون هذه الحرب كما هي. هي حرب في النهاية. الحرب لا بد من أن نسميها حرباً، والقتلى لا بد من أن نسميهم قتلى، وأن نأخذ الأمور بما هي عليه. وقد يكون هذا الموقف مختلفاً نسبياً عن رؤية بعض القنوات الأخرى. أنا لا أريد أن أقول أو ألمّح بأن تسميات الحرب كانت بهدف معين. أنا فقط أتكلم بتوجه مهني بحت. كنا نعتقد ونتصور أن تسمية الحدث «الحرب» هو الأمثل، ثم إن هذا من شأنه أن يغنينا ويجنبنا ربما المطبات التي يمكن أن نقع فيها إذا ما تطورت الحرب إلى اتجاهات أخرى، فحينها كان علينا أن نغير المسمى أيضاً. فالمصطلح «الحرب» هو صالح في بداية الحدث وصالح إلى أن ينتهي.

فيصل القاسم

الأمريكان كانوا منزعجين لمجرد تسميتنا للعدوان على العراق بالغزو. كانوا مستائين كيف نتجرأ ونصف العملية العسكرية بأنها غزو. فبالنسبة إليهم العملية هي ليست غزواً ولكنها تحرير. فكنا نرد ونقول إنه حتى الإعلام الأمريكي يستعمل كلمة «Invasion» والتي تترجم إلى العربية بكلمة «غزو».

٢ ـ تغطية الفضائيات العربية لسقوط بغداد

محمد الزياني

المحور الموالي يتعلق بتعامل الفضائيات العربية مع سقوط بغداد. الصورة التي رسخت في الأذهان عند دخول القوات الأمريكية بغداد هي صورة عراقيين يطيحون بتمثال صدام بمساعدة الجنود الأمريكيين، ويمزقون بعض صور صدام، ويحرقون بعضها الآخر. في نقل هذا الحدث المفاجئ، تصرفت الفضائيات العربية بنوع من الحذر الذي لم يخف آثار الدهشة. في الفقرة الموالية سوف نتابع ثلاث عينات مصورة من النشرات الإخبارية لقناة أبو ظبي والعربية والجزيرة في اليوم التالي لسقوط بغداد. اخترنا لهذا الغرض حوالى ثلاث دقائق من كل قناة بما في ذلك عناوين الأخبار. نريد أن نعرف على سبيل المثال هل الزوايا التي غطت منها هذه القنوات الحرب على العراق هي زوايا متقاربة ومتطابقة ومتناغمة، أم أن هناك اختلافات ربما تكون متكاملة في وجهات النظر توحي بإثراء معرفي وإعلامي؟

قناة أبوظبي الفضائية

مقتطفات من نشرة أخبار التاسعة مساء في اليوم التالي لسقوط بغداد

عناوين الأخبار

ـ القوات الأمريكية تدخل العاصمة العراقية وسط غياب لافت لأي مقاومة من جانب الجيش العراقي.

ـ واشنطن تتحدث عن قرب انهيار كامل لنظام الرئيس صدام حسين وتساؤلات حول رموز القيادة العراقية.

افتتاحية الأخبار

اختفت اليوم في بغداد كل مظاهر السلطة، وغابت عن الشوارع دوريات الشرطة والجيش التي كانت حاضرة بقوة خلال الأيام الماضية .وقد انتهز المئات هذا الوضع وقاموا بأعمال نهب في بعض أحياء المدينة واستولت الحشود على مخازن للأغذية توزع منها الحكومة الحصص على السكان ومبان تابعة لحزب البعث، واقتحموا كذلك مجمّع مكاتب الأمم المتحدة واستعملوا بعض سياراتها في أعمالهم.

تقرير مصور

ما الذي يجري في بغداد؟ من يسيطر على المدينة التي كانت دائماً تحكمها يد من حديد؟ لقد باتت مستباحة. الشبان الذين سُلحوا للدفاع عن أسوارها استعملوا أسلحتهم لتغطية أعمال ما، أعمال شملت كل الميادين. وحتى وزارة الري التقنية جداً لم تسلم من هذه الأعمال. شباب وجدوا في غياب رموز السلطة حالة للتزود بما قد يقيهم من مجاعة باتت محتملة. في مقر الوزارة، لم يجد المقاتلون اللصوص سوى بعض الأثاث المكتبي،

مكتفين بما خف وزنه وثقلت قيمته. ثم واصلت الجموع الهائجة رحلتها نحو الإدارات الأخرى، وفي كل مرة يتجدد المشهد نفسه. هنا وجدوا سيارات ساروا بها عساها تفيدهم في أعمال أخرى. مكان آخر له دلالته العليا طالته أيادي الجياع الفارغة الهائجة، إنه مقر اللجنة الأولمبية العراقية التي يرأسها عدي صدام حسين. المكان الذي ظل دائماً حصناً منيعاً لنجل الرئيس أُفرغت خزائنه. لقد طال السلب كل شيء. هذا الرجل لم يجد إلا زهوراً حملها علّه يجد من يهديها له في هذه الأيام الحالكة. النهب طال كذلك حتى المباني النكيرة ومنها تم نهب كل ما يمكن حمله (مقاعد، ثلاجات، أجهزة تكييف)، باختصار كل شيء. حتى الرئيس الركن المهيب لم يعد مهاباً. صور صدام حسين تضرب وتُمزق في قلب بغداد! من كان يُصدق. صور تؤكد أن وجه العراق الذي عرفه العالم منذ أكثر من ثلاثين عاماً بدأ بالزوال. إنها فعلاً بداية النهاية.

قناة العربية

مقتطفات من نشرة أخبار العاشرة مساءً في اليوم التالي لسقوط بغداد

عناوين الأخبار

ـ إسقاط تمثال الرئيس العراقي صدام حسين في دلالة على نهاية فترة حكم دامت أربعة وعشرين عاماً.

ـ رامسفيلد يقول إنّ كبار المسؤولين العراقيين وصلوا إلى سوريا ويتوقع أن يستمر القتال في العراق إلى بعض الوقت.

ـ الغموض يحيط مصير الرئيس العراقي وأسرته وأعضاء الحكومة والفوضى تعم شوارع العاصمة العراقية في ظل غياب أي تواجد للمسؤولين العراقيين.

افتتاحية الأخبار

نبدأ بتطوّرات الوضع في بغداد التي أضحت صباح هذا اليوم دون حكومة بعد أن انتشرت فيها القوات الأمريكية وغابت عناصر الأمن والمقاومة العراقية، كما اختفى المسؤولون العراقيون. وقد هدم المواطنون العراقيون بالتعاون مع القوات الأمريكية تمثالاً ضخماً للرئيس العراقي صدام حسين إيذاناً بانتهاء حقبة كاملة في العراق عاشت خلالها ثلاث حروب وأكثر من اثني عشر عاماً من الحصار والعزلة الدولية. هذا وقد أعلن الجنرال بوفورد بلند قائد فرقة المشاة الأمريكية الثالثة أن القوات الأمريكية أمنت وسط بغداد وأن مرحلة القتال في حرب العراق ستنتهي في خلال أيام في العاصمة وجنوب العراق على الأقل. وقد مزق المواطنون أيضاً صوراً للرئيس العراقي صدام حسين أمام عدد من المباني الحكومية وفي الميادين العامة، وشهدت المدينة عدة حالات نهب وسلب للمصالح الحكومية والمحلات التجارية وشوهدت دبابات أمريكية في الميادين الرئيسية للمدينة كما بدأ بعض الصحفيين الأجانب بمغادرة بغداد.

تقرير مصور

هكذا بدا الحال في العاصمة العراقية بغداد. ما نراه من سلب ونهب يعبِّر عن حال هذا الشعب. وهنا في مدينة صدام، إحدى الضواحي الشمالية لبغداد، تمركزت الدبابات الأمريكية بعد أن طلب السكان من الميليشيات الفدائية المغادرة قبل وصول القوات الأمريكية. وفي ظل هذه الأحوال لم يظهر أي مسؤول عراقي أو شرطة في شوارع العاصمة العراقية. السلب في بغداد لم يستثن مقر الأمم المتحدة أو حتى المقرات الحكومية وسط تساؤلات عن اختفاء السلطات العراقية المختلفة ومكان تواجدها.

قناة الجزيرة الفضائية

مقتطفات من نشرة أخبار الحادية عشرة مساء في اليوم التالي لسقوط بغداد

عناوين الأخبار

ـ قوات المارينز والدبابات الأمريكية تسيطر على وسط بغداد وتنتشر في معظم أرجائها.

ـ المعدات العسكرية والمباني في بغداد تتعرض لأعمال نهب وسلب على نطاق واسع.

ـ تشيني يؤكد أن السلطة المركزية العراقية انهارت لكنه لا يستبعد وقوع قتال في الأيام القادمة.

ـ رامسفيلد يتهم سوريا بأنها سمحت لعدد من رموز النظام العراقي بالعبور إلى أراضيها.

افتتاحية الأخبار

انتشرت قوات المارينز والدبّابات الأمريكية في شوارع العاصمة العراقية بغداد وأصبحت تسيطر على معظم أرجائها. وأفاد مراسل الجزيرة في بغداد أن حوالى عشرين دبابة وسيارة عسكرية أمريكية اتخذت مواقع لها في ساحة التحرير في وسط العاصمة العراقية، وأن القوات الأمريكية كانت تبث رسائل صوتية عبر مكبرات الصوت تدعو فيها إلى عدم إطلاق النار عليها. وقد بدت شوارع بغداد خالية من أي انتشار عسكري أو أمني سواء في التحصينات الدفاعية في بعض شوارع بغداد أو أمام الأبنية الحكومية ومقرات المؤسسات الدولية.

تقرير مصور

لا شيء يمكن أن يكون أشبه بالنهاية. معركة فندق فلسطين، أو ربما آخر مشاهد الحرب الأمريكية ـ البريطانية على العراق، لم تدر بالقنابل والصواريخ ولم تسل بها دماء حيّة مثلما حدث يوم الثلاثاء الأسود. فبين الأمس واليوم تغيرت أشياء كثيرة على ما يبدو ولم تعد الصحافة العدو الثاني للمارينز بعدما تحول المشهد من تعثر أمريكي إلى نصر

أكيد. دبابات أمريكية تطوق فندقاً تجمهرت فيه غالبية وسائل الإعلام الدولية دون أن يكون لها هدف مقنع غير إبلاغ رسالة إلى العالم أنه قد وصل «اليانكيز» (Yankees) إلى قلب بغداد. غير أن ذلك لم يكن إلا تمهيداً لمفاجأة أكبر عمقاً ومغزى. تمثال عملاق للرئيس العراقي صدام حسين ما زال ينطح السماء بعنفوانه، فضاء المكان بخيلاء المجد الذي كان ربما إلى صبيحة هذا اليوم. لم تحسم المعركة إذاً ولا يوجد وقت أفضل من هذه اللحظة لإتباع رسالة الوصول إلى قلب بغداد برسالة نهاية صدام حسين ممثلة في إسقاط تمثاله في مشهد حيّ على ملايين شاشات التلفزة عبر العالم. لكن العملية التي شارك فيها عدد قليل من العراقيين الأحداث إلى جانب الجنود الأمريكان لم تخل من مطبات أو على الأصح من فلتات رمزية حبلى بالدلالات. فبعد فشل العراقيين في شنق تمثال القائد المهيب صدام حسين وتقطع حبالهم وكلل سواعدهم دون ذلك، كان لا بد من أن يتولى الجنود الأمريكيون تلك الجهود الصعبة. فالمشهد هو المشهد والحاجز بين الحقيقة والواقع تلاشى إلى حد كبير. غير أن الجندي الأمريكي القادم على دبابة طويلة الذراع لم يعد في نشوة النصر يتذكر أنه يقف على أرض غير أمريكية أو تعمد إهانة أو تصرف جهلاً. وكلها أعذار أقبح من الذنب. فكان هذا المشهد الذي سيُسجّله التاريخ. وبعد معضلة المقصد، برزت مشكلة التأويل هل هو جندي أمريكي يشنق دكتاتوراً أم غاز أجنبي يطيح برأس أمة أخرى؟ ألا يستخدم العلم عادة بهذه الطريقة لتكريم شهداء الوطن؟ وهل عادة يشنق المجرمون ملفعين بالأعلام؟ يجب الخروج من هذا المأزق بأي طريقة ممكنة، وخاصة أن العراق كان له علم. ويبدو أن العراقيين المشاركين في تنفيذ الإعدام الرمزي تذكروا ذلك بعد قليل. ولكن معضلة أخرى تبرز. فالعلم اللصيق بصدام يحمل عبارة الله أكبر ويجب استبداله لذلك الاعتبار. ومع ذلك لم تحل المشكلة وساد الارتباك. يجب إعدام الرئيس دون أيّ علم يوشحه. يجب تجريده من هذا الشرف لحظة. النهاية حملت تطوراً آخر، ربما بعث خوفاً خفيّاً في المارينز. فالتمثال ينحني ولكنه لا يسقط بسرعة، وحتى بعد سقوطه، بقيت له أقدام راسخة في الإسمنت العراقي المسلح النابت في قلب بغداد.

٣- صياغة الأخبار ونقل الحدث

محمد الزياني

من الواضح أن التعامل مع سقوط بغداد وتداعيات هذا الحدث لم يكن هو ذاته في القنوات الثلاث، رغم وجوه التشابه الكثيرة في الصور والمحتوى. فهناك من ركز على الفوضى وهناك من ركز على سقوط النظام وهناك من ركز على عراق ما بعد صدام. الاختلاف ليس فقط في التركيز بل يشمل الاستنتاجات وحتى دلالة سقوط بغداد. نبدأ الحوار بسؤال عن طريقة صياغة الأخبار. هل توجد سياسة إعلامية عربية واضحة للتعامل مع الأحداث؟ من يحدد الأجندة (مثلاً قضية سوريا لم تذكر في عناوين أخبار بعض القنوات)؟ التقارير التي تحفل بها النشرات الإخبارية، هل هي تصاغ ضمن إطار معين أم يترك للمراسل أن يحرر ما يستنتجه ويضفي الشحنة التي يريد؟ ما هي الكيفية

التي يجري بها التعامل مع الخبر أو الحدث وكيف تتم صياغته للمشاهد، ومن يحدد الخيارات التحريرية للنشرة؟

الحبيب الغريبي

اعتقد أنه ليس فقط بالنسبة الى قناة أبو ظبي، بل بالنسبة الى كل الفضائيات، أحدثت هذه الحادثة صدمة وحالة بهتان ربما يمكن وصفها بالحلقة المفقودة في التغطية الشاملة للحرب. لم يكن هناك توقعات مسبقة بأن يحصل ما حصل بهذه الكيفيّة وبهذه السرعة، ولم يكن هناك أي حسبان لكيفية التغطية. فأعتقد أن التغطية في جميع القنوات كانت إلى حد ما متوترة متسرعة. ولم نحاول أن نقرأ المشهد بكل عناصره المختلفة. لذلك جاءت المقاربة أحياناً مختلفة وأحياناً متناقضة بين القنوات الثلاث. وحتى المسميات والمصطلحات كانت غير دقيقة أو هي مؤقتة. فحادثة سقوط بغداد ودخول الدبابات الأمريكية وسط ساحة الفردوس في بغداد كانت مفاجأة للجميع. وتعامل معها الجميع بنبرة مشوبة نسبياً بالمرارة. كذلك نحس أنه كان هناك في بعض المقاربات خطاب تبريري ومحاولة فهم المقاربات بشيء من الذهول حيال ما حصل. قد تكون فعلاً هناك أخطاء أو عدم دقة في تعامل الفضائيات مع هذا الحدث التاريخي، ولكن لا أريد أن أحملها مسؤولية ارتكاب أخطاء ربما كانت ناتجة من قرار معين أو رؤية معينة أو استزاتيجية معينة إن صح التعبير. نحن نعلم أنه في مثل هذه التغطيات يغيب أحياناً التنسيق وتغيب الفكرة المشتركة. في هذه الحالة: طبيعة الحادثة هي التي أملت ما يمكن وصفه بالتذبذب في عملية التغطية.

٤ ـ التشكيك في انتهاء الحرب

محمد الزياني

نتوجه بالسؤال إلى الأستاذ فيصل القاسم. من الواضح، على الأقل من تقرير قناة الجزيرة الذي يتناول الدلالة الفعلية والرمزية لسقوط تمثال صدام في ساحة الفردوس أنه كان هناك نوع من التشكيك في سقوط بغداد ونهاية الحرب، بل حتى عدم التصديق. فمثلاً في الوقت الذي غيرت فيه العربية عنوان التغطية الإعلامية من حرب الخليج الثالثة إلى نهاية حقبة، لاحظنا أن الجزيرة تشبثت نوعاً ما بفكرة أن الحرب لم تنته بعد، وكانت تصر على أنه اليوم الواحد والعشرون من الحرب. كيف تفسرذلك؟ هل يبرر هذا آراء بعض النقاد أن بعض الفضائيات مثل قناة الجزيرة ليست موضوعية، بل إن إعلامها يخفي أجندة وبالتالي فهو إعلام غير مسؤول؟

فيصل القاسم

أعتقد أن هذه ليست التهمة الأولى والوحيدة التي توجه مثلاً إلى تغطية قناة الجزيرة. ولكن أقول بكل صدق وبعيد عن البهرجات أن هناك لدينا هامشاً كبيراً من الحرية. أما في خصوص الذين يقومون على كتابة أو تحرير التقارير، فأعتقد أنه ليس

لدينا تلك السياسة التحضيرية الصارمة التي تراقب كل كلمة. لكن للأسف الشديد نحن تعودنا كعرب أن نقرأ كثيراً جداً بين السطور، أي نبدأ نفتش وننقب عن كل صغيرة وكبيرة لنصل إلى نتيجة نحن قد وضعناها أصلاً في مخيلتنا قبل أن نبدأ في التفتيش عنها. باختصار أعتقد أن قارئ التقرير الذي عرضته الجزيرة عن سقوط رمز النظام العراقي في بغداد يعكس أسلوبه للتعبير عن تلك اللحظة التاريخية لا أكثر ولا أقل. من شاهد الزميل ماهر عبد الله وهو يعلق على الحدث مباشرة، لا بد من أنه لاحظ كيف كان طبيعياً ومسترسلاً ولم يستمع إلى توجيهات أحد. كان هناك فقط يراقب ما يحدث ويتحدث عن الموضوع دون أي قيود أو مراقب.

٥ ـ الصورة الإعلامية للمجتمع العراقي

محمد الزياني

نبقى مع تغطية سقوط بغداد وبالتحديد التركيز على النهب والسلب والتخريب بعد سقوط النظام العراقي. البعض يتهم الفضائيات بأنها بالغت في تصوير هذه المسائل، ويتساءل: أين الجانب الآخر والشريحة الكبرى من المجتمع العراقي؟ هل الناس الذين شاهدناهم يمثلون حقيقة المجتمع العراقي؟ أين خيرة الشعب العراقي مثل الطواقم الطبية في المستشفيات والأطباء الذين واصلوا عملهم وأدوا أكثر من دورهم في ظروف قاسية وصعبة جداً؟. لنذهب أبعد من ذلك. خلال عمليات التفتيش عما يسمى بأسلحة الدمار الشامل، الصورة التي نقلها الإعلام العربي عن العراق كانت تزخر بالعلماء والمهندسين وذوي الكفاءات والمهارات العالية. مباشرة بعد سقوط بغداد وبين عشية وضحاها صوِرت الفضائيات العربية وبطريقة درامية ومكثفة المجتمع العراقي على أنه مجتمع غير حضاري يسلب وينهب إلى درجة أن الصورة التي رسخت في الأذهان هي صورة الفوضى والرعاع والغوغاء. وهناك حتى من قال إن هذه الفضائيات مُصرة على إهانة الشعب العراقي. السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: هل أنصف الإعلام العربي الشعب العراقي؟

فيصل القاسم

كمراقب لما حدث أريد أن أشير إلى أن هناك موقعاً أمريكياً على الإنترنت يدعى «whathappened.com» يغطي النصف الآخر من الكثير من الأمور. وهو موقع مهم جداً يأخذ من كل وسائل الإعلام العالمية ويعدل الصورة الإعلامية. نحن نعلم جميعاً أن الإعلام يتبع الحدث وحيثما كان هناك حدث تتوجه الكاميرات وتتوجه كل الأنظار. يشير هذا الموقع الى أن عملية إسقاط التمثال، وأنا هنا لا أدافع عن تماثيل وأعتقد أن الوطن العربي ساحاته ملوثة بالكثير من التماثيل، وهذه نقطة يجب الإشارة إليها، عملية إسقاط التمثال كانت عملية ممسرحة إعلامياً تماماً. وهناك الكثير من الإثباتات في هذا الخصوص. فمثلاً قال هذا الموقع إن الأشخاص الذين كانوا موجودين حول التمثال هم ليسوا من بغداد، بل جاؤوا من خارج العاصمة العراقية للقيام بهذه المسرحية، وإذا نظرت إلى نوعية هؤلاء الأشخاص، لوجدت فعلاً أنهم من نوع واحد وفصيلة واحدة ولون واحد.

وقال الموقع، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن العراقيين لم يكونوا سعداء بسقوط النظام، وقال لو أن العراقيين كانوا فعلاً أرادوا إسقاط التمثال لخرجوا بالآلاف. لو أحصينا عدد الأشخاص الذين كانوا موجودين حول التمثال لوجدنا أنهم كانوا محدودين جداً وهم أشخاص مدبلجين ومبرمجين في الوقت نفسه. عندما نهبت جامعة الموصل شاهدت سيدة عراقية، وأستاذة في جامعة الموصل، تصيح بأعلى صوتها على شاشات التلفزيون وتقول إنها شاهدت بعض الشاحنات المحملة بقطاع الطرق واللصوص جاء بهم مجهولون إلى المدينة وأطلقوهم فعاثوا فساداً وخراباً ودمروا ونهبوا جامعة الموصل ومحتوياتها، مما يذكرنا بحملة هولاكو عندما أصبح لون نهر دجلة أزرق بسبب الكتب الذي رميت فيه. فإذاً هناك العديد من الموضوعات التي مُسرحت، وكإعلام، نحن لا نستطيع أن لا نسير مع الحدث خاصة إذا كان هذا الحدث يتعلق بعملية إنزال تمثال صدام وهي عملية مهمة جداً في التاريخ العراقي الحديث. إذاً يجب أن نبقي الكثير من النقاط في الذهن لإجراء نوع المقارنة، وأنا فقط هنا أنقل ما قرأته في موقع أمريكي في واقع الأمر.

٦ ـ الحيادية في نقل الأخبار

محمد الزياني

في تصريح لصحيفة الحياة، يقول علي الحديثي، رئيس شركة الشرق الأوسط للأخبار المالكة لقناة العربية، أن «القناة ستوفر للجمهور العربي خياراً آخر في تغطية الأحداث لإيصال مرآة صادقة للجمهور العربي تبث الأخبار من دون إثارة مفتعلة»[٣]. هل يمكن اتباع الحيادية في الأخبار باعتبار أن مفهوم أو مبدأ الحيادية يمكن أن يتحول إلى سلاح ذي حدين؟ هل عندما نتحدث عن موضوعية الإعلام هذه الموضوعية هي مجردة؟ الأهم من ذلك هل سيرضى المشاهد العربي بقناة حيادية تنقل له الأخبار من دون إضفاء روح عربية عليها؟

فادي إسماعيل

يمكن طرح هذا السؤال بطريقة أخرى: هل يمكن التوفيق بين المهنية والحيادية؟ بالنسبة الى موضوع الإثارة وبالتحديد ما يخص تغطية حالة الفوضى التي عمت بغداد بعد سقوط النظام العراقي، هل المطلوب من وسائل الإعلام هو إعطاء الانطباع بأنه لا همّ ولا شغل لستة وعشرين مليون عراقي سوى النهب والسلب؟ هل هذا هو الشعب العراقي؟ يقال في مدارس الإعلاميين أن الخبر هو ما يقرر رئيس التحرير أنه الخبر. قد تقرر قنوات عربية أو أجنبية أن الخبر الأول هو عمليات السلب في بغداد، فتصبح كل القنوات تردد الخبر نفسه وتنقل المشاهد نفسها ولا تتحدث إلا عن انفلات المجتمع العراقي، مما يعطي وزن تحرير للخبر. الخبر هو الخبر. كيفية تأويل الخبر هي المشكلة. فهناك فرق

---

(٣) علي الحديثي، في: الحياة، ٢٠٠٣/٤/٢١.

في صياغة الخبر بين المراسل العراقي المشحون بالعواطف لأنه ابن البلد ويعيش فيه، والمراسل غير العراقي الموجود في العراق. هناك أيضاً فرق في صياغة الخبر بين المراسل الموجود في العراق وكاتب التقرير الموجود في دبي او الدوحة أو أبو ظبي الذي يحرر التقرير براحة ويفكر في أمثل طريقة لتلوين التقرير حتى يتسنى إثارة بعض المشاهدين. هناك اختلافات طبعاً والعملية ليست أبيض وأسود. ليس هناك رقيب يراقب كل كلمة تقال في الاستديوهات او على الأرض. وبالتالي يستطيع أن يحذف المادة التي لا يرغب في بثها. نحن لسنا وزارات إعلام خفية. هذا الزمن هو زمن التلفزيون الحي (Live). انتهى الوقت الذي يستطيع فيه رئيس التحرير أن يقطع أو يحذف ما لا يعجبه من تقرير المراسل.

فيصل القاسم

في خصوص مسألة الحياد يمكن القول بأن الحرب بالنسبة الى وسائل الإعلام الغربية بمجملها، باستثناء وسائل الإعلام الفرنسية، كانت قضية. يمكن القول بأن تغطيات عديدة كانت إلى حد ما معقولة قبل الحرب. لكن عند اندلاع الحرب، بدأنا نلاحظ ملامح الشوفينية والوطنية، حتى أن الكثيرين من المشاهدين الغربيين بدأوا يضيقون ذرعاً بالتغطية الغربية. إذا استمعت لأحد مراسلي «بي بي سي» (BBC) الذين كانوا يغطون الحرب مع القوات البريطانية، وأنا واثق من كلامي، فإنك ستجده لا يختلف بأي حال من الأحوال عن الصحّاف. كان صحّافاً بلغة أنكليزية وبلهجة إنكليزية. نحن نوزع النكات حول تصريحات محمد سعيد الصحاف، ولكن كان هناك عشرات الصحافين في الإعلام الغربي والإعلام الأمريكي بصفة خاصة. لقد شاهدنا كماً هائلاً من الأكاذيب ولكن كلها وقعت برأس الصحاف في النهاية. من المؤسف أن تقوم القوة المنتصرة بكتابة التاريخ حسب ما يروق لها. نحن نعرف أن التاريخ عادة يُعطي للمنتصر كل ما في هذه الدنيا من أشياء جميلة ويأخذ من الخاسرين أو المهزومين أجمل ما فيهم إن صحّ التعبير حتى ولو قاوموا واستبسلوا، فكيف إذا كانوا من بني يَعْرُبْ القابعين في حضيض البشرية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً؟

خلال هذه الحرب حظيت إذاعة «مونتي كارلو» (Monte Carlo) بنسبة استماع عالية جداً بالمقارنة مع الإذاعات الأخرى لأن موقف فرنسا حيال الحرب كان مختلفاً عن المواقف الأخرى بشكل كبير. وأنا اطلعت على استفتاءات في واقع الأمر تفيد بأن عدد مستمعي بعض الإذاعات الغربيّة انخفض إلى أكثر من اثنين أو ثلاثة بالمئة، بينما ارتفعت نسبة إذاعة «مونتي كارلو» إلى أكثر من خمسة وثلاثين بالمئة. إذاً يجب أن نكون منصفين. هناك من يتهمنا بالإفراط في الحياد. على حد قول هؤلاء نحن لا ينبغي لنا أن نبالغ في الحياد لأن القضية تهمنا وهي ليست مسألة بسيطة، وإنما هي مسألة احتلال وطن عربي. أعتقد أنه في الوقت الذي بدأنا نحن نأخذ أفضل ما في الإعلام الغربي، بدأ الإعلام الغربي والإعلاميون الغربيون يتقوقعون ويعودون إلى المربّع الأول وإلى الشوفينيّة عملاً بقولة موسيليني «في أسوأ الأوقات، الإنسان يعود إلى وطنه».

الحبيب الغريبي

نحن بدأنا نأخذ أفضل ما في الإعلام الغربي، والإعلام الغربي بدأ يأخذ أسوأ ما كان فينا. أقول هذا ليس من باب مسايرة ما يُقال، ولكن تغطية الإعلام الغرْبي وخاصة الشبكات الأمريكية كان عليها العديد من نقاط الاستفهام. هناك العديد من استطلاعات الرأي في هذا الخصوص أذكر منها فقط استطلاع رأي كانت أجرته «أميركا أون لاين» (America On Line) لخدمات الإنترنت طرحت سؤالاً على مليون ومائتي ألف أمريكي يقول «هل تشعر بأن التغطية الإعلامية الأمريكية على الهواء مباشرة تعطيك صورة كاملة عما يدور في الحرب على العراق؟». الإجابة كانت بنسبة ناهزت ثمانين بالمئة «لا» وثلاثة عشر بالمئة «نعم». وهذا فقط نموذج من استطلاعات الرأي الحاصلة. والأمريكيون يشعرون بهذه الإشكالية. طبعاً هذا ليس مدعاة لنا بأن تتضخّم شوفينيّتنا أو ربما الرضى عن الذات. أعتقد أن الإعلام العربي كسب هذه المعركة، ولكن المعارك القادمة ربما تكون أخطر. كانت هناك شبهة ألصقت على مدى سنوات بالإعلام العربي وبخاصة الإعلام الرسمي أنه بوق دعاية (Propaganda). من مفارقات ومن أضحوكات التاريخ أننا في هذه الحرب صرنا نحن الذين نتندّر على الإعلام الأمريكي والغربي على أنه أداة دعاية للسياسة الأمريكية والغربية عموماً. ظهر هذا في أكثر من حادثة، لعل أشهرها هي قصة سقوط قذيفة على حي الشعلة في بغداد وكانت الاتهامات الأمريكية تؤكّد وتصرّ على أنه صاروخ عراقي أخطأ مرماه. كان لا بد لحسم الأمر من صحافي بريطاني يدعى روبرت فيسك أن يذهب إلى موقع الحادثة ويُعاين قطعة من هذا الصاروخ تحمل رقم السلسلة والمصنع الذي صنع فيه وهو مصنع أمريكي. إذاً أنا بودي أن لا نعطي الانطباع بأننا ندافع من أجل الدفاع عن ذاتنا أو تحصين بيتنا، ولكن هنالك حقائق يجب أن نذكرها كلما كانت مناسبة.

٧- الخوف الهستيري من الإعلام العربي

محمد الزياني

نبقى مع موضوع الإعلام العربي والغرب. من الواضح أنه كانت هناك هجمة إعلامية صاخبة من أمريكا وبريطانيا على تغطية وسائل الإعلام العربية للحرب. كما كانت هناك محاولات عديدة لإسكات الفضائيات العربية خلال الحرب.استهداف مكتبي قناة الجزيرة وأبو ظبي، ماذا نستنتج منه، وبخاصة أن هذا الاستهداف صار فيه نوع من النمطية، إذ سبق أن قصف مكتب الجزيرة في كابول خلال الحرب على أفغانستان؟ هل تسعى الولايات المتحدة إلى إسكات الفضائيات العربية، ولماذا؟ هل تخشى الولايات المتحدة الأمريكية الإعلام العربي؟ وهل هذا الخوف مبرر؟ هذه الهستيريا إذا صح التعبير ألا تدل على هشاشة المبادئ والشعارات الأمريكية وازدواجيتها في خصوص الحرية والديمقراطية وخاصة أن هذه الحرب أبرزت أن الولايات المتحدة لا تسمح باختلافات في الرأي والصورة إلا إذا كانت تخدم مصلحتها إلى درجة أنه حتى المراسلون الأمريكيون

الذين تجرأوا على أن يكون لهم نوع من الاستقلالية او الجرأة للمجازفة خارج المنظومة الإعلامية الأمريكية، وقع التبرؤ منهم؟ هل فشل الغرب في فهم وجهة النظر العربية والتعامل مع الواقع العربي وعلى رأسه الإعلام المرئي العربي؟

فادي إسماعيل

أنا لا أظن أنه كانت هناك هستيريا حيال الإعلام العربي. في الواقع كانت هناك نظرية نريد أن نصدقها وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية تخشى الشارع العربي. لو كانت الولايات المتحدة تخشى الشارع العربي لما غزت العراق. منذ أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر حاول الأمريكيون القيام بما يسمى بالدبلوماسية العامة (Public Diplomacy)، أي التوجّه إلى الشعوب العربية ومخاطبتها. بدأوا بإذاعة «سوى» والآن هم في صدد إطلاق قناة فضائية تنافس الفضائيات العربية. المشكلة هي أن بعض الأوساط تفتقر إلى خبراء أمريكيين حكماء في المنطقة. طبعاً هناك قلة تعلم أنه إذا لم تغير أمريكا سياساتها فعبثاً تحاول عبر الشبكات التلفزية والإذاعات أن تعطي انطباعاً جيّداً عن أمريكا. إذاً المشكلة تكمن في السياسات وليس في طريقة إيصال الرسائل الأمريكية. ما نخشاه ليس على نطاق إعلامي ولكن على نطاق عربي هو أن تكون أمريكا قررت إحداث زلزال في المنطقة مهما كان الثمن، ولو كان ذلك على حساب الاستقرار في المنطقة. كانت الاستراتيجية الأمريكية تحول دون إدخال تغييرات إلى المنطقة. يرى البعض أن هذه الاستراتيجية قد تغيرت أخيراً وأن الاستقرار الذي كان سائداً هو ليس الاستقرار الذي تريده أمريكا وإن كان ثمن هذه التغييرات هو زعزعة المنطقة ككل. إذاً هناك مخطط سياسي يعتمد إلى حد ما على وسائل الإعلام الأمريكية التي تتناغم معه وتمهد له.

هنا نعود إلى مفهوم الحيادية. كيف يمكن أن يكون الإعلام العربي حيادياً إزاء هجمة على الوطن العربي؟ من الصعب إيجاد توازن بين تقديم مادة مقبولة ومادة مفيدة لا تدغدغ عواطف الناس من أجل الدغدغة، أي التنافس لكسب المشاهد على حساب نوع من التفكير البعيد المدى. أعود إلى ما قلته في البداية. نحن لسنا بديلاً من الأحزاب الطليعية الثورية. لا يمكن أن يُطلب من الفضائيات أن تُثوِّر الشارع العربي وأن تصبح طليعة القوى المناضلة ضد العدوان الأمريكي. هذا لا يمكن ولا يجب أن يكون دور الفضائيات. التحدي الذي يواجهنا هو الموازنة بين المتطلبات المهنية وإعطاء المشاهد رأياً ومعلومة حتى يتمكن من أن يستنتج ويحكم بنفسه على الأحداث. لسنا أولياء على المشاهد العربي حتى نفسر له ما يحدث. المشاهد العربي هو مشاهد واع سياسيّاً.

٨ ـ الفضائيات والشارع العربي

محمد الزياني

يرى البعض أن القنوات لها تأثير كبير في المشاهد العربي. فهي تثير حماس وحمية بعض المشاهدين وتدعو بعضهم إما للاحتجاج والتظاهر أو التطوع للحرب

والالتحاق بصفوف الجيش العراقي للدفاع عن «الكرامة العربية» أو ما تبقى منها. فالإعلام العربي على حد قول عبد الحميد الأنصاري «محكوم بمناخ عام وجمهور غذي بشعارات إعلام التعبئة والحشد والتحريض عبر أكثر من نصف قرن، فهو أسير من غذاهم ورباهم ومحكوم بعقليتهم التي سمموها وبنفسيتهم التي زرع فيها أوهام وأساطير وخرافات في عمليات شحن طويلة»[٤]. هل للإعلام العربي الجديد القدرة على تحريك الشعوب؟ هل فعلاً يسعى هذا الإعلام العربي والفضائيات العربية بصفة خاصة إلى دغدغة مشاعر المشاهد واللعب بشعور الإنسان العربي البسيط؟ ثم هل المشاهد العربي سهل التأثير، مثله كمثل البطارية الفارغة الذي يتم شحنها بهذا الزخم الإعلامي فينساق وراءه دون تفكير؟ هل المشاهد العربي عاطفي ومنساق إلى درجة أن ما يراه على الفضائيات يشحن عزيمته ويقوده إلى اندفاع غير واع؟

فيصل القاسم

آخر ما يمكن أن يُتهم به الإعلام العربي والفضائيات العربية هو دغدغة المشاعر. اتهام بعض الفضائيات العربية بأنها تردّد خطاب أحمد سعيد في صوت العرب «أمجاد يا عرب أمجاد» و«انتصرنا» إلى ما هناك من هذا الكلام، في واقع الأمر هذه التهمة هي في غير محلها وليست صحيحة لا من بعيد ولا من قريب. خذ مثلاً قناة الجزيرة التي تتهم بالإثارة والدغدغة. لو كانت الجزيرة تدغدغ وتثير لما سحبت خمس دول عربية سفراءها في الدوحة بسبب برنامج اسمه «الاتجاه المعاكس». بالعكس لو كان مثل هذا البرنامج يدغدغ لصفقوا له وهللوا له. الكثير يتهم هذه الفضائيات بأنها تدقّ الأسافين وتزرع الفتن إلى غير ذلك. كيف يمكن التوفيق بين تهمة دق الأسافين وتهمة الدغدغة؟ إذا أردنا أن نصف الفضائيات العربية فهي تفكيكية (Deconstructionist)، همها الأول هو تفكيكي. هذه الفضائيات تحاول أن تقلب وأن تغير وأن تساعد .

البعض يقول إن الإعلام العربي غير مطالب بأي شيء. طبعاً هو مطالب ومطالب بالكثير. سلاح المرحلة وسلاح العصر هو الإعلام، وهو السلاح الأول والأخير في نهاية المطاف. الإعلام صار الشغل الشاغل للكثير من الناس حتى أن أطفالنا يشاهدون التلفزيون أكثر مما يحضرون الدروس المدرسية. نحن اليوم نعيش في عصر الصورة ويجب أن نستفيد من هذا العصر بكافة الوسائل. طبعاً لا أحد يشكك في أن الإعلام هو في واقع الأمر سلاح مهم تماماً مثل سلاح البحرية والجو إن لم يكن أهم. ومع الأسف الشديد نحن كعرب لم نصل بعد إلى مرحلة استعمال الإعلام كسلاح. نحن لا نجيد استخدام الأسلحة العادية كما ينبغي، فما بالك بسلاح الإعلام؟ يكفي هنا أن نشير إلى الإنفاق الأمريكي على سلاح الإعلام خلال الحرب، إذ كانت هناك طائرات خاصة مجهزة بميكروفونات تحلق في الأجواء وتوزع منشورات وتقوم بحرب نفسية، ونحن نعرف أن الحرب النفسية هي جزء مهم جداً من الحرب.

---

(٤) الحياة، ٢٠٠٣/٤/١٧، ص ٢٥.

الحبيب الغريبي

يرى البعض أن الإعلام العربي ليس بديلاً من الأحزاب السياسية. ولكن الإعلاميين عموماً وبخاصة في زمن الفضائيات، أحببنا أم كرهنا، اعترفنا أم لم نعترف، هم أيضاً يصوغون الرأي العام العربي. فهم أيضاً في مكانة تؤهلهم، لا أقول إلى توجيه الرأي العام يميناً أو يساراً، ولكن على الأقل إلى صياغته بشكل أو بآخر. نحن الآن لسنا بدلاء من السياسيين، ولكن ربما في يوم ما سيصبح الإعلام فعلاً بديلاً للأحزاب السياسية في زمن سقوط الإيديولوجيّات نهائيّاً.

رابعاً: مداخلات وأسئلة الحضور وتناول الأسئلة

سؤال: لماذا لا يسأل الإعلاميون الشعب العراقي رأيه في تغطية الفضائيات العربية للحرب على العراق؟ ولماذا أقفلت الفضائيات العربية موضوع المعارضة العراقية؟ لماذا لم تأت الفضائيات ببعض أفراد أو عناصر المعارضة العراقية لكشف حقيقة ما حدث في العراق عوضاً من التخبط في التكهنات والتحليلات التي لا تسمن ولا تغني من جوع؟ كذلك بعض المحللين الاستراتجيين الذين تعاقدت معهم القنوات العربية لم يكونوا في المستوى. فمثلاً في الوقت الذي كان فيه أحد المحللين المصريين يقول إن القوات الأمريكية لن تدخل بغداد قبل عشرين سنة، كانت القوات الأمريكية قد أمنت نصف بغداد. لماذا لا تستضيف الفضائيات العربية العراقيين وتسألهم؟ أليس أهل مكة أدرى بشعابها؟

فيصل القاسم

البعض يسأل: هل أخذنا رأي العراقيين في الفضائيات؟ قبل أن نسأل العراقي رأيه في الفضائيات، لنسأله أولاً هل يعرف الفضائيات؟ ويمكن أن نقيس هنا على مثل العربي الذي سُئل «ما هو رأيك في اللحم؟» فأجاب «ما معنى رأي؟». لم يكن هناك استقبال للفضائيات في العراق، بل كان هناك تضييق إعلامي شبه كامل. بالإضافة إلى تلفزيون الشباب، كان هناك تلفزيون واحد لا هم له طوال اليوم إلا «استقبل... وودّع... وحيّ...».

سؤال: هل كانت القنوات الأمريكية وبالتحديد «سي إن إن» (CNN)، و «إن بي سي» (NBC)) و«فوكس» (Fox) موضوعية ومهنية ومحايدة وشفافة بالقدر الذي كانت به القنوات العربية؟

سؤال آخر: لا شك في أنه كان هناك ارتباك في خصوص موضوع المهنية. الإسراف في الحياد يؤدي في الواقع إلى الانهيار. الإعلام لا يتحدث في المجرد. كما قال الدكتور فيصل القاسم، عندما وقعت الحرب، تبناها الإعلام الأمريكي كقضية. وكذلك الإعلام العربي لا مناص له ولا فكاك إلا أن يتبنى الحرب كقضية. المشكلة كانت في المزج بين النظام العراقي والعراق. هل يمكن أن نقول إن سبب هذا الارتباك هو الفاصل بين القرار الإعلامي والقرار السياسي المعروف؟

فادي إسماعيل

يمكن أن نتداول بعمق ما هي الموضوعية والحيادية وكيف يمكن إظهار ذلك في أجواء حرب ومعاناة ومأساة. ولكن اعتقد أن هذا الموضوع يجب أن نتركه وراءنا. لو كانت الموضوعية والحيادية أمراً سهلاً وممكناً لكنّا جميعاً استطعنا إيصال معاناة الشعب العراقي لعقود. ولو كنا نجحنا في ذلك، لأدرك الشارع العربي كيف يمكن أن يوازن بين غضبه على الأمريكيين وتفهمه لما تعرض له الشعب العراقي حتى يسعى للتخلص من النظام بأي ثمن وعلى يد من ومهما كان. غير أن الموضوعية لم تكن دائماً في المتناول. هل كان في الإمكان مثلاً لأي صحفي عربي أن يذهب إلى العراق وأن يظهر السجون أو أي شيء من هذا القبيل؟ هذا لم يكن ممكناً طبعاً. وهذا يعني أننا لم نستطع أن نكون موضوعيين ومحايدين وبالتالي أن ننقل للمشاهدين صورة كاملة عما كان يجري في العراق قبل الحرب وقبل سقوط النظام حتى يكون غضبهم على العدوان الأمريكي موازياً لأمل الشعب العراقي بالتخلص مما يتعرض له.

سؤال: يقول الدكتور فيصل القاسم بأن الإعلام العربي نجح في التفوق على الإعلام الغربي. مع الأسف الإعلام العربي لم يكن ينقل إلا الحيّز الذي تركه له الإعلام الغربي. الفضائيات لم تركز على الأهداف الحقيقية للحرب. فمثلاً ما يتداوله الإعلام الغربي هو أن السبب المعلن للحرب هو أسلحة الدمار الشامل، فلماذا لم يركز الإعلام العربي على هذه القضية. أين هي أسلحة الدمار الشامل؟

فيصل القاسم

بالنسبة الى موضوع عدم التركيز على أسلحة الدمار الشامل، من يسأل مثل هذا السؤال لم يشاهد عشرات الحلقات التي فندت المزاعم الغربية حول الحرب بخصوص أسلحة الدمار الشامل. وكم حلقة قدمت عن كيف أن النفط هو السبب الأول والأخير وراء هذه الحرب؟ كم حلقة بثت عن الأيادي الإسرائيلية الصهيونية وراء هذا الغزو؟ الكثير من الموضوعات نوقشت في هذا الخصوص، ولكن لا نريد أن ننسى كل شيء ونتفرغ لموضوع أسلحة الدمار الشامل. فنحن قضينا أشهراً كاملة نتحدث عما إذا كان العراق يملك أو لا يملك أسلحة الدمار الشامل.

سؤال: لماذا لم تركز الفضائيات العربية على موضوع المتطوعين العرب، وبخاصة أنه كان هناك أكثر من ألفي شهيد سوري لا يعرف أحد مصيرهم في العراق؟

فيصل القاسم

بالنسبة إلى موضوع المتطوعين العرب، كانت هناك حلقة كاملة من برنامج «ما وراء الأحداث» مخصصة لتسليط الأضواء على هذا الموضوع، بما في ذلك موقف العراقيين من المتطوعين، ودور الإعلام في هذه الظاهرة، وتعامل الدول العربية مع المتطوعين العائدين من العراق.

سؤال: لماذا أغرقت الفضائيات العربية الثلاث وللأسف الشديد بشكل حاد الجمهور

العربي بمؤتمرات صحفية للغُزاة والمعتدين من واشنطن وحتى من قاعدة السيليّة في قطر؟

الحبيب الغريبي

بالنسبة إلى السؤال المتعلّق بنقل المؤتمرات الصحفية التي كانت تُعقد خلال الحرب؛ قناة أبوظبي مثلاً نقلت تقريباً كل المؤتمرات الصحفية مناصفة، وبشكل لا يوحي بأن هناك انحيازاً لهذا الطرف أو ذاك. كنا أحياناً نقطع مؤتمراً لنذهب إلى آخر حتى نحقق هذه المعادلة. فأظن أنه كان هناك عدل في التوزيع لمعرفة وجهات النظر المختلفة، وكم مؤتمر صحفي نقلناه لوزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف حتى أنه أصبح من نجوم هذه الحرب بفعل التكرار اليومي لنقل المؤتمرات الصحفية؟

فيصل القاسم

الأمر نفسه حدث بالنسبة الى قناة الجزيرة. كان هناك الكثير من المؤتمرات الصحفية التي تُعقد في الوقت نفسه، وكوسيلة إعلامية كان علينا أن نعطي المجال لكل المتحدثين الموجودين على الساحة.

فادي إسماعيل

كيف يمكن أن نفيد وكيف يمكن أن نستفيد إذا لم نكن ننقل ما يقوله الأمريكيون ولم نكن نعرف كيف يفكر الأمريكيون؟

سؤال: السؤال موجه الى قناة الجزيرة. هل وفقت قناة الجزيرة في أن تكون حياديّة نظراً لقربها من مركز التحالف، إذ إن مكتبها الرئيسي لا يبعد كثيراً عن قاعدة السيلية؟

فيصل القاسم

في خصوص إشكالية قرب قناة الجزيرة من قاعدة السيلية، كنا في الحقيقة معزولين تماماً عمّا يحدث هناك. طبعاً كان لدينا مراسل يغطي الأحداث، لكن ذلك لم يؤثر في التغطية ولو بنسبة واحد بالمئة. والدليل على ذلك أننا تعرضنا إلى وابل من الضغوط من العديد من المسؤولين الأمريكيين والبريطانيين، وبخاصة بعد عرضنا لصور الجنود الأمريكيين. وكانت هناك ضغوط كبيرة على جميع المستويات. لكن ذلك لم يثننا بأي حال من الأحوال عن ممارسة الخط نفسه الذي رسمناه. الكثيرون ينتقدوننا على أساس أننا نهتم ببعض المواضيع ونهمل البعض الآخر، وهذا غير صحيح. نحن في واقع الأمر لم نتأثر لأننا مستقلون، لا أقول ٩٩,٩٩ بالمئة، كما في نتائج بعض الانتخابات العربية الكاذبة، ولكن إلى حد كبير جداً.

مداخلة: الفضائيات العربية نجحت في نقل الأحداث من العراق نجاحاً كاملاً وباهراً وعلى جميع الصعد. ولكنها في الوقت نفسه فشلت في أن تكون مرآة للحقيقة. لم تنقل الفضائيات للمشاهد العربي صورة الحقيقة في بغداد قبل الحرب، فأصبح هناك وهم عن الأوضاع في العراق. فنجد أن كل مشاهد عربي كانت له فكرة معينة عن الأوضاع في

العراق، ولكن لم تكن لديه صورة عن الحقيقة. وحتى بعد سقوط بغداد، لم تكن الفضائيات العربية مرآة لحقيقة ما وقع في العراق إلى درجة أنه كان هناك إحباط في الشارع العربي. في الحقيقة لم تقم أي قناة عربية بإبراز حقيقة الوضع وكشف حقيقة ما حصل في العراق.

سؤال: كنت في البداية أظن أن الحرب على العراق كانت عسكرية، ولكن ظهر في النهاية أن الحرب هي إعلامية بالدرجة الأولى وأن المنتصر فيها هو المنتصر في الإعلام. ولكن هذا لا ينفي أن الحرب كانت أيضاً عسكرية وأسفرت عن ضحايا وانتهت بانتصار طرف وانهزام طرف ثان. كيف يمكن أن ننظر إلى هذه المعادلة؟

فيصل القاسم

من جهة أخرى، أريد أن أرد على موضوع أن الإعلام العربي لم يقدم الصورة الحقيقية للعراق قبل الحرب. أعتقد أن الإعلام العربي قدّم هذه الصورة وربما قام بذلك بأشكال مختلفة. لكن مع الأسف نحن كعرب نتعامل مع القضايا الجوهرية بعقلية غيبيّة متخلفة، إذ نبالغ كثيراً في تقييم قوتنا وأهميتنا. فمثلاً من الخطأ الشديد أن نصف ما وقع للعراق بأنه هزيمة. هل كانت هناك حرب بين أمريكا والعراق حتى نتحدث عن هزيمة؟ في الحقيقة لم تكن هناك حرب. لا يمكن أن نتحدث عن هزيمة وعن حرب إذا كانت أمريكا تنفق على ميزانية الدفاع سنوياً حوالى أربعمائة وخمسين مليار دولار، أي نصف ما ينفقه العالم، وإذا كان إجمالي الناتج القومي الأمريكي يبلغ أكثر من عشرة تريليونات دولار بينما يبلغ إجمالي الناتج المحلّي العراقي ستة وعشرين ملياراً. كلنا يعرف أن العراق كان عبارة عن بطّة عرجاء (Sitting Duck) ولم يخض حرباً أصلاً. هذه الأمور يجب أن تكون واضحة للمشاهدين حتى لا يصابوا بالدهشة والانزعاج والإحباط والذل. لم تكن هناك حرب في واقع الأمر، والحديث عن هزيمة هو في غير محله.

الحبيب الغريبي

بالنسبة الى من سأل لماذا لم ننقل الحقيقة كاملة قبل الحرب، أقول إن الحقيقة كانت غائبة حتى لدينا عن عراق صدام والصورة التي شاهدنا بها العراق الآن وبعد سقوط النظام السابق أظهرت لنا مفارقة جداً لما كنا نحمله من يقينيات أو شبه يقينيات حول الوضع في العراق. طبعاً جميعنا يريد أن يعرف الحقيقة كما هي، ولكن موضوعياً لم يكن ممكناً أن نصل إلى هذه الحقيقة بكل تفاصيلها وبكل مراراتها حتى نقدمها ونبلغها. الكل يعلم صعوبة عمل الصحافيين والمراسلين في العراق قبل سقوط بغداد، كانوا عرضة للرقابة تقريباً في كل كلمة يتكلمونها وكل صورة يلتقطونها. هذه ليست عملية تبرئة ذمة عن الصورة المجتزأة أو المغلوطة التي كنا نقدمها عن العراق قبل الحرب، ولكن هذه هي المادة التي كانت تصلنا. وهناك عوامل موضوعية كانت تحول دون أن تكون الحقيقة على ما هي عليه الآن. عندما نشاهد العراق اليوم والعراق قبل الحرب نستغرب ونتساءل: أليس هذا هو عراق ما قبل الحرب بكل مشاكله وبكل ما حدث له؟

سؤال: لماذا لا تكون هناك إدارة تنسيق مركزيّة تتولى تنظيم وتنسيق البرامج في ما بينها؟ ثم لماذا لا يكون هناك فريق عمل مشترك بين هذه القنوات، وبخاصة في المواقف الطارئة مثل الحرب الأخيرة على العراق، حتى وإن تعارض ذلك مع مبدأ السبق الصحفي؟

فادي إسماعيل

حول قضية التعاون والتنسيق بين القنوات والاكتفاء بمراسل واحد لكل القنوات في كل دولة، أقول إن تبني قيم الجماعة والتأكيد على أنه يجب أن نعمل جميعاً كيد واحدة هو في الحقيقة جانب من مجتمعنا المأزوم (أو المهزوم). لماذا نريد أن نكون صوتاً واحداً وحزباً واحداً ووجهة نظر واحدة؟ لماذا لا نكون تعدداً جميلاً نتنافس في تقديم الإفادة؟ كإعلام عربي، نريد أن نقدم عدة آراء ونترك للمشاهد الحكم.

فيصل القاسم

أريد أن أثني على كلام الأستاذ فادي إسماعيل. هذا المقترح للتعاون والتنسيق بين الفضائيات العربية لا يذكرنا إلا بمشاريع الوحدة العربية التي تعفنت على أدراج الجامعة العربية. هذا الاقتراح ليس ممكناً بأي حال من الأحوال.

سؤال: لماذا لا تخصص القنوات العربية برامج تستضيف فيها شخصيات عربية لها ثقلها السياسي في الحوار من أمثال الحكام والوزراء يتحاورون مع المشاهد العربي بصدق وأمانة لمحاولة معرفة كيفية حل هذا التردي العربي الذي وصلنا إليه؟ ثم لماذا لا توضح هذه القناوات العربية المعلومات الكافية عن حكام العالم الآن في أمريكا وتوجّهاتهم السياسية وارتباطاتهم بالصهيونية العالمية؟

فيصل القاسم

بالنسبة إلى من يتساءل: لماذا لا نأتي بحكام ومسؤولين عرب ليجيبوا عن الأسئلة الكثيرة المتعلقة بتردي الوضع العرب؟، فكما يعلم الجميع، المسؤول العربي لا يستطيع أن يتحدث عن أسعار الفجل والبصل والبطاطا والخس، فما بالك بالسياسة. الأنظمة العربية على مدى خمسين عاماً لم تخرج إلا ثلة من المطبلين والمزمرين الذين لا يعرفون إلا لغة المديح والهراء. أتحدث عن هذا الموضوع بمرارة لأنني أقدم برنامج حوارياً وأموت ألف مرة قبل أن أحصل على ضيف. وفي بعض الأحيان يمر الضيف على رئيس الدولة قبل أن يأتينا. صحيح أننا ٣٠٠ مليون عربي و٢٢ بلداً عربياً ولكن عدد الذين يستطيعون أن يتحدثوا محدود. للأسف الشديد تم إقصاء كل شيء في الثقافة العربية، سياسياً واجتماعياً وفكرياً. لم يعد لدينا أي شخص يمكن أن يقول أي شيء. البعض يقترح أن نستضيف مسؤولين وزعماء عرباً، ولكن الحقيقة أنه من الصعب جداً وأحياناً من شبه

المستحيل أن نحصل على وزير. المسؤولون لا يستطيعون أن يتفوهوا بأي كلمة لأنهم غير مسؤولين عن سياساتهم. إلى متى سوف تستمر هذه الحالة؟ هذا سؤال وجيه ولكن الحمد لله الأمور أفضل بكثير مما كانت عليه من قبل.

مداخلة: أريد فقط أن أسجل ملاحظة. من الواضح أن قناة الجزيرة كانت داعية للنظام العراقي. ما ينبغي أن نقوله في هذا الخصوص هو أن العروبة لا تعني أن ننصر الطغاة وإن كانوا عرباً. هذا النوع من الفكر العروبي هو الذي سبب لنا الهزائم والنكسات.

فيصل القاسم

البعض يتهم الجزيرة بأنها كانت بوقاً للنظام العراقي. طبعاً هذه واحدة من تهم كثيرة وجهت إلى القناة، ولكن ما أريد أن أقوله وأنا لا أخفي سراً طبعاً، أن وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف دخل مكتبنا فجأة قبل أن تسقط بغداد وهدد مراسلنا الزميل ماجد عبد الهادي. لم يهدده فقط بالكلام ولكن ضربه وهدده تهديداً مباشراً، واتهم القناة بأنها عميلة للأمريكان. طبعاً هذه الاتهامات سمعناها من العديد من الجهات. على العموم طالما الاتهامات تأتيك من كل حدب وصوب، فاعلم أنك على الطريق المستقيم.

مداخلة: نشكر الفضائيات لما بذلته من جهود خلال الحرب على العراق، ولكن أرجو أن لا يقتصر دور الفضائيات على أن تكون عدسة أو كاميرا يشاهد من خلالها المشاهد العربي الأحداث. الفضائيات العربية عرضت ماذا يجري في العراق، ولكنها لم تتطرق إلى أسباب ما يجري في العراق، وهذا الأمر مهم جداً لأن المشاهد لا يعرف الحقيقة من وراء ما يدور. كذلك تجب الإشارة إلى أن بعض الفضائيات غيرت سياساتها وتوجهاتها مما جعلها محل انتقادات. فمثلاً القوات الأمريكية والبريطانية كانت قوات غازية ثم أصبحت قوات تحالف، كذلك صدام كان الرئيس صدام حسين في بداية الحرب ثم أصبح دكتاتوراً بعد سقوط بغداد. يجب أن يشعر المشاهد العربي أن الفضائيات تريد أن تثقفه. لذلك فهي لا ينبغي لها أن تغطي فقط ماذا يجري، بل لماذا يجري ذلك، وخصوصاً أن الحرب لم تكن مبررة ولم تكن شرعية، وإنما كانت لإخفاء حقيقة ما يجري في فلسطين.

فادي إسماعيل

الاقتراح الذي يدعو إلى تغطية الأخبار الجيدة والبناءة ومحاولة تحاشي الأخبار السيئة هو شيء جميل من الناحية الأخلاقية ومن ناحية الينبغيات. مهمة الإعلام هي أن يقدم الأشياء كما هي وأن يترك للمشاهد أن يحكم بنفسه على ما يشاهده. هذا هو المطلوب من الإعلام وليس أن يبني أيديولوجيات ويعلق آمالاً كبرى وطموحات عظمى. نحن نعيش ومنذ عقود في ظل واقع مشبع بالهموم والشجون وفي مجتمع مأزوم (أو مهزوم). جيوشنا فشلت، أحزابنا فشلت، مثقفونا إلى حد ما فشلوا. في هذه الحالة لا

يمكن أن نكون نحن الفضائيات العربية سفينة الإنقاذ التي ستخلص الشعوب العربية من مآسيها، وإذا لم نفعل كنا خونة وتابعين للأمريكيين. أن ننصب أنفسنا أولياء ونقول للناس افعلوا هذا ولا تفعلوا ذاك هو أن نزج بأنفسنا في حلقة مفرغة من الفشل والتوهمات.

سؤال: السؤال هو تعليق على تأكيد الدكتور فيصل القاسم أن هدف قناة الجزيرة هو ليس الفتنة بين العرب، البعض يرى أن سلبيات برنامج مثل «الاتجاه المعاكس» قد تفوق إيجابياته. لماذا يقتصر هذا البرنامج وغيره من البرامج على إثارة التساؤلات من دون تقديم بدائل أو طرح حلول في النهاية؟

فيصل القاسم

تعليقاً على موضوع إثارة الفتن وضرب الخوازيق وبالتحديد إثارة تساؤلات عديدة في بعض البرامج الحوارية دون تقديم حلول بناءة، أقول إنه من السهل جداً أن أقدم في نهاية كل حلقة من البرنامج خلاصة إن صحّ التعبير. لكن هل ستكون هذه الوصفة مقبولة لدى كل المشاهدين؟ من الأفضل أن يكون هناك طيف من الآراء وأن يترك المجال للمشاهد في نهاية المطاف ليتوصل إلى رأي وتصوّر بعد أن يضرب هذه الآراء بعضها ببعضها الآخر. هناك مقولة لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيها «اضربوا بعض الرأي بالبعض فيتولد منه الصواب». وهناك مقولة أخرى له جاء فيها «نصف رأيك عند أخيك». وكلنا يعرف أنه ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**﴾[٥]. أنا أقدّم برنامجاً حوارياً ولكن في الوقت نفسه أعرف أن التاريخ لم يكن فيه حوار بأي حال من الأحوال، بل كان عبارة عن سلسلة من المعارك الكبرى. وصراع الحضارات الذي نتحدث عنه الآن كان موجوداً في أيام المسلمين ومعاوية والبيزنطيين. وكلنا يعرف كيف وصل العرب إلى بواتييه وبلاط الشهداء. أنا أقدم برنامجاً حوارياً، ولكنني متأكد من أن التاريخ ليس فيه حوار، وإذا كان هناك حوار فهو حوار طرشان مع الأسف الشديد.

سؤال: إذا استفاد الإعلام العربي من نظرية الاتصال والتكنولوجيا فإنه يتعين عليه أن يكون أكثر التصاقاً بالشعب وصدق الحدث، لكن ما لا حظناه هو أن الفضائيات العربية كانت بعيدة عن الحدث في صدقيته وإعطاء المشاهد العادي تصوراً لما يحدث وتداعياته، وكيفية التعامل مع الخبر. فمثلاً، صوّرت الفضائيات الانفلات الأمني في العراق بوجهه القبيح والسوداوي، لكنها لم تعط السبب المنطقي والسيكولوجي لهذا المواطن العراقي الذي يسرق كرسياً دواراً أو إطار سيارة، ولم تتطرق إلى أسباب الحرب. بتقديري الشخصي، كانت قناة أبو ظبي هي القناة العربية الوحيدة التي كانت شبه موضوعية وبعيدة عن الديماغوجية الإعلامية وبعيدة عن تتويه المشاهد. هل سعت بقية القنوات إلى تشتيت فكر المشاهد، وهل كان ذلك مقصوداً، وبخاصة أن هذه القنوات هي قنوات ربحية في آخر الأمر؟

---

(٥) القرآن الكريم، «سورة البقرة» الآية ٢٥١.

الحبيب الغريبي

بالنسبة إلى الذي يتساءل عن سبب التركيز على عمليات النهب والسلب في بغداد بعد سقوط النظام أقول إن غاية الإعلام هي ليست تقبيح ما هو جميل وتجميل ما هو قبيح. من أبجديات العمل الإعلامي أنك تنقل الأشياء كما تحصل وكما هي، وهذا هو المقصود بالموضوعية والحيادية. كيف يمكن أن نكون موضوعيين إذا جزأنا الحقيقة وجعلناها انتقائية؟ من المهم نقل الواقع كما هو ثم بعد ذلك تأتي التحاليل والنقاشات والمواقف.

خاتمة

يقول مارك صايغ في مقالة له في جريدة **الحياة**[٦] «فلتحيَ الجزيرة، هي عبارة تضطرنا إلى القبول بها ولكن يصعب مضغها». فالإعلام العربي هو حسب رأيه وبالحرف الواحد إعلام «متطور تقنياً ومتخلف فكرياً». السؤال الذي يوحيه نهج هذه المقالة والذي يطرح نفسه هو التالي:

ـ هل يمكن القول بأن الإعلام العربي الجديد لا يمكن أن ننتظر منه الكثير بعد الحرب، أي أنه ليس بالإمكان أكثر مما كان؟

ـ هل الوثبة التي حققها الإعلام العربي هي قفزة نوعية ثابتة أم هي عرضية زائلة بزوال الظروف التي وضعت هذا الإعلام تحت المجهر؟

ـ يمكننا أن نمارس بعض الشوفينية ونقول إننا نجحنا في تغطية هذه الحرب، ولكن هل هذا الأداء هو قوس فتح وسوف يغلق، وبالتالي سوف نعود إلى ما كنا عليه؟

ـ بما أن القنوات لعبت دوراً هاماً في المعركة الإعلامية خلال الحرب على العراق، هل من تفكير للاستفادة من هذا الواقع المكتسب؟

ـ ماذا يمكن أن ننتظر من الإعلام العربي في المستقبل؟

ـ ماذا سيكون وجه الإعلام ودور الإعلام وتأثيره في المستقبل؟

ـ هل أن ظهور قنوات أخرى في المستقبل يمثل منافسة اقتصادية وإعلامية يجب توخي الحذر منها أم هو إثراء ترحبون به؟

ـ هل أن التعددية الإعلامية في الوطن العربي بصفة عامة هي تعددية تعكس اختلافات جوهرية أم أنها تجارب متكررة؟

ـ بمعنى آخر، هل أن الزخم الإعلامي الجديد وإطلاق القنوات الواحدة تلو الأخرى يعبر عن نوع من النهضة الإعلامية التي يمكن أن يتمخض عنها واقع جديد؟ أم أنه لا يتعدى أن يكون عملية استنساخ للقنوات؟ □

---

(٦) الحياة، ٢٠٠٣/٤/٦، ص ١٩.

عبد الإله بلقزيز

الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢). ٣٠٧ ص.

أمجد أحمد جبريل

باحث فلسطيني في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة.

أولاً: في وصف الكتاب

يتصدى المؤلف في هذا الكتاب لدراسة موضوع رئيسي في حقل الفكر السياسي هو علاقة الديني بالسياسي في وعي النخب الفكرية الإسلامية المعاصرة كما تمثلت في إشكالية الدولة. ويحاول الباحث أن يتتبع معالجات الفكر الإسلامي الإشكالية المذكورة من خلال دراسة النصوص التي أنتجها هذا الفكر منذ الغزوة الأوروبية لديار المسلمين في القرن التاسع عشر إلى اليوم. أي أن الدراسة تغطي حقبة تزيد قليلاً على قرن ونصف، وتمتد منذ صدور كتاب **تخليص الإبريز في تلخيص باريز** لرفاعة الطهطاوي إلى صدور كتاب **السياسة الشرعية** ليوسف القرضاوي عام ١٩٩٨.

في **المقدمة** يشير المؤلف إلى منهجه في الكتاب موضع العرض. ويبدأ بتقسيم المفكرين الإسلاميين الذين تصدوا طيلة قرن ونصف لبحث المسألة السياسية في الإسلام ـ وبالذات موضوع الدولة ـ إلى خمسة أجيال. ويعتبر أن كل جيل قد غلبت عليه نزعة فكرية وسمت سائر المنتمين إليه، وإن وجدت اجتهادات قليلة مخالفة مضت ضد التيار العام. وقد وسع الباحث نطاق دراسته لتشمل نصوصاً فكرية شيعية بغية اختبار مدى تلاقيها مع نظائرها السنية أو اختلافها عنها. كما امتد حيز الدراسة ليتناول نصوصاً إسلامية هندية وباكستانية في إشارة إلى أهمية تجاوز الاقتصار على تناول الفكر الإسلامي العربي، وهي القاعدة المعمول بها حتى الآن في حقل دراسات الفكر الإسلامي في وطننا العربي. وقد التزم الكاتب العرض النقدي لكل هذه النصوص بهدف تحليل عملية التراكم الفكري الإسلامي المعاصر في مسألة الدولة، وبغرض الوقوف على آليات التطور والتجدد الذاتي والتصحيح داخل هذا الفكر، مفترضاً أن الخطاب

الإسلامي يحكمه مفهوم الوحدة والتواصل على الرغم من تجلياته المختلفة.

يبدأ المؤلف في **الفصل الأول** وعنوانه «دولة التنظيمات أو دولة العقل والشرع» بالإشارة إلى أن ميلاد فكرة الدولة الوطنية في الوعي الإصلاحي الإسلامي اقترن بعوامل تاريخية سياسية ترجع إلى أثر حملة نابليون بونابرت على مصر في عام ١٧٩٨. ومنذ ذلك الحين طغت المسألة السياسية على تفكير النخب الإسلامية بحيث ساد الاعتقاد بأن الخلل الذي أصاب المجتمعات الإسلامية ومدنيتها إنما يرجع إلى تخلف نظمها السياسية التقليدية، في حين تقدمت أوروبا وتفوقت بسبب قوة نظمها السياسية (بما تشمله من جيوش قوية وإدارة فعالة ومؤسسات وتنظيم مالي متقدم ٠٠٠٠ إلخ).

إن تبلور فكرة الدولة لدى الإصلاحيين المسلمين قد تحقق بفعل ثلاثة عوامل رئيسية: احتكاك المسلمين بالنموذج الأوروبي للدولة من خلال الضغط الاستعماري على البلدان الإسلامية، وتجربة الإصلاحات في مصر ـ بعد الحملة الفرنسية عليها ـ والتي اضطلع بها محمد علي باشا وآمن بها رفاعة الطهطاوي إيماناً مطلقاً، وتجربة التنظيمات التي أقدمت عليها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وكانت لها ردائف في تونس والمغرب ودافع عنها خير الدين التونسي. وقد اعتنى كل من الطهطاوي والتونسي بمسألة الدولة الوطنية، واتجها إلى التعريف التفصيلي بنموذجها في أوروبا القائم على مقتضى العدل والقانون، وتحمسا للدفاع عن شرعية فكرة الإصلاح والدولة الحديثة مفترضين أن الشرعية لا تنافي تأسيس التنظيمات السياسية الداعمة لأسباب التمدن ونمو العمران.

بعد ذلك يعرض المؤلف في **الفصل الثاني** لأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي. ويشير إلى أن ظروف فشل مشروعات الإصلاح وارتداد الدولة العثمانية إلى نواتها السياسية الاستبدادية قد أثرت في فكر الأفغاني والكواكبي. وبالرغم من توجيه الأول انتقادات حادة للدولة العثمانية إلا أنه بقي حريصاً على وحدتها مدركاً أن مواجهة المطامع الاستعمارية المتزايدة رهن بإنجاز إصلاحات جذرية في الدولة العثمانية. وإذا كان الأفغاني هو أول من أنتج ـ على نحو منظومي ـ مقالة سياسية حديثة في نقد الاستبداد، فإن الإمام محمد عبده قد اجتهد في تأكيد أن الأمة مصدر السلطة، ودافع عن حق الأمة في الولاية على نفسها من خلال: نظام التمثيل النيابي، والتشديد على فكرة مدنية السلطة في الإسلام لتجريد الحكم الاستبدادي من أية شرعية دينية. أما مساهمة الكواكبي في نقد الاستبداد فقد تجلت في كتابه الشهير **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، الذي أشار في مقدمته إلى أن أصل الداء هو الاستبداد السياسي ودواءه الشورى الدستورية. كما اعتبر أن الاستبداد ليس نظاماً فحسب، بل ثقافة سياسية واجتماعية تنتجها السلطة وتوزعها على المجموع الاجتماعي. ولذا فإن اجتثاث الاستبداد من السياسة والدولة يتوقف على اجتثاثه من الأفكار والنفوس.

أما **الفصل الثالث** فقد تم تخصيصه لتحليل أطروحات العلامة الشيعي محمد حسين النائيني حول المسألة الدستورية. ويعتبر المؤلف أن العلامة النائيني مثّل لحظة فكرية إصلاحية حديثة في الفقه السياسي الشيعي. وقد أوضح الباحث من خلال تحليل رسالة النائيني الهامة **تنبيه الأمة وتنزيه الملة** مساهمته الفكرية في إخراج الوعي الشيعي من عقدة انتظار عودة الإمام الغائب، وتنظيره للفكرة الدستورية، وحديثه عن حق نواب الأمة ـ من خلال مجلس الشورى ـ في القيام بالوظائف الحسبية للإمام.

الفصل الرابع عنوانه «من الدولة الوطنية إلى دولة الخلافة: تجديد السياسة الشرعية». وقد وقف فيه الكاتب أمام التحول الذي حدث عن أطروحات الدولة الوطنية في فكر الإصلاحيين إلى منظومة السياسة الشرعية وفكرة الخلافة كما عبر عنها محمد رشيد رضا في كتابه **الخلافة أو الإمامة العظمى**. ويعزو المؤلف ذلك إلى ثلاثة أسباب: إلغاء السلطنة العثمانية وفصلها عن الخلافة في ١٩٢٢/١١/٤ بناء على اقتراح قدمه أتاتورك، وقيام نظام جمهوري علماني في تركيا يفصل الدين عن السياسة فصلاً كاملاً على نحو لا عهد للمسلمين به، وتحويل منصب الخلافة إلى منصب صوري رمزي.

وإزاء ذلك انبرى رشيد رضا مدافعاً عن فكرة الخلافة وشروطها وطريقة انعقادها، مشيراً إلى مفهوم «خلافة الضرورة أو الاضطرار» التي تنقسم إلى نوعين: خلافة تحصل بمقتضى مبايعة أهل الحل والعقد لخليفة الضرورة الذي لم يستوف شرطيّ العلم والعدالة، وخلافة التغلب التي يأخذها صاحبها بالتعدي وقوة العصبية لا باختيار أهل الحل والعقد. وقد حظي مفهوم أهل الحل والعقد أيضاً بعناية رشيد رضا، واعتبر أن صلاح الأمة وصلاح حكامها من صلاح فئة أهل الحل والعقد، واتهمهم بالتقصير في النهوض بدورهم التوجيهي.

أما **الفصل الخامس** فيعرض فيه المؤلف لأفكار علي عبد الرازق التي وردت في كتابه **الإسلام وأصول الحكم**. ويشير إلى الموضوعات النظرية الأربعة التي انتظم فيها خطابه النقدي في مسألة الخلافة وهي: طبيعة السلطة المطلقة التي يقوم عليها نظام الخلافة، وعدم شرعية هذا النظام من وجهة نظر الإسلام، وارتكاز الخلافة على قاعدة القوة المادية لا على أساس الرضا الطوعي، والطبيعة السياسية للحكومة في الإسلام. وتفصيل ما تقدم أن عبد الرازق يرى أن المسلمين رفعوا من شأن الخليفة إلى درجة عالية تجعل له الطاعة التامة عليهم، فأصبح مقامه رديف مقام النبوة فلا يجوز أن تمارس عليه الرقابة أو الاحتساب. بينما يؤكد عبد الرازق أنه لا يوجد نص واحد في القرآن أو السنة يقول بوجوب الخلافة، فضلاً عن كونها لا تستند إلى رضا الجماعة أو الأمة وإنما قوامها الغلبة والقوة. وأخيراً يقر عبد الرازق بأحقية المسلمين في التمتع بنظام سياسي خاص بهم ذي طابع مدني وسياسي، وهذا ما كان عليه الحال في «المملكة النبوية» ونظام الخلفاء الراشدين اللذين يمثلان حكومة سياسية لا دينية.

ثم ينتقل بلقزيز في **الفصل السادس**

إلى مناقشة آراء الإمام حسن البنا بشأن «الدولة الإسلامية». ويذهب الباحث إلى أن المفاهيم المستخدمة في نظريتي الخلافة والدولة الإسلامية تبدو متقاربة إلى حد كبير إذا استثنينا نطاق تطبيقهما. أو بعبارة أخرى، تمثل الدولة الإسلامية مُجسّماً صغيراً للخلافة. ويشير الكاتب إلى مفارقات مفهوم الدولة الإسلامية في خطاب البنا، ذلك أنه اتخذ موقفاً إيجابياً منحازاً إلى الدستور والخيار السياسي النيابي معتبراً أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم إلى الإسلام. بينما رفض البنا فكرة «التعددية الحزبية» لسببين: يتعلق أولهما بالآثار الضارة للحزبية على الوحدة الوطنية، ويتعلق ثانيهما باعتقاد البنا أن النظام الحزبي يجافي وحدة الأمة في الإسلام ويهدد بالفتنة. ويأخذ المؤلف على البنا موقفه السلبي من الدستور المصري ودعوته الأحزاب السياسية المصرية إلى الالتحاق بصفوف «الإخوان المسلمين».

في **الفصل السابع** يشير الباحث إلى الصلة بين الدولة والشريعة في الإسلام، على نحو ما عبر عنه دعاة فكرة «الدولة الإسلامية» من الإسلاميين المعاصرين الذين اهتموا بإقامة الدليل على عدم صلاحية الفكرة العلمانية للمجتمع والدولة في الديار الإسلامية التي لم تعرف تجربتها التاريخية هذا الفصل بين الدين والدولة كما حدث في الغرب. وإذا كانت الدعوة إلى تطبيق الشريعة هي نقطة اتفاق بين الإسلاميين المعاصرين، فإن ثمة اختلافات واضحة بينهم في أمرين:

أولهما: مساحة الاجتهاد التي تضيق لدى يوسف القرضاوي، بينما تتسع لدى كل من علال الفاسي ومصطفى السباعي نظراً لاعتمادهما فكرة المقاصد الشرعية كمعيار تتحدد به كيفية تطبيق النصوص الشرعية الصريحة. و**ثانيهما:** فكرة التدرج والمرحلية في تطبيق أحكام الشريعة التي قال بها أغلب الإسلاميين باستثناء سيد قطب ومحمد قطب وعبد القادر عودة.

في **الفصل الثامن** يهتم الكاتب بدراسة أحد المفاهيم الأساسية المتصلة بالنظام السياسي للدولة الإسلامية ـ ألا وهو مفهوم الشورى ـ محاولاً أن يستقصي العلاقة بين الشورى والديمقراطية في كتابات الإسلاميين المعاصرين. ويعرض في هذا السياق لاتجاهين في تحليل تلك العلاقة: الاتجاه الذي تأثر برأي الإصلاحية الإسلامية وذهب إلى بناء صلة جوار وقرابة بين الديمقراطية والشورى في ثلاثة عناصر رئيسية هي: التمثيل، والتكليف، والحق في المعارضة. والاتجاه الثاني الذي يراهما مختلفين إلى حد الافتراق على أساس اختلاف مرجعيتهما، فالشورى تستند إلى مرجعية الشريعة بينما تستند الديمقراطية إلى العلمانية. ويرى المؤلف أن هذه التفرقة قادت إلى بروز فكرة الدولة الدينية في ما بعد.

في **الفصل التاسع** يعرض المؤلف مفهوم الحاكمية الذي أسس عليه سيد قطب أفكاره مستفيداً من كتابات أبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي. ويرى بلقزيز أن انتهال سيد قطب من هذين المصدرين دفع به إلى تبني

ثنائيات حادة من قبيل «المجتمع الجاهلي/ المجتمع المسلم» متجاوزاً بذلك كل تراث الإصلاحية الإسلامية وفكر حسن البنا في الدعوة إلى الدستور والحياة النيابية. وقد أدى ذلك بقطب إلى إنتاج تصور جديد للسياسة والسلطة قوامه المماهاة الكاملة بين الديني والسياسي إلى حد القول بدولة دينية: دولة لا تستمد شرعيتها من المجتمع والأمة، بل من الدين .. والدين فقط. ويشير الكاتب إلى ثلاثة أسباب اجتماعية وسياسية أسهمت في دفع قطب إلى هذا الاتجاه: أولها، سياق التجربة السياسية المصرية وبالذات في الحقبة الناصرية، وثانيها، تأثيرات تجربة إقامة دولة إسلامية في باكستان لمسلمي الهند وما أوحت به من إمكانية إقامة حكم إسلامي، وثالثها، تزايد الوعي بأهمية العامل الديني في الحراك الاجتماعي والتعبئة السياسية بعد معاينة نجاح الأنظمة في توظيف الدين لإحكام سيطرتها على الشعوب.

أما **الفصل العاشر** فيخصصه المؤلف لدراسة نظرية «ولاية الفقيه». ويشير فيه إلى حدوث تراجع في الفكر السياسي الشيعي من دولة الدستور التي نادى بها العلامة النائيني في مطلع القرن العشرين إلى تجديد موضوعات فقه الإمامة بما تنطوي عليه من نقد شيعي لأفكار السنة حول الشورى وأهل الحل والعقد واختيار الإمام وغيرها. ويتعرض الكاتب للعناصر الثلاثة في نظرية ولاية الفقيه: حاجة المسلمين إلى حكومة، ومعنى ولاية الفقهاء وحدودها، ودلالة الحكومة الإسلامية. وتفصيل ذلك أن أحكام الإسلام ثابتة وموجهة للمسلمين في كل زمان ومكان، وهي لا يمكن إنفاذها إلا بسلطان سياسي، وبالتالي يكون على الفقهاء الجامعين لشرائط الاجتهاد والحائزين خصلتي العلم بالقانون والعدالة التصدي لمهمة الولاية، بحيث يثبت لهم بمقتضى هذه الولاية جميع ما ثبت للإمام المعصوم من صلاحيات وسلطات. وهكذا تتكون الحكومة الإسلامية التي تتقيد بأحكام الإسلام وقوانينه، ويبقى التشريع مختصاً بالله وحده.

ويرى بلقزيز أن نموذج الحكومة الإسلامية كما نظّر له آية الله الخميني يمثل نموذجاً لدولة ثيوقراطية تستند إلى حق الفقهاء «الأوصياء» وسلطتهم غير المستمدة من الأمة، وإنما مستمدة من كونهم أوصياء النبي والإمام في «عصر الغيبة».

ثم يقدم الكاتب في **الفصل الحادي عشر** نقداً لفكرة «الحق الإلهي» كما تجلّت في نظريتي الحاكمية وولاية الفقيه. لكنه يبدأ باستعراض آراء باحثين معاصرين في نقد السلطة الدينية إجمالاً. ويستشهد برأي محمد عمارة الذي ينفي أن يكون الإسلام قد اعترف للحاكم بالعصمة إلا في حالة الرسول عليه الصلاة والسلام. أما ما ذهب إليه الشيعة من الاعتقاد بعصمة الإمام فهو راجع إلى مصدر يسبق الإسلام، حيث كان الأكاسرة ـ ملوك فارس ـ يحكمون بالحق الإلهي. ويورد المؤلف أيضاً محاولة فهمي هويدي للتفرقة بين الدولة الدينية التي تقوم على فكرة أن الله هو مصدر السلطة، والدولة الإسلامية التي يكون فيها الله هو مصدر القانون بينما الأمة هي مصدر السلطة، وحينئذ تنتفي العصمة والحصانة عن

الحاكم، ويكون القانون فوق الجميع، والحاكم في المقدمة منهم.

على هذه الخلفية يسوق الباحث عدداً من الانتقادات التي وجهت لنظرية «الحاكمية» باعتبارها انقلاباً على المفهوم «السني» للسياسة والسلطة، فالقول بالحاكمية يجعل الحاكم يمارس الوصاية على الأمة باسم الدين مما يقطع الطريق على محاسبته أو إلزامه بالشورى أو بالدستور. كما يورد المؤلف صوراً من اجتهادات ناقدي نظرية ولاية الفقيه، أولها النظرية الحديثة المطالبة بالدستور أو «المشروطة» كما صاغها العلامة النائيني، وثانيها اجتهاد العلامة محمد حسين فضل الله الذي حاول التأسيس لمسؤولية الأمة في الدولة من داخل نظرية «ولاية الفقيه»، بحيث لا يستبد بالسلطة شخص واحد ولو كان الفقيه العادل، وثالثها اجتهاد الشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي ذهب إلى تقييد سلطة «ولاية الفقيه» بقاعدة الأصل الأولي التي لا تجيز تسلط أحد على أحد إلا في نطاق ما يحتاجه المجتمع.

أما **الفصل الثاني عشر** في هذا الكتاب فيحتوي على محاولة جادة من عبد الإله بلقزيز للإجابة عن سؤال محوري هو «هل هناك فكر إسلامي معاصر؟». وفي سبيل بلوغ الإجابة يميز الباحث بين ثلاث لحظات من التاريخ المعاصر للفكر الإسلامي: لحظة الإصلاحية الإسلامية الكلاسيكية للقرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، ولحظة الإصلاحية الإسلامية المتجددة ـ والضيقة الهوامش في القرن العشرين، ولحظة الإحيائية الصحوية الإسلامية منذ مطلع ثلاثينيات القرن العشرين. وهو يحكم بشكل قاطع أن اللحظة الأولى هي ما يمكن تصنيفه في خانة الفكر المتكامل ذي الوحدة العضوية، بينما اللحظة الثانية لا تشكل سوى استئناف للأولى. أما اللحظة الثالثة فهي لا تمثل سوى إنتاج لأدب سياسي حركي ذي طابع دعوي بحت، وليس له من الفكر نصيب !

ثم ينتهي الباحث في **خاتمة** الكتاب إلى أن فكر تيار «الصحوة الإسلامية» أحدث قطيعة مع تيار الإصلاحية الإسلامية، وهدم ما قدمه الإصلاحيون من تراث فكري متماسك وصالح بدلاً من البناء عليه. والسبب في ذلك هو ميل الصحويين إلى تسييس خطابهم، وتخريب الفكرة الإسلامية، وتجنيدها في مشروع سياسي حركي، وإنتاج خطاب حول الأمة والجماعة لا حول الدعوة. ويرى المؤلف أنه بينما «حاولت الإصلاحية توظيف الإسلام للتقدم والمشاركة في العصر، فإن الصحوية حاولت الانسحاب من التاريخ والعودة بالإسلام إلى مواقع دفاعية».

ثانياً: في نقد الكتاب

يمكن القول إن المؤلف قد أضاف للمكتبة العربية مرجعاً قيماً في مجاله، ونجح بتقديم قراءة متعمقة لموضوعه، إلا أن معالجته يمكن أن ترد عليها بعض الملاحظات التي لا تقلل بحال من قيمة هذا العمل.

الملاحظة الأولى تتعلق بلغة المؤلف وعباراته التي قد تكون رشيقة وبليغة، ولكنها تحمل أحياناً إيحاءات تبتعد عن لغة العلم الصارمة في معناها ومبناها.

ومن السهل على القارئ أن يستنتج أن المؤلف شديد الإعجاب بأفكار الإصلاحية الإسلامية التي يرى أنها قد «شكلت منظومة فكرية متكاملة نسجت أواصر القرابة النظرية بين نصوصها الكبرى، وحققت وحدة عضوية بين إشكالياتها المختلفة، ونحتت قاموساً نظرياً مشتركاً بين مقالاتها المتنوعة» (ص ٢٦٩). ويذهب إلى حد القول إنها تمثل «التراث الإسلامي الوحيد في هذا العصر الذي يمكن أن يبنى عليه» (ص ٢٨٦). وفي المقابل يستشعر القارئ من عبارات المؤلف تحاملاً واضحاً على أفكار المدرسة الصحوية، ولا سيما عند حديثه عن سيد قطب والمثال الأبرز على ذلك ما كتبه في ص ١٩١، إذ يقول «إن الذي لا يداخلنا فيه شك أن تراث المنشقين عن فكرة البنا، مثل سيد قطب، يجد في ذلك الفكر بعض «جراثيمه» ومقدماته التي هيأت له شروط الكينونة».

أما الملاحظة الثانية فتتعلق بتقسيم الكتاب. وفي تقديري أن المؤلف قد انحاز إلى تجزئة الكتاب فجاء متنه موزعاً بين اثني عشر فصلاً. ولربما كان من الأفضل أن يدمج الفصول الثلاثة الأولى في فصل واحد،و لا سيما أن محورها هو أفكار الإصلاحية الإسلامية بجيليها. وقل مثل ذلك عن الفصلين الرابع والخامس اللذين تجمعهما فكرة الخلافة، وكذلك الفصلين التاسع والعاشر اللذين يتشابهان في عنوانهما الرئيسي ألا وهو «شبهة الثيوقراطية». وأظن أن مثل هذا الدمج كان سيمكن المؤلف من تقديم إضافة أفضل في ما يتعلق بمدى تطور الفكرة الإصلاحية أو حدوث انقطاعات فيها، وكذلك بالنسبة الى فكرتي الخلافة والثيوقراطية.

الملاحظة الثالثة تتعلق برأي المؤلف الوارد (ص ١٢) ويقول فيه «إن تاريخ الفكر الإسلامي الحديث تاريخ تراجعي أو نكوصي». وكان الأولى أن يؤخر هذا الحكم القاطع إلى خاتمة الكتاب. وهو حكم فيه قدر من التعميم تلزم مناقشته في كل الأحوال. وقد غاب عن بلقريز أن يذكر مدى مسؤولية الآخر الحضاري والسلطة السياسية في البلاد الإسلامية عن إنشاء هذا الوضع الذي يُعد الداخل الإسلامي شريكاً في إنتاجه بكل تأكيد وإن لم يكن مصدره الوحيد. هذا إلى أن ثمة تعميمات أخرى،و لا سيما في خاتمة الكتاب قابلة بدورها للمحاجاة والتفنيد.

أما الملاحظة الأخيرة فتخص النقد الذي وجهه المؤلف للتيار الصحوي الإحيائي كونه ألح على إدخال قضية «الهوية» ضمن الوعي الإسلامي المعاصر، كما ألح هذا التيار على النظر إلى الهوية من زاوية دينية (ص ٢٧٢). والمؤلف بهذا يحيد عن رؤية أن إصرار التيار الصحوي على إدراج هذه القضية قد حدث في إطار تصاعد تهديد الآخر للهوية العربية الإسلامية. وهو التهديد الذي حدث في نطاق الهجمة الاستعمارية على وطننا العربي وبلادنا الإسلامية، والتي كنا نظنها قد انتهت، ولكنها عادت تطل برأسها مؤخراً للأسف. وفي كل الأحوال ـ وحتى لو فعلنا كما يريد المؤلف وبنينا على تراث الفكر الإصلاحي الإسلامي ـ فإنه يصعب تجاهل مركزية قضية الهوية في نهوض الأمة .. فمن يعرف من أين .. يعرف إلى أين □

أحمد ثابت [وآخرون]

العولمة وتداعياتها على الوطن العربي

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣). ٢٥٨ ص. (سلسلة كتب المستقبل العربي؛ ٢٤)

أحمد محفوظ بيه

باحث في موريتانيا.

- ١ -

العولمة (Globalization) مصطلح تم استخدامه لأول مرة سنة ١٩٧٠ من قبل المفكر ماك لوهان في كتابه **حرب وسلام في القرية الكونية**، وتعني الكوكبة أو احتواء العالم عبر تنميط الثقافات والقيم والأفكار والأسواق. وتختلف العولمة عن «العالمية» (Universalisation) التي تسعى للارتقاء بالخصوصي إلى المستوى العالمي، والتي هي طموح مشروع وتعكس رغبة في الأخذ والعطاء. وعلى الرغم من صدور العديد من الكتابات التي تتناول الظاهرة، فإن القليل منها رصد تأثيرها على الوطن العربي. ولعل ذلك ما حدا مركز دراسات الوحدة العربية على إصدار الكتاب موضع العرض وعنوانه **العولمة وتداعياتها على الوطن العربي** عرضت خلاله نخبة من الكتاب لظاهرة العولمة، باعتبارها قد تقود إلى ما يمكن تسميته باستعمار جديد لا يعتمد على الجيوش والقوة العسكرية وإنما على الاقتصاد والمال والثقافة والإعلام. هذا ويقع الكتاب في ٢٥٨ صفحة من الحجم المتوسط وينقسم إلى ثلاثة فصول وأحد عشر مبحثاً.

في **الفصل الأول** يعرض عبد الجليل الوالي لمفهوم «العولمة وآلياتها» معتبراً أنها تعتمد على تسهيل حركة الناس و«المعلومات» و«السلع» و«الأيدي العاملة» وتجميع البشر عبر شبكات الاتصال السريعة، منبهاً إلى أن تعريف العولمة يختلف حسب الزاوية التي ينطلق منها الباحث. فالبعض يرى فيها «عملية يترتب عنها تحرير الأسواق وسيطرة الشركات المتعددة الجنسيات»، والبعض الآخر يرى فيها «تكريساً لأحادية سياسية». في حين يرى فيها آخرون «تجسيداً للمجتمع المدني العالمي». ويميز الباحث في هذا السياق بين أربعة اتجاهات أساسية، أولها

يرى في العولمة مرحلة متقدمة من تطور وسائل الإنتاج حيث تراجعت أهمية الموارد الطبيعية وتقدم الاقتصاد الرمزي وغلبت أشكال الثروة المالية، ويمثل هذا الاتجاه حازم الببلاوي. والاتجاه الثاني يمثله السيد ياسين، ويهتم بتطور الظاهرة، إذ يرى فيها مرحلة رابعة في تطور الإنسانية من «الجنينية» إلى «النشوء» ثم «الصراع من أجل السيطرة» وأخيراً «عدم اليقين»، ولكل مرحلة سمات مميزة. والاتجاه الثالث يمثله محمد الأطرش الذي يربط العولمة بالنسق الاستيعابي في الغرب وزيادة حجم التجارة الدولية، وسيادة النموذج الرأسمالي القائم على الخصخصة وتضاعف حجم المضاربات المالية. أما الاتجاه الرابع فيمثله أحمد مصطفى عمر ويرى في العولمة نتاجاً لمجموعة عوامل وتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتقنية، ولا يعتبرها أمركة للعالم بدليل أن هذه الأمور تتم في استقلالية تامة عن أية إرادة سياسية. ويخلص الكاتب إلى أن العولمة مرتبطة بالجانب السياسي المتعلق بإنشاء الإمبراطوريات متفقاً مع جميل مطر في كونها مرتبطة بوجود دولة مهيمنة أو إمبراطورية كما كان في السابق.

وحول مظاهر العولمة يرى الباحث أنها في المجال الثقافي لا تعدو كونها مجرد عملية لتعميم الثقافة الأمريكية على العالم. ومن أهم خصائصها كونها «ثقافة ما بعد المكتوب» أي «ثقافة الصورة»، حيث تتضاءل قيمة الحواجز اللغوية بين المجموعات الإنسانية، في حين يرى فيها عبد الإله بلقزيز فعلاً انتقائياً ثقافياً عدوانياً. أما طلال عتريسي فيصفها بكونها: «منحى لتوحيد القيم وطرق التفكير»، وذلك عبر أزيد من خمسمائة قمر صناعي تبث لمليار جهاز، وحيث تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على ١٤٤ شركة إعلامية من أصل ٣٠٠ شركة عبر العالم ٨٠ منها أوروبية و٤٩ يابانية، وهو ما يستنتج منه أن شبكة المعلومات العالمية ليست عالمية على الإطلاق حيث إن ٦٠ بالمئة من مستخدمي هذه الشبكة يقيمون في أمريكا الشمالية، وهو ما لا يتعدى نسبة ٥ بالمئة من سكان العالم. فأفريقيا مثلاً كقارة لا تتجاوز خطوط التليفون فيها ١٤ مليون خط، وهو ما يقل عن نظيره في طوكيو، فالعولمة حسب وجهة نظر الباحث «مجرد مطية لخدمة القوى العظمى بحجة دمج الثقافات في ثقافة العولمة حيث يتم الترويج للثقافة الغربية وتشجيع من يتمثلها كمحفز للغير». وهي من الناحية الاقتصادية «عملية سيادة نظام اقتصادي واحد يشمل العالم ضمن منظومة من العلاقات» مما ترتب عليه أن أصبح زعماء الدول الصناعية «مروجي مبيعات» على نحو ينذر بالشقاق بينهم حول الحصص. أما العولمة في بعدها السياسي فإنها: «ظاهرة يتم عبرها نقل سلطة الدولة واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تحل محلها وتهيمن عليها»، وهو ما يعني نهاية سيادة الدولة ونهاية الحدود. ويوجز المؤلف أخطار العولمة في تدمير الطبيعة وتراجع سيادة الدولة أمام هيمنة الشركات المتعددة الجنسيات وفرض نمط معين من الحياة وظهور استعمار جديد يتم تكريسه عبر «اتفاقية تحرير التجارة

الخارجية» و«اقتصاد السوق» و«مجموعة الدول الصناعية السبع أو الثماني». ثم يعرض الباحث لحلول مقترحة من «المؤتمر الاقتصادي العربي» لمواجهة السلبيات المنوه عنها تتلخص في: التكتل بين الدول العربية، واستقطاب التقنيات الحديثة ووقف هجرة العقول، وتوفير قاعدة بيانات. كما يعرض للحلول المقترحة من محمد عابد الجابري، والتي تدخل في إطار التخندق في خندق الدفاع عن الهوية عبر التسلح بالعقلانية والديمقراطية. وأخيراً يورد الحلول المقترحة من محمد الأطرش والمتلخصة في إيجاد منظومة أمنية عربية وإقامة سوق مشتركة ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان. ولا يتخلى المؤلف عن رؤيته المتفائلة التي ترى أن العولمة لن تنتج عنها أمركة العالم، من دون تقصير في تأكيد أهمية التكتل واعتباره ضرورة من أجل البقاء والمساعد على تقييم العولمة عقلياً بأخذ ما يفيد وترك ما يضر.

ـ ٢ ـ

يأتي المبحث الثاني في إطار الفصل نفسه ليتناول كاتبه عبد الخالق عبد الله «عولمة السياسة والعولمة السياسية» حيث يرى أن السياسة أقل عولمة من الثقافة، كما أن الاقتصاد أكثر عولمة من السياسة، بما تعنيه من «قيام حكومة عالمية واحدة وظهور عالم بلا حدود سياسية»، وهو ما سيظل مشروعاً مستقبلياً. فالسياسة رغم بعض مظاهر عولمتها إلا أنها ستظل ولوقت طويل محلية أكثر منها عالمية، وعليه يكون من السابق لأوانه الحديث عن نهاية الدولة القومية وعصر السيادة رغم أن عصر الدول الوطنية في تراجع وكذا عصر السيادة المطلقة. إن كل الدول في العالم عليها التعايش مع قرارات ومؤسسات وهيئات ومنظمات عالمية وإقليمية، إلا أن التراجع التدريجي في دور الدولة قد يفسح المجال لإدارة جماعية تأخذ في حسبانها اتجاهات أهمها: **اتجاه «السوقنة»** الذي يرى أن قوانين السوق تتحكم في السياسة، وذلك عبر مراحل أولاها تجاوز الدولة، ثم تهميشها، لينتهي الأمر إلى انحسارها الاقتصادي والثقافي والاجتماعي مما ينتج عنه انحسارها السياسي على المستوى العالمي، و«**اتجاه الوحدة**» الذي يرى أن العولمة تنحو نحو التنسيق بين القوى الإقليمية والعالمية لإدارة شؤون العالم والتوحد في مواجهة قضاياه من نوع البيئة والإرهاب وهو ما سيؤدي إلى تجسيد إرادة سياسية واحدة. وأخيراً يرى الكاتب أن عولمة السياسة تتم حينما تتم عولمة العالم اقتصادياً وثقافياً.

الفصل الثاني من الكتاب تم تخصيصه لموضوع «الوطن العربي وتحديات العولمة». في المبحث الأول يعرض الكاتب مهيوب غالب أحمد لـ «العرب والعولمة: مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل» إذ يرى أن العالم اليوم يتجاذبه تياران، تيار انفصالي وآخر اندماجي يسعى إلى «تعميم العولمة عبر الاندماج على الصعيدين الإقليمي والعالمي حيث تتكتل مؤسسات وشركات كبرى ومصارف ومؤسسات إعلامية لتصبح أدوات عملاقة للسيطرة على

العالم»، و بالتالي فإن سمة العصر هي «التناقض بين الشركة والقبيلة». وحول «العولمة بين الهوية الاقتصادية والهوية الثقافية» يرى الكاتب أن العولمة تسعى لإقامة عالم موحد شكلاً بالاتصالات والدورات المالية ومنقسم اجتماعياً لإثنيات ومذاهب متناحرة، وبخاصة مع تمركز الثروة في أيدي قلة قليلة من الأفراد، إذ يذكر تقرير بريطاني عن النمو العالمي أن ثروة ٣ أغنياء من الأثرياء الأمريكيين تزيد على ثروة ٤٨ دولة في العالم، وثروة ٤٨ ثرياً أمريكياً تزيد على ثروة ربع سكان العالم، كما أن ٤ بالمئة من ثروة ٢٢٥ ثرياً في العالم، أي ما يعادل ٤٠ مليار دولار، تكفي لتوفير الخدمات الأساسية من «ماء» و«غذاء» و«صحة» و«تعليم» لكل سكان المعمورة. ويخلص الباحث إلى أنه في ظل العولمة تبدو الحكومة، أية حكومة، وكأنها «حكومة أعمال» مما يمس شرعيتها ويحفز على ظهور المطالب «العرقية» و«الدينية» و«اللغوية». ويشجع على ذلك في الوطن العربي الاعتماد على الاستيراد لأغلب الحاجيات، ففي حين تبلغ قيمة الاستثمار في قطاع التشييد ١٢٠ مليار دولار يتم دفع ما يناهز ٦٠ بالمئة منها لتوفير مستلزمات مستوردة من الخارج رغم وجود أكبر احتياطي عالمي من الحديد في الوطن العربي. كما أن العرب ما زالوا يستوردون كل أدوات التقنية المتعلقة بصناعة البترول رغم مرور أزيد من قرن على هذه الصناعة في الوطن العربي. بل أكثر من ذلك فإنه في حين يوجد العديد من الأراضي الخصبة في الوطن العربي فإنه لا يزال يستورد ما قيمته ٢٠ مليار دولار من المواد الغذائية. وفي الختام يطالب الكاتب «الانتلجنسيا العربية» بالعمل على بناء قوة قادرة على تشييد المجتمع المنشود وطنياً وإقليمياً وقومياً، وتسريع عجلة الإصلاح السياسي والاقتصادي وتشجيع الصناعات وإقامة السوق العربية المشتركة وزيادة كفاءة القوة العاملة.

- ٣ -

المبحث الثاني في هذا الفصل أعده حمدي عبد الرحمن، وعنوانه «العولمة وآثارها السياسية في النظام الإقليمي العربي»، ويرى فيه أنه قد تزامن مع التحولات الكبرى في العالم ظهور مقولات عديدة كمقولة «نهاية التاريخ» و«نهاية الأيديولوجية» و«نهاية الدولة الأمة»، ثم يعرض لمختلف الآراء حول العولمة إذ يرى البعض في العولمة «أمركة العالم». في حين يرى فيها آخرون «تزايد التحول نحو السوق العالمية». أما البعض الثالث فيرى فيها «بعداً أيديولوجياً يشير إلى انتصار قيم السوق والليبرالية السياسية». وحول العولمة والنظام الإقليمي العربي يرى المؤلف أنه قد ترتب على نهاية الحرب الباردة تهميش البلدان العربية مع سيادة التناقض بين عالمين «عالم متقدم» تسوده قيم «التعاون» و«الرفاهية» وآخر «متخلف» تمزقه «الصراعات»، لكن هذا ليس قدر الوطن العربي ذلك لأن العولمة ليست قدراً لا يمكن التأثير فيه وإنما مجرد «ظاهرة» إذا تم فهمها وتحييد مخاطرها يمكن التعامل معها للاستفادة من الفرص المتاحة وتعظيم المكاسب.

وتتمثل أهم مخاطرها في التالي: «تراجع دور الدولة» بسبب «المشروطية السياسية» التي فرضت «خصخصة» أغلب القطاع العام وفتح الأسواق وتعميق ثقافة السوق مما يهدد الصناعة التحويلية علماً بأنه سيترتب على العولمة «تفكك» على مستويين «كلي» و«جزئي»، وهو ما يستدعي المواجهة على الصعيدين معاً. فعلى الصعيد «الجزئي» لابد من «نشر الديمقراطية» و«رفع الوعي» وتعزيز دور المنظمات غير الحكومية والاستفادة من «تكنولوجيا الإعلام» و«المعلومات» وتوفير أحسن الظروف لدعم الصناعة الوطنية، وشرط ذلك كله الإصلاح الحكومي وقيام الدول العربية بدورها التنموي. أما على المستوى الكلي فيرى المؤلف ضرورة: «التكامل» و«التضامن» العربي الشامل وذلك عبر: تفعيل نظام «الأمن الجماعي» وإقامة قوة تدخل عربية وإنشاء سوق عربية مشتركة بشكل تدريجي وإقامة منطقة تجارة حرة مع ضرورة التأكيد على الهوية العربية والتمسك بمنطق العمل العربي المشترك.

ويأتي المبحث الثالث لمحمد عبد الشفيع عيسى حول «الدولة والعولمة في الوطن العربي» ليعرض الإطار المفاهيمي ويخلص منه إلى أن العولمة تعمل بآليتين مختلفتين جوهرياً حيث يتم تعزيز للتكنولوجيا في المركز وبالمقابل نزعها من الأطراف. فالعولمة من وجهة نظره عملية جدلية غير متكافئة بوجود طرف مؤثر تصدر عنه «المتغيرات المستقلة» وآخر متلق تصدر عنه المتغيرات التابعة. فالأول يمثل «القطب الموجب» أو «الجاذب» والثاني يمثل «القطب السالب» أو «المنجذب»، فالعولمة تمثل «علاقة تبادلية بين طرف مؤثر بصفة أساسية» كما هو حال «الولايات المتحدة الأمريكية» وطرف «متأثر» بصفة «أساسية» كما هو وضع «الوطن العربي» وأطراف أخرى «وسط» أو أقرب إلى أحد الطرفين. وكل يتحدد موقفه حسب موقعه. وفي الختام يؤكد المؤلف على ضرورة السعي للتكيف الإيجابي مع العولمة عبر المشاركة الإيجابية والمقاومة النسبية لبعض المتغيرات الاقتصادية العالمية بفضل البناء الوطني والقومي لقوة الابتكار وامتلاك ناصية التكنولوجيا.

ويختص المبحث الرابع لمحمد إبراهيم منصور بموضوع «العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي» حيث يتعرض فيه للعولمة باعتبارها تقوم على جملة «عمليات» أهمها: انتشار المعلومات وزيادة معدلات التشابه بين المجتمعات والمؤسسات وانتهاء الحدود بين الدول مما يضعف سلطة الدولة، ويفتح الباب على مصراعيه للتدخل الخارجي ولسيطرة المنظمات والوكالات الدولية على مقدرات الشعوب والأمم وتأجيج صراع الهويات وإشعال نار الحروب الأهلية. وهو ما يستدعي إدماج كل الهويات الفرعية في هوية وطنية جامعة وحماية سيادة الدولة القطرية في مواجهة قوى الهيمنة العالمية والانخراط في سياق تجمع إقليمي عربي يشحذ القدرات ويصون الهوية القومية والحضارية.

- ٤ -

ويحمل الفصل الثالث عنوان «العولمة

والإعلام والثقافة» ويتضمن خمسة مباحث، الأول حول: «وسائل الإعلام والعولمة» للباحث الصادق رابح، ويعرض فيه لتطور النشاط الإعلامي وأدواته عبر التاريخ مشيراً إلى أن وسائل الإعلام وأطرها القانونية ظلت محلية إلى أن أصبحت تعتبر من وجهة النظر الانكلو سكسونية «نشاطاً اقتصادياً» كغيره من الأنشطة، ومن وجهة النظر الأوروبية هي «منتج له رسالة ثقافية»، مستشهداً بوكالات الأنباء العالمية التي تسخر شبكات من الأقمار الصناعية لتغطية مختلف قطاعات الخدمات، وملاحظاً البعد المحلي لـ «اليوميات» وسيطرة العناوين «الانكلو سكسونية» ذات البعد العالمي والطابع الاقتصادي. في حين أصبح الناجح من «الصحافة الأسبوعية» يعمد إلى تكييف مضامينه طبقاً للبلاد التي يوزع بها، أما «الإذاعات» فلم تتمكن بعد من التأثير العالمي على نطاق واسع وهو ما يرجع لأسباب سياسية أكثر منها اقتصادية، حيث تحول الاهتمام لـ «القنوات التلفزيونية» التي يسيطر الإعلام الأمريكي على أغلب برامجها. وهو ما حدا المجموعة الأوروبية على إصدار قانون عرف باسم «تلفزيون بدون حدود» يلزم القنوات التلفزيونية الأوروبية بأن تكون ٦٠ بالمئة من برامجها أوروبية. ويعرض الكاتب لأهمية شبكة الانترنت معتبراً أنه لم يعد من الممكن الاستغناء عنها في أي مجال من مجالات الحياة رغم ضعف مردوديتها لحد الساعة، عكس الحال بالنسبة الى «مجموعات الإعلان» التي رغم عولمة وسائلها الإعلانية إلا أن واجهاتها تظل محكومة بعناصر خاصة مرتبطة بثقافات البلدان المختلفة. وإجمالاً يلاحظ الكاتب أن ظهور شبكات الانترنت وتعدد الطبعات المختلفة للمضمون نفسه وعولمة بنوك المعلومات، كل ذلك ينذر بخطورة تطابق محتويات الأخبار التي يتم بثها عبر وسائل الإعلام، مما سيترتب عليه تكريس «نظام ثقافي عالمي» ينشر المرجعيات الثقافية ذاتها في جميع أنحاء العالم، رغم وجود قوى تسعى للحفاظ على عناصر الاختلاف الثقافي الإيجابي وتجديدها، لكن كيف ستتم إدارة التوترات بين قوى التجانس أو التطابق السلبي وقوى الاختلاف الإيجابي؟ وهل سيكون ذلك بشكل دفاعي وفقاً لنموذج «الاستثناء الثقافي» الذي تتمسك به أوروبا أو بشكل إيجابي يشجع على تعدد الثقافات واستيعاب ثقافة الغير دون الانكفاء على الذات؟ تلك أسئلة معلقة وإن انتهى الباحث إلى أن انفتاح الثقافات على بعضها دون هيمنة أي منها يعد أداة لقيام مجتمع الإعلام المتعدد الثقافات.

ويتمحور المبحث الثاني للباحث السيد أحمد مصطفى عمر حول «إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك». وتعرض فيه لتعريف مصطفى محمود لـ «العولمة» بأنها: مصطلح قصد به تفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي ليصبح خادماً للقوى الكبرى. كما استعرض العولمة في تطورها التاريخي» و«الاقتصادي» و«الثقافي» و «السياسي» معتبراً أنها: عملية تطور موضوعي يلزم الحذر من بعدها الأيديولوجي الذي يصب لصالح قطب أوحد، يفرض سياسته على العالم، نافياً مضمونها الديناميكي بوصفها

«عملية مستمرة من التحولات». ثم تناول الكاتب الإعلام باعتباره الأداة الرئيسية لنشر الظاهرة وفرضها على وجدان البشر وعقولهم وقلوبهم في مختلف دول العالم، منتهياً إلى خلاصة مؤداها ضرورة قبول العولمة جزئياً والحذر من «بعدها الثقافي».

وينصب المبحث الثالث لحميد جاعد الدليمي على «العولمة والإعلام والعرب فرضيات ونتائج»، لاحظ فيه أن ظاهرة العولمة تعد «رأس الحربة المؤثر على مستقبل الوجود القومي للشعوب والأمم بصفة عامة والأمة العربية بصفة خاصة». وعرض لأربع فرضيات أولها: أن العولمة واقع معاش وعليه فالأفضل ليس البحث عن وسائل مقاومتها وإنما كيفية التعامل مع مضامينها، وبخاصة في مجالي الثقافة والإعلام، والفرضية الثانية أن: النظام الرأسمالي عزز هيمنته عبر ثورة المعلومات والتقنية المعاصرة حيث تكرس نمط الإنتاج الرأسمالي مما ساعد على تركيز الثروة في مؤسساته وقواه الطبقية، واعتبر أن الإعلام يعد من أهم الوسائل التي بإمكانها لعب دور فاعل في الأنساق الاجتماعية ذات العلاقة بعمليات التغيير، والفرضية الثالثة تقوم على دمج الإعلام والمعلومات في إطار العولمة التي تصب في دعم أسس النظام العالمي الجديد، مما ينتج عنه التأثير في البنى الثقافية للشعوب بصورة سلبية حيث يتم توظيف الإعلام لتوسيع هذه الفجوة والقضاء على الإعلام الجماهيري و ترويج الإعلام الفئوي، والفرضية الرابعة أن الإعلام أصبح وسيلة يتم توظيفها لخدمة منطق العولمة واختراق السيادة القومية وإشاعة الثقافة الاقتصادية وثقافة قيم، وعليه لابد من الاهتمام بالإعلام الذي يعتبر الأساس لمجتمع العولمة وتوظيفه لصالح الحفاظ على الثقافة العربية وحمايتها من المسخ.

ـ ٥ ـ

يعالج المبحث الرابع لجلال أمين «العولمة والهوية الثقافية» حيث إن: «العولمة قديمة شأنها شأن الغزو الثقافي» تعود نشأتها واستمرارها وتسارع خطاها للتطور التكنولوجي، و إذا كانت التكنولوجيا مجرد وسيلة لإشباع الحاجات الإنسانية، إلا أن التكنولوجيا حالياً قد يترتب عليها طمس الهوية الثقافية للعديد من الأمم. وهنا يرى الباحث أن بعض الانتهازيين ينكر أي طمس للهوية بحجة «مجاراة متطلبات العصر» في حين يعجز هؤلاء عن تقديم البديل الذي يحقق النهضة مع الحفاظ على هوية الأمة، ملاحظاً أن مجتمع التكنولوجيا الحديثة يشكل تحدياً لكل الديانات والثقافات حيث يفرض ثقافة «البلوجينز» و«الهامبرغر»، فالمشكل هنا ليس في وجود تنظيم اقتصادي أو اجتماعي بل في ميول إنسانية متصارعة ومتضاربة، وترجيح أيها لا يستند للأفضل أو الأنبل أو الأحسن بالضرورة، وهو ما يستدعي الاتحاد بين أصحاب الديانات والثقافات المهددة حيث يكون الجميع أمام تحد مشترك.

و يدور المبحث الخامس لأحمد ثابت حول «العولمة والخيارات المستقبلية»، وأكد فيه على ضرورة تجاوز الجانب النظري وتشخيص الواقع معتبراً أن أهم

ملامحه السيطرة على المعرفة والمعلومات وتجاوز الصناعات الإلكترونية الدقيقة ذات التكلفة الباهظة نحو صناعات التحكم في الفضاء، ملاحظاً أن منطق العولمة يقوم على استبعاد شعوب معينة، بزعم الانغلاق والشمولية وعدم التسامح ورفض الاندماج في التقاليد و«اللاقيم» الأمريكية وأسلوب الحياة الذي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لعولمته، وشارحاً أن العولمة لا تسعى لتفاعل الثقافات والأفراد والمجموعات الاجتماعية والشعوب، وإنما الضغط لإفساح المجال لنفاذ التدفقات الأمريكية من سلع ومواد إعلامية، دون تحقيق إمكانات التواصل الثقافي والمشاركة بدل الإلحاق والإقصاء الثقافي عبر احتكارات عالمية هائلة تسعى للسيطرة على الشعوب والبلدان الأخرى وغزو أسواقها والهيمنة على مقدراتها القومية ساعية لمسخ ثقافتها عبر تفكيك القوميات والهويات والاقتصاديات وإعادة البناء على أساس سيطرة السوق وتقديس الاستهلاك الترفي والمضاربات. وهذا هو ما حدا الحكومة الفرنسية على إصدار قرار يحظر زيادة نسبة البرامج غير الأوروبية في وسائل الإعلام عن ٣٠ بالمئة. وفي المقابل عرض الكاتب لأفكار بعض المبشرين بالنتائج الإيجابية للعولمة معتبراً تلك الإيجابيات التي يتم التبشير بها تصطدم بعقبات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وتكنولوجية مما يجعل الفائدة تعود على العالم الغربي من خلال احتكارات محدودة تشجعها حكومات سلطوية خصخصت كل المجالات عدا مجالي الثقافة والإعلام كوسائل للتحكم، وهو ما ترتب عليه غياب مواد إعلامية بديلة لتلك الوافدة، واغتراب ثقافي تجاوز النخب الحاكمة إلى بعض المفكرين الذين يرى بعضهم في العولمة تلبية لحاجيات المجتمع متناسين أن حاجات المجتمعات تتجاوز الحاجات الاقتصادية والتقنية إلى تلك الروحية والثقافية. وهذا ما انتبه له وزير الخارجية الكندي الأسبق فولكنر حين قال: «لئن كان الاحتكار أمراً سيئاً في صناعة استهلاكية فإنه أسوأ إلى أقصى درجة في صناعة الثقافة حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار وإنما تثبيت الأفكار أيضاً».

- ٦ -

يلاحظ على هذا الكتاب غياب التوازن بين فصوله ومن ثم التكامل بينها، ففي حين اختص الجانب الإعلامي بخمسة مباحث لم تحظ الجوانب الأخرى بالقدر نفسه من الاهتمام، بل لم يحظ الجانب الاجتماعي بأية دراسة مستقلة وإن وردت إيماءات له في بعض السياقات. أما من الناحية الموضوعية فقد تقاطعت مختلف الأبحاث في رؤيتها للعولمة كوليدة للرأسمالية وأداتها للتوسع وإخضاع الشعوب للهيمنة عبر السيطرة على الأسواق والأذواق، فيما سكتت عن البدائل والسيناريوهات المستقبلية، فلم نر أية بدائل متكاملة للتأثير فيّ الظاهرة وتوجيهها لصالح قضايا الوطن العربي.

لكن في كل الأحوال فإن الكتاب جمع مقالات نخبة من مفكري الوطن العربي، مما يجعله فريداً في تنوعه، ثرياً في مادته، عميقاً في تحليله □

بيان نويهض الحوت

صبرا وشاتيلا: أيلول ١٩٨٢

(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٣). ٨٠٢ ص.

عبد الإله بلقزيز

أستاذ الفلسفة، جامعة الحسن الثاني ـ المغرب.

منذ اقتُرِفت بين غروب يوم الخميس ١٩٨٢/٩/١٦ وظهر يوم السبت ١٨/ ١٩٨٢/٩، وحتى مَطْلِعِ هذا العام (٢٠٠٣)، قرأنا الكثير الكثير عن «مجزرة صبرا وشاتيلا»: مقدماتٍ ووقائعَ ونتائج درامية. وكان في جملة ذلك الكثيرِ ما يستحق أن يُقْرَأ ويُرْجَع إليه مستَنَداً ومصدراً، إما لإتّصاله بالمعاينة المباشرة أو بسبب أهمية من قدّموا شهاداتهم عنه من الكُتّاب (وبخاصة شهادات جان جينيه وروبرت فيسك وأمنون كابليوك...). ولعل ذلك الذي قرأناه جَهَّزَ خيالَنا بالكثير من الصور عن المجزرة ورسَم نُخوم وقائِعها في وعينا. وكان للصور التي التقطتها عدسات كاميرات الـ AFP (وكالة الصحافة الفرنسية) وقْعٌ في النفس أشدُّ وطأةً من وقْع المكتوب فيها. ومع ذلك، لم تَسْلَم الصورُ عينُها من أمْرِ تحنيط بشاعة مشهد الموت، على ما نَطَقَتْ به، كما الشهادات المكتوبة.

الكثيرُ الكثيرُ ذاك يبدو قليلاً أمام السِّفر الكبير الذي وضَعَتْهُ د. بيان نويهض الحوت حاملاً عنوان الحدث الجَلَل: **صبرا وشاتيلا: أيلول ١٩٨٢**. هو يبدو قليلاً في مادته التي حَمَل، لكنه يبدو قليلاً أكثر في حرارة الشهادات المُدْلى بها من عشرات المفجوعين بما رأوه أيام «القيامة» تلك، وبما أصابهم منه في النفوس والأبدان، وفي الأهل والخِلّان:

ستمائة صفحة إلاّ قليلاً تَضَعُك في تفاصيل ثلاثة أيام من المَقْتَلة. بعيداً تذهب التفاصيل إلى أدق تفصيلاتها لتقول لحظات الموت ومْضَةً ومضة. البُرْهَة الواحدة من الزمن في الكتاب (= في المجزرة تالياً) ساعاتٌ ممتدة من القراءة، لا، إنها دهْرٌ من المعاناة يُعيدك إلى سيرة الموت الهوجاء، يُدْخِلك في نسيج عذابات الذين وقع عليهم فِعْلُ القتل وعلى أهلهم في الأيام الثلاثة الفاجعات. إلى يوميات الموت يَنضاف «نصبٌ

تذكاريّ علمي» عن المجزرة (هو) كناية عن ملاحق لِأسماء المئات من الشهداء الذين قضوا (فلسطينيين ولبنانيين وسوريين وأردنيين وسودانيين ومصريين وجزائريين، وآخرين ما عُرِفت جنسياتهم) معزَّزة ببيانات عن أعمارهم ومهنهم ونوعية القربى العائلية، ومستندة إلى مصادر متعددة (الدراسة الميدانية التي أجريت في العام ١٩٨٤، لوائح الصليب الأحمر الدولي، ومديرية الدفاع المدني اللبناني، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، والهلال الأحمر الفلسطيني، ومقبرة روضة الشهيدين، ومستشفى غزة، ومستشفى عكا، ولجنة أهالي المخطوفين والمفقودين، وبيانات الصحف اللبنانية والفصائل الفلسطينية...). يتوّج الملاحق تلك ملحق لِصور المجزرة وملحق لخرائط منطقة صبرا وشاتيلا وجوارها، ومواقع قوات الاحتلال في محيطها وعلى مداخلها، واتجاهات حركة القتلة المقتحِمين للمنطقة، ومواقع الملاجئ، وثبتاً بأحياء المنطقة ومعالمها الداخلية. والملاحق هذه تغطي مساحة كبيرة من الكتاب تقع بين الصفحتين ٦١٧ و٧٣٣.

يتوزع الكتاب على قسمين: تَشْغَلُ القسمَ الأول منهما ستة فصول، ويَشغل الثَّانِيَ فصلان، إضافة إلى مقدمة وخاتمة. تعتني الفصول الأربعة الأخيرة من القسم الأول بتدوين ـ وتوثيق ـ الشهادات والروايات الشفهية عما جرى من وقائع القتل على مدار ثلاث وأربعين ساعة، فيما ينصرف الفصلان الأولان من القسم إياه إلى رسم طوبوغرافيا للمكان والسكان (الفصل الأول) ولانتشار جيش الاحتلال الإسرائيلي في محيط منطقة المذبحة ومداخلها وتفاصيل ما حدث بين يوم ١٩٨٢/٩/١٤: تاريخ اغتيال بشير الجميّل واجتياح إسرائيل للمنطقة الغربية من بيروت، وبين يوم ١٩٨٢/٩/١٦، أي عشية بدء الكرنفال الدموي (الفصل الثاني). أما القسم الثاني من الكتاب، فينصرف فصله الأول إلى عرض نتائج الدراسة الميدانية التي أشرفت عليها د. بيان نويهض الحوت ـ في العام ١٩٨٤ ـ وشارك فيها فريق من عشرين عنصراً من الشباب، وتحليل معطياتها الإحصائية بمنهج مقارِن؛ فيما يَعْرِضُ فصلُه الثاني لمسألة تقصي عدد الشهداء والجرحى والمخطوفين باعتماد أسلوب المقارنة بين المصادر والمعطيات والبيانات. أما خاتمة الكتاب الطويلة لأهمية موضوعها (ص ٥٥٩ ـ ٦١١)، فحملَ عنوانُها سؤالَ الأسئلة في هذه «النازلة»: «من المسؤول؟».

ينتمي الكتاب إلى حقل التاريخ الشفوي، ويتوسل بالشهادات مادةً رئيسَةً في إعادة بناء الحادثة: عرضاً وتعليلاً. ومع أنه يستدخل في جملة هذه المادة ما هو مكتوب عن المذبحة ـ بأقلام أجانب وعرب ـ إلا أن المادة المكتوبة لا تشكل فيه مادة مرجعية رئيسَة، ليس فقط بسبب حيّزها الضيق في الكتاب، بل ـ أساساً ـ لأن المؤلفة اختارت الشهادة خامةَ عملها الرئيسَة؛ وهو اختيار صائب لغنى الروايات ـ روايات الشهود ـ بالمعلومات التفصيلية عما جرى في المقْتَلة من جهة، ثم لأن طبيعة الموضوع، من جهة ثانية، (مذبحة أريدَ التستر عليها وطمس معالمها وحجب المعلومات عنها)

استدعت مثل هذا الاختيار الذي تتنزل فيه الشهادة العيانية منزلة الوثيقة التاريخية. لكنها وثيقة من نوع مختلف ومميَّز: ناطقة، وحيَّة، وأكثر مصداقية من الوثيقة المكتوبة. وإلى ذلك، فهي قابلة للتبيُّن والتثبُّت من صدقيتها بمقابلتها بوثائق (شهادات) أخرى عن الواقعةِ عينِها التي تفيد بمعلومات عنها.

ولقد جَدَّتِ الباحثة واستَفْرَغَتْ وُسْعاً في جمع الشهادات وتسجيل روايات الشهود وتدوينها. فَعَلَتْ ذلك بإصرار عَقْلٍ شَغُوفٍ بالمعرفة والحقيقة وبوجدانٍ مغمورٍ بشعور الواجب الوطني مع عِلْمِها بأن ما تفعله قد يرتّب عليها غراماتٍ ـ شخصية وعائلية ـ باهظة. فإلى سلطة لبنانية تَبْغِي حينَها ـ أعني في النصف الأول من الثمانينيات ـ أن تُهيلَ التراب على قضية صبرا وشاتيلا لإخفاء معالمها نهائيّاً، وإلى زوجٍ مطارَد أو يشبه أن يكون كذلك (الأستاذ شفيق الحوت)، كانت أشباه مقتلة صبرا وشاتيلا تتناسل من بعضها وتقع على اللاجئين الفلسطينيين أنفسهم في المخيم نفسه وفي مخيم برج البراجنة في حقبة ما بعد ٦ شباط ١٩٨٤، مع انكفاء الجيش اللبناني عن الشطر الغربي من بيروت ـ ومعه انكفاء مليشيات «القوات اللبنانية» ـ وبدء سيطرة مليشيات إسلامية عليها كان صدامُها العسكري مع الفلسطينيين قد بدأ يتفاعل منذ ما قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان. و«بالكاد» كان يملك المرء أن يتحدث عن الفلسطينيين في ذلك الإبَّان (أعني في الفترة عينها التي كانت الباحثة تجمع مادة الدراسة)، فكيف أن يدافع عنهم، أو أن يزور مخيماتهم لاسْتِبْيَانهم في شأن المذبحة، أو استقبال أفرادٍ وعائلات منهم في بيتٍ ـ هو بيتها ـ موضوعٍ تحت المراقبة؟ وكأيّ عملٍ علميّ يخرج من صلب معاناة كبيرة، خرج هذا الكتاب كبيراً بمادته ووافر فائدته ليقول الكثير الكثير عن واحدة من أبشع الفصول الدموية، ومن أبشع الجرائم ضد الإنسانية، في التاريخ.

من عشرات الأشرطة ـ التي سَجَّلت عشرات الروايات الشفهية لشهود المذبحة من فلسطينيين نجوا من الموت وفقدوا أقرباء وأعزاء ـ اختارت الباحثة الاشتغال على ست وأربعين رواية. وعلى امتداد مائتين وثمانين صفحة (ص ١٣٠ ـ ٤١٣)، تتوالى مشاهد سيناريو الجريمة تحملها إفادات الشهود ساخنةً سخونة اللغة المحكية (العامية: الفلسطينية واللبنانية) التي رُوِيَت بها تلك الشهادات ودوَّنتْها الباحثة بمفرداتها العفوية الحرفية. وبين شهادةٍ وأخرى، لا تكتفي الباحثة بالتبويب والعَنْوَنَة: تبويب الروايات وتنزيلها تحت عناوين تبعاً لتصنيف مسبق، ولا تكتفي بالتعليق على السابق منها والتمهيد للاّحق، بل تذهب إلى أكثر من ذلك بكثير: إلى إضاءة الشهادة بإفادات سياسية تعيد بناءَ سرْديَّتها في سياقٍ سياسيٍّ تَنْجَلِي فيه، و ـ الأهم ـ تذهب إلى بناء الأواصر والوشائج بين الروايات، فتبحث في أمشاجها عن خيوط رابطة تتعزَّز في الواحدةِ منها إفادةُ شهادةٍ قبلَها أو شهادات، وتَسْتَبين بها، إجمالاً، صِدْقيَّةُ المَرْويَّات.

تدرك د. بيان نويهض الحوت أن التأْريخ الشفوي للمجزرة يقتضي إدلاء

القَتَلة أيضاً بشهاداتهم لأنهم الطرف الآخر في الحادثة. لكن ذلك ممتنع لأكثر من سبب؛ فلا أقلّ ـ إذن ـ من تقديم شهادات الضحايا، وهي تنطق بما لا يجرؤ على قوله القاتل: الذي عادة ما يكون آخر من يُخْبر عما اقترفته يداه. تدرك ذلك، وتقول بحكمة: «في تاريخ المجازر، يتكلم الموتُ أولاً، ثم يتكلم القتيل، ثم يتكلم القاتل» (ص ٦١٢). وهي جعلت القتيل يتكلم في منبر شهادته (الكتاب).

* * *

إلى الاقتدار المهنيّ العاليّ في ممارسة تقنية التاريخ الشفوي واستنطاق المادة المَرْويّة، أضافت الباحثة فضيلة أخرى إلى كتابها هي الموضوعية والتجرُّد والحياد؛ وهي قرينة على نزاهة علمية قد يستعصي احْتيازها احتيازاً لدَى كاتب لا يَكاد يفصله شيءٌ ـ وجدانيّاً وسياسيّاً ـ عن الموضوع الذي يقاربه: محنة الفلسطيني، أو ـ على الأقل ـ قد يحتاج التحلّي بها إلى مغالبَةٍ للنفس تخرج عن المألوف وترتفع إلى نصاب المجاهدة. والحق أن قارئ الكتاب إذْ يستشعر ذلك، يَلْحَظ ظاهرةً مثيرةً رديفاً هي: خلوّ قاموس الباحثة من أية مفردات مشحونة بمعاني الحقد والتحقير للقتلة وحماتهم على هَوْل ما اقترفوه من فظاعات. وهو انتصار علمي تسجّله د. بيان في سجلّ البحث والكتابة، وانتصار أخلاقيٌّ لها ـ وللعقل الفلسطيني ـ على الرصاص الإسرائيلي والأحقاد الصهيونية ضدّ الفلسطيني: وجوداً ومعنًى.

* * *

من النافل القول إن هذا الكتاب يحتل موقعاً مميَّزاً في ما لدينا من آثار مكتوبة في باب التاريخ الشفوي. لكنه إذ يُنْسَب إلى مجال التاريخ ذاك ـ بحسبانه تدويناً لحوادث مَرْوِيَّة بألسنة شاهدين شهادةَ عينٍ عليها ـ يفيض عن هذا التصنيف التقليدي بِجَمْعِهِ بعضَ تقنياتِ الدَّرس الاجتماعي ـ الإحصائي إلى تدوين الروايات. ويبدو ذلك ـ على نحو خاص ـ في قسمه الثاني الذي أُثْبِتَتْ فيه نتائج الدراسة الميدانية التي أشرفت عليها ـ في العام ١٩٨٤ ـ مؤلفةُ الكتاب، والذي جرى فيه تقصي أسماء الشهداء والمخطوفين بصورة جرى فيها استدعاء وسائط منهجية تنتمي إلى مجال السوسيولوجيا التطبيقية. ومن تحصيل الحاصل أن ذاك الجمْعَ ضخَّ حيويةً علمية في مادة الكتاب وأخرجها من «رتابة» السرد والتدوين التي تلازم ـ في العادة ـ النصوص التي تقع تحت عنوان التاريخ الشفوي.

لكن مكانة هذا الكتاب ليست هنا حصراً: أعني في باب التاريخ الشفوي، إنها أيضاً ـ وربَّما أساساً ـ في باب **البحث عن حقيقة ما جرى**. عند هذه العتبة، ينتقل الكتاب من حيّز الوثيقة التاريخية إلى حيّز الوثيقة السياسية. فهو بمقدار ما يدوّن الحوادث المرويّة ويتقصّاها، ويحقّق في أمر الفاعلين ومن وقَعَتْ عليهم أفعالُ الفاعلين، يتحوَّل إلى **شهادة سياسية** على واقعةٍ لم تنظر فيها العدالة بعد، ولم يتعدَّ تناوُلُها إجراءَ تحقيقٍ لم يُنْشر، و ـ بالتالي ـ لم يُغْلَق ملفُّها بعد. ولأن الواقعة لم تنفكّ تمثل قضيةً سياسية يتداولها الرأي العام (المحلي والدولي)، ولم تُحَل بعد على

أرشيفات التاريخ، فإن كل تنقيبٍ فيها هو **تحقيقٌ سياسي** أو بهذه المثابة. ولأن هذه الحفريات التاريخية التي قامت بها د. بيان نويهض الحوت ـ في كتابها الذي نترجم له ـ كانت من العمق بحيث بلغت طبقات مطمورة تحت سطح «النازلة»، فإن إعادة فتح ملف المذبحة سياسيّاً أو قضائياً لم تعد أمامها فرصة حقيقية لأن تُطِلَّ جدّياً على الملف ذاك دون أن تعتمد مادة هذا الكتاب وثيقةً رئيسَةً في التحقيق وشاهداً عَدْلاً على الجريمة.

وأحسب أن كتاباً آخر ـ من هذا الضرب ـ يصدر في أوروبا أو أمريكا حول قضيةٍ معلقة من جنس قضية صبرا وشاتيلا كان سيتحول سريعاً إلى دافع سياسي وأخلاقي إلى إعادة فتح القضية قضائيّاً، فكيف إذا لم تكن قد فُتِحت أصلاً؟

كتاب **صبرا وشاتيلا: أيلول ١٩٨٢** شهادَةُ إدانةٍ صارخة، غير مسبوقة، لمجزرةٍ مروّعة ولِقَتَلةٍ متوحشين، ومرافعةٌ راقية عن حقِّ دمٍ أُهْرِقَ بغير حق □

صدر حديثاً

المجموعة الكاملة
لخطب وأحاديث وتصريحات
جمال عبد الناصر

هذا المجلد هو القسم الثاني من الجزء الثالث بعنوان: «سنوات الوحدة» وهو يغطي الفترة الممتدة من ١٩٦٠/١/١ حتى ٥/ ١٩٦١/١٠، ويتضمن كل الخطب والتصاريح والأحاديث التي صدرت عن الرئيس الراحل ويبلغ مجموعها ٢١٧ عدّاً. وستصدر بعد القسم الثاني من الجزء الثالث أجزاء أخرى تباعاً لتضم ما ألقاه عبد الناصر من خطب وأحاديث طوال حياته السياسية.

٨٨٨ صفحة
الثمن: ١٦ دولاراً
أو ما يعادلها

Shadia B. Drury
Leo Strauss and the American Right
(New York: St. Martin's Press, 1997). xiii, 239 p.

ليو شتراوس واليمين الأمريكي

سمير كرم

مدير الدراسات ـ
مركز دراسات الوحدة العربية.

صدر هذا الكتاب في عام ١٩٩٧، لكنه لم يُقرأ، ونكاد نقول إنه لم يلفت نظر أحد حتى من مراجعي الكتب، إلا هذا العام.

وقد كان يمكن أن يبقى حبيس الدائرة الضيقة التي تهتم بكتب العلوم السياسية التي يؤلفها أساتذة جامعيون يخاطبون نخبة صغيرة حول موضوعات هي بطبيعتها بعيدة من اهتمام «جمهور» القراء.

لكن، فجأة ـ ومع بدايات العام الحالي أو ربما أواخر العام الماضي ـ أصبح الطلب على هذا الكتاب واسعاً للغاية.. لعله اقترب من قائمة **نيويورك تايمز** لأوسع الكتب مبيعاً في الولايات المتحدة... وأصبح اسم المؤلفة ـ الذي يحمل معه صدى الأسماء الغريبة غير الأوروبية في آذان الأمريكيين. شادية دروري على قائمة المراجع والمصادر على مئات المراجعات والمقالات... ومع اسم شادية دروري صعد أيضاً إلى دائرة الضوء الإسم الذي يحمله عنوان الكتاب **ليو شتراوس واليمين الأمريكي**.

شادية دروري، التي لا ندري إن كانت من أصل عربي أم لا، كل ما هو معروف عنها ما هو مكتوب على الغلاف الأخير لكتابها هذا: «أستاذة السياسات في جامعة كالاغاري (الكندية)، وأنها مؤلفة كتاب **الأفكار السياسية لليو شتراوس**. وأنها «تعيش في كندا». لكننا نعرف الآن يقيناً أنها هي التي فتحت بهذا الكتاب ـ في توقيت لم تحدده هي ـ ذلك الصندوق السحري الذي خرجت منه كل الكتابات والتعليقات عن ليو شتراوس باعتباره فيلسوف اليمين الأمريكي، الفيلسوف الذي ألهمت أفكاره وتُلهم سياسات إدارة جورج بوش الابن... والذي علّم ـ مباشرة أو بالسماع ـ أركان هذه الإدارة (جورج بوش مستبعد من هذا حتى لا يتهم بالاهتمام بالفلسفة). وقبل شادية دروري فإن عدد الذين يعرفون ليو شتراوس لا يتجاوز عدد طلاب الفلسفة المجدين

الدؤوبين على قراءة الفلاسفة المعاصرين حتى الهامشيين منهم، كما لا يتعدى عدد من يعرف علاقة فكر شتراوس باليمين الأمريكي، بالمحافظين الجدد الذين بأفكاره يحكمون الولايات المتحدة ويطمحون إلى حكم العالم، فلا يتعدى أصابع اليدين. بل إن باستطاعة المرء أن يراهن أن كثيرين من أتباع اليمين الأمريكي الجديد من لا يعرفون أنهم يسيرون على خطى ليو شتراوس وأنهم أتباع هذا «الفيلسوف اليهودي الألماني الغامض»، الذي احتل بعد موته بثلاثين عاماً لدى اليمين الأمريكي الجدي المكانة التي احتلها هربرت ماركيوز عندما كان شتراوس حياً، مكانة فيلسوف اليسار الأمريكي الجديد.

مع ذلك لا بد من التأكيد على نقطة مهمة، أن كتاب شادية دروري ليس عن ليو شتراوس وأفكاره وفلسفته، بالدرجة الأولى هو كتاب عن اليمين الأمريكي الجديد... بالتحديد عن المجموعة التي تدخل تحت وصف «المحافظين الجدد»، من ساسة وسياسيين ورجال دولة ورجال مخابرات وإعلاميين وكتاب، وما إلى ذلك.

وإذا كانت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، وبعدها أحداث غزو العراق واحتلاله، قد فرضت على العربي أن يُعنى بشأن هذه المجموعة المتمركزة في واشنطن، والتي يمكن اعتبارها بالمفهوم الغرامشي «نخبة مثقفي السلطة» الأمريكية، فإن أسماءهم قد تسربت إلى معرفتنا وذاكرتنا ومن المؤكد أنها ستبقى فيها لوقت طويل. لهذا فإن أهم فصول كتاب **ليو شتراوس واليمين الأمريكي** هو **الفصل الخامس** (الأخير) الذي يحمل عنوان «النزعة المحافظة الجديدة: تراث شتراوسي». ليس فقط لأنه سبب أو سر طوفان الطلب على الكتاب في الأشهر الأخيرة... إنما لأن هذا الفصل يفصل جوهرياً المفاهيم السياسية والاجتماعية والثقافية لهذه النزعة (أو هذا التيار المحافظ الجديد) في إطارها الطبيعي، أي في الحياة السياسية الثقافية الأمريكية.

ونعرف مع بداية هذا الفصل ـ أن أول من استخدم اصطلاح "النزعة المحافظة الجديدة" كان المفكر الأمريكي مايكل هارنغتون (وهارنغتون كان مفكراً يسارياً وزعيماً للاشتراكيين الديمقراطيين في الولايات المتحدة لسنوات طويلة حتى وفاته في عام ١٩٨٩)، وسريعاً ما تبنى أحد أبرز كتاب اليمين الأمريكيين ايرفنغ كريستول هذا المصطلح واصفاً نفسه بأنه محافظ جديد، ولم يلبث أن أصبح هو الوصف المفضل لدى نجوم هذا التيار: وبالأخص الذين ارتبطوا تنظيماً بالحزب الجمهوري الأمريكي: جين كيرباتريك، نورمان بودهورتيز، سيمور مارتن ليبسيت، صموئيل هانتنغتون، جيمس ويلسون... وغيرهم. وقد اختارت المؤلفة أن تركز اهتمامها على اريفنغ كريستول «لأن الموضوعات التي شغلته هي الموضوعات المهيمنة على اليمين الأمريكي، ولأن نزعته المحافظة الجديدة أصبحت الأيديولوجية السائدة للحزب الجمهوري في الثمانينيات والتسعينيات...» مع أنه كان قد بدأ الكتابة في أربعينيات القرن العشرين. والآن فإن ابنه وليام كريستول ـ وهو رئيس تحرير أسبوعية **ويكلي ستاندارد** يُعد «منظّر الاستراتيجية السياسية للحزب الجمهوري».

وحسب كريستول الأب نفسه فإن مفكرين أمريكيين اثنين كان لهما أكبر الأثر في تكوينه الذهني: ليو شتراوس وليونيل تريلنغ. وهذا أمر يدعو للدهشة، فقد كان تريلنغ مفكراً وناقداً ثقافياً من اليسار الليبرالي. أما شتراوس فكان مفكراً يمينياً بكل المقاييس، في نظرته لمفهوم السلطة ومفاهيم الحرية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية... وحتى في نظرته لمسألة حقوق المرأة... وكان من أنصار فكرة «الفيلسوف ـ الملك» أي الحاكم المطلق شرط أن يكون فيلسوفاً، أي مفكراً عميقاً وموسوعياً، وما عدا ذلك لا أهمية له. وكان أبرز الفلاسفة الذين تأثر بهم مارتن هايدغر، الذي لم تعد علاقته بالنازية وتأثيره في فكرها وتوجهاتها محل شك من أحد. وكان تأثره قبل ذلك بنيتشه وأبعد منه بالفيلسوف اليهودي موسى بن ويمون (ميمونيدس في التسمية اليونانية والعبرية).

ماذا خلق في داخل عقل ليو شتراوس هذا المزيج من النازية واليهودية؟

لم يُعن الذين اهتموا بعلاقة شتراوس باليمين الأمريكي ـ بالمحافظين الجدد ـ لم يعنوا كثيراً بهذا الخليط فيه من يهوديته وقربه الشديد من أفكار النازية. بالتالي لم يهتم أحد ممن قرأوا وراجعوا كتاب دروري ـ موضوع مراجعتنا هذه ـ بما كشفت عنه من ميل شتراوس القوي للصهيونية فكراً وممارسة. على الرغم من أن العلاقة الجديدة بين اليمين الجديد الأمريكي، ممثلاً في التيار المسيحي الأصولي، وإسرائيل الفكرة والدولة والمستقبل تفرض بمنطق الضرورة والواقع معاً أن يبحث الباحثون عن أسباب هذا الالتقاء الذين أثار دهشة كثيرين، لكن معظمهم ترك تفسيره للغير(...)

في **الفصل الثاني** من كتابها ـ وتحت عنوان «ميراث شتراوس اليهودي» تقول المؤلفة أن شتراوس ابتعد عن عقيدة سبينوزا وماركس التي ترى (على الرغم من قرنين من الزمان يفصلان بين هذين الفيلسوفين «اليهوديين»، «أن حل المسألة اليهودية هو مجتمع علماني تتم فيه إزالة التمييز بين المسيحي واليهودي». وبينما يفترض شتراوس في سلفيه اليهوديين حسن النية تجاه اليهود في اعتقادهما بهذا الحل، إلا أنه اعتقد أنه حل «يفضي إلى إزالة اليهود كشعب».

وتقول المؤلفة أيضاً أن شتراوس يرفض الديمقراطية الليبرالية (وهو الشيء الجوهري المشترك بينه وبين اليمين الجمهوري المسمى بالمحافظين الجدد) ليس فقط لأنها تُخفق في حل المسألة اليهودية، إنما هو يرفضها «لأنها تدمر الجماعة، بما في ذلك الجماعة اليهودية. لهذا فهي تنجز بوسائل سلمية ما سعت النازية إلى تحقيقه بواسطة مصانع الموت».

وعند هذا المفصل تدخل المؤلفة إلى صهيونية شتراوس.

في **الفصل الثاني** أيضاً وتحت عنوان «القومية اليهودية موصى بها» تقارن دروري بين صهيونية سياسية كان يؤمن بها المفكر البريطاني اليهودي ايزايا برلين، وهذه ترى أن اليهود ينبغي أن يعيشوا وأن يكون لهم وطنهم كغيرهم من الأمم، ونوع آخر من الصهيونية آمن به ليو شتراوس، ويرى أن هوية اليهود تقوم على كونهم «ليسوا كغيرهم من الأمم».

وعلى الرغم من أن دروري لا تقول بصورة مباشرة أن يهودية شتراوس السياسية وراء رفضه الحاد والقاطع لليبرالية ـ أي وراء تمسكه القوي بالفكر المحافظ ـ إلا أنها تدع قارئها يتوصل إلى هذا الاستنتاج من خلال عرضها للمعاني التي ينطوي عليها رفضه للصهيونية السياسية. فهي مرفوضة منه لأنها «تسعى لإدماج اليهود في غيرهم»، ولأنها «تنشق بصورة جذرية عن مبادئ التقاليد اليهودية». إنه «يحاول إقناع (الشباب اليهود في أمريكا) بأن كون المرء يهودياً **هو فرصة، فرصة للانتماء إلى** «أمة» أو لأن يكون جزءاً من «شعب «وليس ضائعاً في الزحام الموحش الذي خلقته الليبرالية الأمريكية».

الواضح إذن ـ تقول دروري ـ أن شتراوس «قومي يهودي» ولكنه ليس صهيونيا سياسياً. مع ذلك فشتراوس ينفي تفسير كثيرين له ـ حتى من أصدقائه ـ بناء على هذا بأنه يهودي أصلاني (أرثوذكسي). مع ذلك فهو لا يعتبر التراث اليهودي تراثاً مجيداً لأنه «حقيقي»، «صادق». اليهودية عنده «وهم بطولي» و«حلم نبيل... لم يسبق أن كان ثمة حلم أنبل منه...» وهو يتبنى قول نيتشه بأنه «ليس ثمة أعظم من أن تموت من أجل مجد وهم رائع». (...) إن شتراوس يدعو أصدقاءه الشبان لأن يضحّوا حياتهم من أجل خرافات الأوهام. ولا يهم كثيراً مدى نبلها، فهي ـ باعتراف شتراوس نفسه ـ أكاذيب.

هل يعني هذا أنه كان لشتراوس موقف «لا صهيوني» من إسرائيل؟

إن تأييد شتراوس لدولة إسرائيل واضح تماماً. وتصوره لمهمتها لا يختلف عن معنى القومية اليهودية عنده، كما لا يختلف عن المهمة الصهيونية التي اختطتها لنفسها، بغض النظر عن معتقدات منظّريها الأوائل. هذه المهمة هي أن «تصون اليهود من الاندماج مع شعوب أمم أخرى... أن تحافظ على هويتهم كشعب فريد». وقد وصل شتراوس في تحيزه لهذه الفكرة إلى حد الكتابة عن رفضه لفكرة الزواج المدني ورفضه لمن ينتقدون إسرائيل لأنها لا تسمح إلا بزواج ديني. إنه يرفض زواج اليهود بغير اليهود، بالمسلمين أو المسيحيين على السواء. هذا وحده ما يبقي على «النزعة المحافظة» لدولة إسرائيل. ودولة إسرائيل كتجسيد للصهيونية السياسية حافظت على اليهود من «التحلل الكامل» ـ وهو هنا لا يعني معسكرات الموت النازية ـ إنما هو يعني سياسة الاندماج بغير اليهود.

وإذاً، فإن المفكر الذي عارض «الصهيونية السياسية» من أجل «القومية اليهودية» عاد ليؤكد للأولى دوراً مهماً هو الحفاظ على التميز اليهودي من الزوال في الاندماج، الأمر الذي تدعو إليه وقد تنجح في تحقيقه الليبرالية.

وتؤكد المؤلفة في أكثر من موضع من كتابها أن كراهية شتراوس لليبرالية، والتي تبدأ من هذه النقطة تنتشر فتشمل كل ليبرالية في الفكر والممارسة، إنما تنبع من كونها تمتد بجذورها في الفكر العقلاني وفكر عصر التنوير (الأنوار). «إن كلية رفض شتراوس للاندماج (اليهودي) هي مقياس رفضه لليبرالية

الأمريكية ولبوتقة الانصهار الأمريكية، رمز التقاء القوميات والشعوب والأجناس المختلفة عبر الهجرة إلى داخل المجتمع الأمريكي والاندماج فيه».

وتذهب دروري إلى نقطة تماثل مهمة بين شتراوس والمفكر اليهودي غيرشوم شوليم. فالأخير كان يرى أن عقيدة الخطيئة المقدسة ولدت من فكرة أن للشر دوراً مهماً في عملية الفداء (الخلاص من الخطيئة). وترتبط هذه العقيدة عند شوليم وشتراوس على السواء بفكرة أن «المنتخبين يختلفون عن الحشد وينبغي أن لا يحكم عليهم بمقاييسه. إنهم يقفون خاضعين لقانون روحي جديد ويمثلونه كما لو كان نوعاً جديداً من الواقع، فهم يتجاوزون الخير والشر». وبالصفة ذاتها فإن «النبي الفيلسوف» عند شتراوس هو صيغة معلمنة من التصور ذاته. فمقاييس القانون التي تطبق على الإنسانية كلها لا يمكن أن تطبق على الكاذب النبيل... إنه يمثل واقعاً يتجاوز القانون، واقعاً وراء الخير والشر... إنه منقذ البشرية، هو المسيح الوحيد الذي يمكننا عقلانياً أن نتوقعه. أكاذيبه تتقدس بموجب القانون، لأنها ضرورية لسعادة الإنسانية، وخطاياه يعفيه منها القانون لأنها «خطايا مقدسة».

أما إذا بحثنا عن وجه غير يهودي لهذه الأفكار الشتراوسية، فإن المؤلفة تجده عند مكيافللي. فهو ـ أي شتراوس ـ «يقبل العقيدة المكيافللية حيث لا تجد الاعتبارات الأخلاقية مكاناً في السياسة والسلطة». وتقول إن هذا هو السبب في «اضطراره إلى تقويض إصرار موسى بن يمون على الكمال الأخلاقي للنبي الفيلسوف. هذا مع أن شتراوس وصف مكيافللي بأنه «معلم الشيطان» (...) والنتيجة التي تستخلصها المؤلفة شادية دروري من هذا تقول: «إن فكرة شتراوس السياسية هي كابوس يتركنا تماماً تحت رحمة القساوسة الخبثاء والطامحين، الذين هم أكثر إثارة للرعب من المحقق الأكبر» (في رواية دوستويفسكي **الأخوة كرمازوف**).

والواقع أن المؤلفة تصدر أحكاماً كان يمكن اعتبارها «تتسم بالقسوة» على النزعة المحافظة الجديدة ـ أو اليمين الجديد في أمريكا ـ لولا أنها أصدرت أحكامها قبل ست سنوات من الحرب الأمريكية على العراق ـ وقبلها الحرب الإسرائيلية على الفلسطينيين بتأييد صريح وشبه مطلق من النخبة الحاكمة الأمريكية... ثم جاء صعود هذه المجموعة الشتراوسية إلى الحكم ـ البيت الأبيض والكونغرس معاً ـ ثم جاءت هذه التطورات الخطيرة في السياسة الأمريكية لتؤكد صدق أحكام المؤلفة كما يعكسه السلوك السياسي الأمريكي في ظل هذه القيادة، ابتداء من الموقف من الأقليات في المجتمع الأمريكي إلى الموقف من قضايا المرأة إلى موالاة الأغنياء وقطاعات الأعمال الكبرى على حساب الفقراء ومحدودي الدخل... حتى طريقة الاستجابة لأحداث ١١ أيلول/سبتمبر وغزو أفغانستان وإخراج قرار الحرب على العراق من الملفات القديمة لهذه المجموعة من المحافظين الجدد وتبريرها على النحو الذي يتولى الإعلام الأمريكي فضحه في الوقت الحاضر... حتى تنفيذ هذه الحرب واحتلال العراق والتهديد

بمزيد من عمليات الغزو والاحتلال قريباً من العراق وبعيداً عنه.

إنها لا تتردد في أن تعتبر أن مقاربات اليمين الجديد الأمريكي «ليست محافظة ولا هي دفاعية، إنما هي متطرفة وعداونية. إنها ليست معنية بمقاومة عدوان، بل هي تتعلق بالتشجيع على النزعة الحربية... إن سياستهم الخارجية قد تميزت بعداء عميق لا يقبل المصالحة تجاه الاتحاد السوفياتي... وبالتالي كانوا مؤيدين بكل عناد للحرب في فييتنام - وهي حرب لم يكن يلهمها مفهوم ضيق أو قصير النظر في الأمن القومي (كما هو حال حرب العراق) فكانت كل شكواهم أن تلك الحرب (فييتنام) لم تشن بالقوة الضرورية التي تضمن النصر». والمحافظون الجدد يلقون اللوم على «المثقفين الليبراليين» بشأن الهزيمة الأمريكية في فييتنام، بل بشأن كل مشكلات ومتاعب المجتمع الأمريكي، وحتى أزمته المستمرة. وعندما يتحدث المحافظون الجدد - خاصة بلسان منظّرهم كريستول الأب - عن المثقفين الليبراليين فإنهم يصفونهم بأنهم «طبقة جديدة» حاكمة تضم صحفيين ومعلمين ومخططي مدن وبيروقراطيين حكوميين وعلماء وأطباء ومحامين... لكنهم لا يقصدون كل هؤلاء، إنهم يقصدون منهم فقط من يعملون في القطاع العام.

ولعل هذا يذكّر بما قاله مفكر ليبرالي أمريكي معاصر هو كريستوفر ليش (توفي في منتصف التسعينيات) من أن هجوم المحافظين الجدد على «الطبقة الجديدة» هو أقرب ما يكون إلى ما اعتاد الماركسيون أن يوجهوه إلى النخبة في المجتمع البورجوازي، باستثناء واحد هو أن هجوم المحافظين الجدد لا يمتد أبداً إلى قطاع الأعمال الكبيرة، لا يمتد إلى الرأسماليين الكبار. أما كل من عداهم فيوصفون في أدبيات اليمين الأمريكي الجديد بأنهم ينفثون السم في المجتمع ويشيعون العدمية بلا حدود (...).

هكذا يؤدي كتاب دروري - بأثر رجعي وبعد صدوره بست سنوات - دوراً مهماً في إيقاظ ما يمكن إيقاظه من وعي الأمريكيين بالأخطاء الداخلية والخارجية لليمين الأمريكي الجديد ممثلاً في مجموعة المحافظين الجدد الموجودة الآن في الحكم، والتي وجدت من قبل في مراتب السلطة المختلفة خاصة منذ بداية الثمانينيات - مع صعود رونالد ريغان إلى السلطة وبينهم من شكلوا نواة التحالف بين «اليمين المسيحي» والجماعات الصهيونية النافذة دفاعاً عن إسرائيل استناداً إلى تأويلاتهم الخاصة للكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد على السواء.

ما الذي يجمع هؤلاء كلهم - السابقون منهم واللاحقون - إلى أفكار شتراوس؟

إيمانه بأن المجتمع السليم هو «مجتمع يتماسك معاً بفعل حقيقة سلطوية واحدة تزود المواطنين بقيم مشتركة وطريقة عامة في العيش... ويتعين على الدولة أن تستخدم قوتها القسرية لتأكيد حقيقة المجتمع وقمع الرؤى المنافسة».

وحسب عرض المؤلفة فإن آراء شتراوس حتى هذا المدى تلامس وجهة النظر المحافظة التقليدية. غير أن

شتراوس يضيف ما يميز موقفه من هذه النظرة. وما يضيفه هو أن التقاليد لا تُستمد ـ كما يذهب المحافظون القدامى ـ من حكمة العصور السابقة، إنما من «الخلق الواعي للأنبياء الفلاسفة»... تصور لا يختلف كثيراً عن تصور نيتشه لـ «السوبرمان». هؤلاء هم سدنة الحكمة في أعمق معانيها، «يعرفون جيداً أي نوع من الدواء تحتاج أزمنتهم وهم مستعدون وقادرون على توفيره في صورة أسطورة مجيدة أو كذبة نبيلة أو زيف ورع». ذلك أن شتراوس يعتقد ـ ووراءه يسير المحافظون الجدد ـ «أن ثمة صراعاً لا يقبل الحل بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع. وكل ما يمكن عمله هو التمويه على هذا الصراع (إخفاؤه) بأكاذيب وخدع، والأعظم بين هذه هو الدين... ثمة ضرورة لوجود آلهة «يثيرون رعباً يهز النفوس لكي تتمدّن الإنسانية ولكي يتم تحويل الوحوش الطبيعية إلى أزواج وآباء ومواطنين.

معنى هذا ـ عند المؤلفة ـ أن شتراوس يتفق مع ماركس القائل بأن الدين أفيون الشعوب... إنما يختلف عنه في اعتقاده ـ أي شتراوس ـ بأن الشعوب بحاجة إلى هذا الأفيون(...) وحتى في السياق الأمريكي فإن هذا الأفيون يقوم بدور الصمغ الذي يحفظ الحكم متحداً وقوياً.

* * *

لقد رأت شادية دروري «نجاح» النزعة المحافظة الجديدة على الصعيد السياسي قبل أن يتحقق فعلاً بصعود جورج بوش الابن ومجموعة اليمين الأمريكي الجديد من الحزب الجمهوري إلى السلطة ـ التنفيذية والتشريعية ـ في انتخابات عام ٢٠٠٠. وقد اتجهت مباشرة في كتابها هذا إلى رصد عدة تفسيرات لهذا النجاح:

أولاً: إن النزعة المحافظة الجديدة تملك قدرة خارقة على التحالف مع كافة نقاد الليبرالية الحاليين.

ثانياً: الضعف السياسي لليبرالية في الواقع الأمريكي الراهن.

ثالثاً: الضعف الطبيعي المزمن للنزعة الليبرالية.

رابعاً: إن النزعة المحافظة الجديدة نجحت في التأكيد على الروح التطهيرية (الطهرانية) السائدة في قطاعات واسعة من المجتمع الأمريكي، والتي تتعارض مع النزعة الليبرالية.

ولعل أوضح ما تقوله المؤلفة في شرح أسباب نجاح النزعة المحافظة الجديدة سياسياً هو تأكيدها أنه يرجع إلى استثمارها للشعور السائد بحالة الأزمة في المجتمع الأمريكي مترافقاً مع قدرتها على استغلال حالة التخبط السياسي التي تجد الليبرالية الأمريكية نفسها غارقة فيها إلى حد أصبح من العسير معه العثور على سياسي أمريكي مستعد للدفاع عنها. «حتى كلينتون كان حريصاً على أن ينكر أنه ليبرالي»(...)

في هذا السياق تقدم المؤلفة فكرة لامعة أخرى حين تميز بين النزعة المحافظة التقليدية والنزعة المحافظة الجديدة بوصف الأخيرة بأنها تتصف بالرجعية والتطرف. في حين أن المحافظين التقليديين هم أولئك الذين

يهتمون بالإبقاء على الوضع الراهن كما هو، ويبدون خشية من التغيير، فإن الجدد «رجعيون بالمعنى التقني للكلمة، فهم غير معنيين بالحفاظ على الحاضر كما هو. هم، على النقيض من هذا، يجدون الحاضر وضعاً لا يطاق، إنهم يريدون إعادة الماضي، إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء. والمحافظ الذي يريد الإبقاء على الحاضر هو في نظرهم عاجز. أما تطرف المحافظين الجدد فيتبدى في اعتمادهم على التوسع الهائل في السلطة وميلهم إلى المغامرة في قراراتهم السياسية والاستراتيجية والاقتصادية.

ولعل أهم ما يمكن أن نختتم به عرضاً لهذا الكتاب هو الإشارة إلى ما تذهب اليه المؤلفة ـ في **الفصل الرابع** الذي يحمل عنواناً له «التطبيقات الأمريكية لفلسفة شتراوس» ـ من أن «النزعة المحافظة تنطوي على شيء معاد لأمريكا»، وأن المحافظين الجدد يعرفون هذا جيداً ولهذا فهم يبذلون جهوداً هائلة في الأبحاث والأدبيات التي ينشرونها ليثبتوا أن الآباء المؤسسين لأمريكا (واضعو الدستور وقادة حرب الاستقلال والثورة الأمريكية) كانوا محافظين، وأن هذا يعني أنه لا تناقض بين أن تكون أمريكياً وأن تكون محافظاً. ليس هذا فقط بل يذهبون إلى أن أمريكا الآن على حافة أزمة ستدمرها وربما تدمر العالم. وأن هذه الكارثة الوشيكة لا يمكن الحيلولة دون وقوعها إلا بأن تتحد أمريكا على قبول وقف مسيرة الليبرالية المميتة.

فإذاً، يمكن أن نعتبر أننا نشهد اليوم فلسفة شتراوس في الممارسة، من خلال سياسات وأفعال فريق إدارة بوش ـ ومنهم من درس على شتراوس مباشرة في جامعة شيكاغو (بول وولفويتس أحد أبرزهم تأثيراً في اتجاه السياسة الخارجية والدفاعية للإدارة من موقعه كنائب لوزير الدفاع داخل الإدارة، ومن موقعه خارج الإدارة كواحد من أكثر «اللاعبين» في اللوبي اليهودي الأمريكي نفوذاً باتجاه إعلاء شأن جذب الحزب الجمهوري نحو إسرائيل وجذب اليهود الأمريكيين نحو الحزب الجمهوري).

فهل صحيح أن سياسة إدارة جورج و. بوش تعكس «فلسفة» بالمعنى الأكاديمي للكلمة، بحيث يمكن نسبتها إلى فيلسوف يهودي أمريكي من أصل ألماني لم يعرف عنه أي انخراط في الحياة السياسية العملية منذ هجرته إلى أمريكا؟

ربما يجد المحافظون الجدد في الإدارة الأمريكية في هذا الربط بين أفكارهم وسياساتهم في الحكم وذلك الفيلسوف نوعاً من النفي غير المباشر للاتهامات التي تساق ضد الرئيس الأمريكي بأنه «خاو فكرياً». لهذا يبدون راضين وفخورين للغاية بنسبتهم إلى شتراوس.

أما إذا كان يمكن لهذا النسب أن يدعم سياساتهم الهجومية الامبريالية في الخارج، النخبوية المعادية «للعامة»، المكرسة لخدمة الرأسمالية الكبيرة والأثرياء، فهذا أمر آخر متروك لما سيحكم به الزمن... ربما القريب، في انتخابات ٢٠٠٤ الأمريكية. وهو ما لم يسمح الوقت الذي صدر فيه هذا الكتاب لمؤلفته بأن تقدم إجابتها عنه (...) □

كتب مختارة (موجز)

أولاً: الكتب العربية

(١)

نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية والأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت. تحرير إبراهيم البيومي غانم. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية؛ الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠٣. ٩٢٦ ص.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه أعمال ندوة نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، وذلك تأكيداً على حقيقة مؤداها أن نظام الوقف الذي عرفه المجتمع العربي الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً كان قاعدة مادية ومعنوية لبناء مؤسسات المجتمع المدني في الوطن العربي ودعمها، وأن هذا النظام كان ابتكاراً مؤسسياً جسد الشعور الفردي بالمسؤولية الجماعية وانتقلت به من المستوى الخاص إلى المستوى العام. وفي هذا السياق يشتمل الكتاب على عشرين فصلاً تتوزع على ستة أقسام رئيسية حملت العناوين التالية بالترتيب: النظرية العامة للوقف: فلسفته وتكوينه التاريخي، والإطار التشريعي لنظام الوقف في البلدان العربية، والتكوين الاقتصادي لنظام الوقف ودوره في بنية الاقتصادات العربية، والبناء المؤسسي ـ الإداري لنظام الوقف: الإشكاليات وتجارب الإصلاح، وتحولات العلاقة بين الوقف ومؤسسات المجتمع المدني: الواقع وآفاق المستقبل، وأخيراً مستقبل الوقف في الوطن العربي.وقد شارك في الندوة عدد كبير من أبرز المفكرين والمثقفين العرب.

(٢)

أحمد إبراهيم محمود (محرر). **الخليج والمسألة العراقية من غزو الكويت إلى**

احتلال العراق، ١٩٩٠ ـ ٢٠٠٣. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠٣. ٢٨١ ص.

يدرس الكتاب موضع العرض تاريخ منطقة الخليج العربي خلال أكثر مراحل تطوره حرجاً، وتلك هي المرحلة التي تقع ما بين غزو العراق للكويت والاحتلال الأمريكي ـ البريطاني للعراق، مع تسليط الضوء على تأثير مثل تلك التطورات على الوضع داخل العراق وعلى موقعه في سياق النسق الخليجي الفرعي وفي علاقاته البينية وفي إطار التوازنات العربية مع دول الجوار وفي إطار الصراع العربي ـ الإسرائيلي. يتضمن الكتاب ثمانية فصول حملت العناوين التالية بالترتيب: المسألة العراقية وتأثيرها على تماسك مجلس التعاون الخليجي، والولايات المتحدة والمسألة العراقية: مأزق الخليج العربي، والسعودية والمسألة العراقية: بين التهديد الخارجي والمأزق الداخلي، ودول مجلس التعاون الخليجي والمسألة العراقية، وانعكاسات المسألة العراقية على السياسات الدفاعية الخليجية، وإيران والعراق: من صراعات الهيمنة إلى تهديدات الاستتباع، وتركيا والعراق: ثوابت ومتغيرات السياسة التركية تجاه العراق، ومستقبل العراق بعد الغزو الأمريكي.

(٣)

أحمد الموصللي. **الغرب والولايات المتحدة والإسلام السياسي: حقيقة الصراع الحضاري والسياسي**. بيروت: مؤسسة عالم ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٣. ٢١٣ ص.

يشارك هذا الكتاب في مناقشة قضية الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام التي طرحها بقوة صموئيل هانتنغتون في عام ١٩٩٣ ثم اكتسبت أبعاداً جديدة بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ من خلال إعادة إنتاج فكرة انقسام العالم إلى فسطاطين أو إلى حيزين أحدهما للخير والآخر للشر. وفي هذا السياق يركز الكتاب موضع العرض على أن الرؤية الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً للعالم الإسلامي تنبع من مصالح الدول الغربية المادية والسياسية من دون إهمال البعد التاريخي والديني المكون لهذه الرؤية وهو البعد الذي يتم استدعاؤه في أثناء الأزمات الحادة. أما الرؤية الإسلامية للغرب فإنها تنبع من مصادر تاريخية دينية تتأثر أحياناً باعتبارات المصلحة. ويناقش الكتاب إحدى عشرة نقطة تحمل العناوين التالية بالترتيب: الولايات المتحدة والإسلام السياسي، أمريكا والشرق الأوسط، الحركات الإسلامية والصراع العربي ـ الإسرائيلي، تصورات الحركات الأصولية الإسلامية للتسوية والتطبيع مع إسرائيل، الصحوة الإسلامية وأبعادها، أيديولوجية نهاية التاريخ، العثمانيون والعلماء والغرب، مشكلات بناء الدولة الحديثة في الوطن العربي والاستعمار، الجذور الفكرية للأزمة الراهنة والغرب، التيارات الإسلامية، الأقليات والغرب. هذا بخلاف خاتمة عن التعاون في المجال الإسلامي.

(٤)

حسن نافعة ونادية مصطفى (محرران). **العدوان على العراق: خريطة أزمة... ومستقبل أمة**. القاهرة:

جامعة القاهرة، قسم العلوم السياسية؛ مركز البحوث والدراسات السياسية، ٢٠٠٣. ٣٦٤ ص.

انبثقت فكرة هذا الكتاب من الرغبة في تحليل الأزمة العراقية من حيث تطورها وأبعادها المتشابكة وآفاقها المستقبلية، وفي هذا الإطار عقدت ندوة مغلقة يوم ١٨ آذار/مارس ٢٠٠٣ حملت عنوان «رؤى ما قبل العدوان» ناقشت دور ثلاثية الثروة والدين والقوة في تكوين الإمبراطورية الأمريكية، ووضع الأمم المتحدة في ضوء الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي، وأثر الأزمة العراقية في عسكرة الإدارة الأمريكية للعلاقات الدولية، والمغزى الحقيقي وراء افتعال قضية أسلحة الدمار الشامل ودور الفريق الدولي للتفتيش، والمواقف العربية والدولية والإقليمية من الأزمة العراقية وتطوراتها. كما ناقشت الندوة الوضع العراقي من الداخل من حيث مواقف قوى المعارضة ودور المجتمع المدني، وحاولت رسم بعض سيناريوهات المستقبل بالنسبة الى الأزمة. وعندما وقع العدوان الأمريكي على العراق استدعى ذلك إضافة هذا البعد الجديد والخطير للأزمة، وتحليل آثاره على ترجيح أي من سيناريوهات التطور السياسي للعراق. وفي هذا الإطار أعدت ست أوراق مكملة حملت العناوين التالية بالترتيب: صنع قرار الحرب ضد العراق: الولايات المتحدة الأمريكية من الداخل، وإدارة العلاقات الأوروبية ـ الأمريكية بعد الحرب، ودور الإعلام في إدارة الحرب على العراق، والمعارك النفسية في حرب العراق، والصراع على مستقبل العراق: الحوزة الدينية والعشائر والمجتمع المدني والسياسي، والمواقف العربية ودلالات الموقف المصري.

(٥)

المنظمة العربية لحقوق الإنسان. **حقوق الإنسان في الوطن العربي**. القاهرة: المنظمة، ٢٠٠٣. ٢٩٤ ص.

صدر العدد الجديد من تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان عن حالة حقوق الإنسان في الوطن العربي .و تضمنت المقدمة تحليلاً لعدد من القضايا الرئيسية في مقدمتها انعكاسات الحرب على الإرهاب في المنطقة، وحقوق الشعب الفلسطيني بين مطرقة الأطماع الإسرائيلية وسندان الحملة الأمريكية لمكافحة الإرهاب، والعدوان على العراق، والبرنامج الأمريكي لنشر الديمقراطية في البلدان العربية: مشروع للإصلاح السياسي أم خطة للهيمنة ؟. ثم انتقل التقرير إلى متابعة أوضاع حقوق الإنسان في مختلف الدول العربية، وتضمن ملحقاً خاصاً بمواقف الحكومات العربية من التصديق على المواثيق الدولية لحقوق الإنسان.

(٦)

روي متحدة. **بردة النبي**. ترجمة رضوان السيد. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣. ٤٤٥ ص.

يستخدم هذا الكتاب منهج التاريخ الثقافي في دراسة الثورة الإيرانية وتطورها والخيارات التي واجهتها، معتبراً أن الحدث (أي الثورة) كان يشترك مع سواه من حيث دافعه الأساسي المتمثل

في الدافع الأخلاقي الذي سبق أن أثاره الفقهاء قبل نحو ألف عام، لكن الحدث كان فيه أيضاً شق جديد لأن الأخلاقيات الدينية التي شهدت تطوراً فكرياً ملحوظاً خلال القرنين الأخيرين لم ينتبه إليها أحد باستثناء قلة من علماء الدين الشيعة. والكتاب موضع العرض يتمحور حول شخصية عالم من علماء الدين يطلق عليه المؤلف اسماً مصطنعاً هو علي هاشمي ويمثل شاهداً على الأحداث التي اجتازتها إيران. وإن كان المؤلف لا يتردد في أن ينهل من معين دراسته للثقافة الشيعية والتاريخ السياسي الإيراني ويوظفها في المحاورات التي ترد بين الفقرات التي تجري على لسان هاشمي.

(٧)

عبد الغفار رشاد محمد. **التطور السياسي والتحول الديمقراطي.** المنصورة، مصر: دار الأصدقاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٣. ٥٦١ ص.

يناقش هذا الكتاب موضوع التحول السياسي وإدارة أزمات التنمية السياسية في الدول النامية، ويستدعي ذلك أن يتطرق المؤلف إلى السلوك والأبنية، والثقافة والقيم، والاقتصاد والتصنيع، والمعلوماتية والحواسب، والدين والهوية، والمصالح العامة والمؤسسية، والنخب الحاكمة والقيادة التاريخية. ويكمن المنطق وراء ذلك في استهداف التنمية من وراء جهود القائمين عليها ومن مختلف الخطط والبرامج وعمليات التحول السياسي، ومن سائر الإجراءات المرتبطة بتعبئة البشر وبناء القدرات. لكن لما كان مفهوم «السياسي» نفسه أصبح مفهوماً ملغزاً من خلال الموضوعات التي يتزايد تأكيد طابعها السياسي كالمرأة والبيئة والدين .. إلخ. لذلك فإن المؤلف يعنى بإثارة سؤال: ما هو السياسي؟ ويسعى إلى إجابته. ينقسم الكتاب موضع العرض إلى أربعة أجزاء رئيسية تحمل العناوين الآتية بالترتيب: الإطار النظري: ما الذي يتم تنميته وتطوره، والتحول الديمقراطي والتنمية السياسية: المحوران البنائي والثقافي، والتطور السياسي وبناء الدولة: نماذج ومتغيرات، وأخيراً إدارة الصراع والأزمات والتحول الديمقراطي.

(٨)

علي ليلة. **الثقافة العربية والشباب.** القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢. ٧٩ ص.

يمثل الكتاب موضع العرض إصداراً جديداً في إطار السلسلة الخاصة بالشباب التي تصدرها الدار المصرية اللبنانية والتي تعكس الاهتمام بالتواصل مع الفئة العمرية الأنشط والأكثر قدرة على التغيير والأكثر تعرضاً لاضطرابات سلوكية، الأمر الذي جعل السلسلة تركز على الجوانب المعرفية ـ الثقافية، والأخلاقية ـ الدينية، والنفسية ـ الاجتماعية، والإعلامية الإرشادية. وفي هذا الإطار يبدأ الفصل الأول بمقدمة حول المفاهيم تشمل بين ما تشمل التعريف بشريحة الشباب وبالثقافة وروافدها المختلفة من عربية وإسلامية. ثم ينتقل الفصل الثاني لتحليل متغيرات بناء ثقافة الشباب من قبيل التحولات الاجتماعية ـ الاقتصادية التي شهدها المجتمع العربي، والهجرة الداخلية والخارجية، والحراك الاجتماعية، والتطور

الإعلامي الضخم ومضمون الرسالة التي يحملها، هذا فضلاً عن أيديولوجيا ثقافة العولمة. ويتعرض الفصل الثالث للأنماط الأساسية لثقافات الشباب والتي تتمحور حول ثقافة العولمة، وثقافة الصورة وثقافة الاستهلاك، وثقافة التكيف الفائض، وثقافة الجنس والمخدرات، والثقافة الدينية. وفي الوقت الذي يضع فيه الكتاب يده على أهم مشكلات الشباب فإنه يجتهد في اقتراح بعض آليات للتعامل معها.

(٩)

الشبكات العربية للمنظمات غير الحكومية. القاهرة: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، ٢٠٠٣. ٢١٣ ص.

يمثل الكتاب موضع العرض الإصدار الثامن في إطار سلسلة الدراسات التي تنشرها الشبكة العربية للمنظمات الأهلية بهدف توثيق حركة هذا القطاع المؤثر من قطاعات المجتمع المدني. ويدور هذا الإصدار الجديد حول تقويم خبرة الشبكات العربية من خلال تخير نماذج أربعة رئيسية هي: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، والشبكة العربية لمحو الأمية وتعليم الكبار، والشبكة العربية للبيئة، وشبكة ٩٥ المغاربية من أجل المساواة. ويفرد الكتاب موضع العرض فصلاً خاصاً لكل حالة من الحالات الأربع السابقة، هذا بخلاف فصل نظري أعدته أماني قنديل جاء تحت عنوان «مدخل لدراسة الشبكات العربية». شارك في إعداد الكتاب عدد من أبرز المتخصصين العرب في موضوع المنظمات غير الحكومية.

(١٠)

محمد ولد بوعليبة. **النقد الغربي والنقد العربي.** القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢. ٢١٥ ص.

يمثل هذا الكتاب دراسة متعمقة في الأدب المقارن: من خلال اختيار ناقدتين بارزتين من المشرق العربي لمعرفة مدى منهاجية دراساتهما النقدية، وطبيعة المؤثرات الغربية المختلفة على هذه المنهاجية. ومن هنا فإن اختيار ناقدتين عربيتين وإخضاع أعمالهما للدراسة والتحليل يمثل أحد أهم إضافات هذا العمل بالنظر لقلة الاهتمام بالإبداع النقدي للمرأة دون سائر إبداعاتها. ويتكون الكتاب موضع العرض من سبعة فصول تحمل العناوين الآتية بالترتيب: نبذة عن النقد الجديد في الغرب، وتطور الأدب والنقد في الوطن العربي منذ بداية القرن العشرين، وخالدة سعيد ناقدة متميزة، والتأثيرات الماركسية على يمنى العيد، والبنيوية التوفيقية لدى خالدة سعيد، ويمنى العيد من الماركسية إلى البنيوية، والمنهج التطبيقي عند يمنى العيد.

ثانياً: الكتب الأجنبية

(١)

Abdelwahab Meddeb. *La Maladie de l'islam.* Paris: Seuil, 2002. 221 p. (La Coleur des idées)

عنوان الكتاب موضع العرض حَمال أوجه لأنه يثير في ذهن مطالعه للوهلة الأولى التساؤل حول ما إذا كان المقصود «بالمرض» الذي يشير إليه، مرضاً في الدين الإسلامي أم مرضاً يستهدفه هو

ذاته ويعاني منه. لكن الانتقال من عنوان الكتاب إلى مضمونه يكشف عن أن المعنى الثاني هو الذي يقصده المؤلف، ذلك أن لكل «كيان مرضه على حد تعبيره». فإذا كان التعصب مرض الكاثوليكية، والنازية مرض الألمانية، فإن الأصولية (بالمعنى السلبي للمصطلح) هي مرض الإسلام. وينساق المؤلف مع التفسير الغربي لأحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، والذي يجعل تلك الأحداث من تدبير الإسلاميين، ويعتبر أن تفجير مركز التجارة العالمي وقصف وزارة الدفاع الأمريكية وإن كان أبرز عمل إرهابي بامتياز إلا أنه لا يعدو كونه حلقة في سلسلة متصلة تكونت في عام ١٩٧٩ مع اندلاع الثورة الإيرانية والاجتياح السوفياتي لأفغانستان، ويعزو الإقدام على مثل تلك الأعمال الإرهابية إلى التفسير الخاطئ للنصوص القرآنية.

(٢)

Balkan Battlegrounds: A Military History of the Yugoslav Conflict. Washington, DC: Central Intelligence Agency, Office of Russian and European Analysis, 2002.

يعد هذا الكتاب مصدراً مهماً للمعلومات عن الحرب في يوغسلافيا على مدار خمس سنوات (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥). ومن ذلك تحليله المتعمق لقدرة دولة صغيرة مثل سلوفينيا على مواجهة الجيش الوطني اليوغوسلافي الضخم من خلال مزجها ما بين الوسائل القتالية التقليدية والحرب الإعلامية. والكتاب مزود بعدد ضخم من المصادر والوثائق تجعله يضيف إلى الدراسات الاستراتيجية ذات الصلة.

(٣)

Charles Enderlin. *Shattered Dreams: The Failure of the Peace Process in the Middle East, 1995-2002*. Translated by Susan Fairfield. New York: Other Press, 2003. xviii, 458 p.

يسلط هذا الكتاب الضوء على تعثر عملية التسوية في الشرق الأوسط على مدار الفترة الممتدة من اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين وحتى تولي آرييل شارون السلطة. ويحاول أن يحلل أسباب هذا التعثر الذي تحطمت على صخرته حكومتا بنيامين نتنياهو وإيهود باراك، مؤكداً أن وعد الأمن الذي حمل شارون إلى السلطة لم يتحقق على يديه على الرغم من القوة المفرطة التي استخدمتها حكومته لقمع الانتفاضة الفلسطينية الثانية.

(٤)

Daniel Gros [et al.]. *Fiscal and Monetary Policy for a Low Speed Europe*. Brussels: Centre for European Policy Studies, 2002. 108 p.

يقدم هذا الكتاب تحليلاً للسياسات الماكروكوزمية الأوروبية فضلاً عن محاولة استشراف المستقبل الاقتصادي للقارة الأوروبية في المدى الزمني المتوسط. ويتبنى المشاركون في الكتاب رؤية متشائمة لاحتمالات نمو الإنتاجية الأوروبية وذلك بفعل عوامل متعددة، يتقدمها نقص المنافسة وتقييد سوق العمل في مجال القطاع الخدمي. لكنهم يثمنون في الوقت نفسه دور الاتحاد الأوروبي في ما يخص السياسة النقدية رغم تأكيدهم على ضعف دور هذه السياسة في توجيه الطلب والتحكم

فيه،وبخاصة مع محدودية تأثيرها في الطلب المجمع ونسبة التضخم.

(٥)

Elie Barnavi. *Lettre ouverte aux juifs de France*. Paris: Stock; Bayard, 2002. 116 p.

مؤلف هذا الكتاب سفير إسرائيل السابق في فرنسا، وقد كتب رسالته تلك الموجهة إلى يهود فرنسا في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢ بعد قليل من انتهاء عمله الدبلوماسي. وفي هذا الكتاب يقدم برنافي خريطة ليهود فرنسا معتمداً في ذلك على دراسة سوسيولوجية قام بها النداء الموحد ليهود فرنسا والصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد، والتي تشير إلى أن ٦٨ بالمئة من يهود فرنسا من السفاراديم أي من ذوي الأصول الشرقية، وأنهم يتمتعون بيسر مالي متوسط حيث لا يزيد عدد من يحصلون على ٦٠٠٠ يورو شهرياً عن ٤ بالمئة من مجمل اليهود، ويتمتعون كذلك بمستوى تعليمي فوق المتوسط، ويتوزع ١٤ بالمئة من أبنائهم على اليمين و ١ بالمئة على اليمين المتطرف. وإذا كان هذا يعني أن النسبة المتبقية تنتمي سياسياً إلى اليسار فإن برنافي يستدرك قائلاً: من الممكن أن تكون يسارياً بامتياز في فرنسا إلا أنك سرعان ما تتحول إلى اليمين عندما يكون الأمر متعلقاً بإسرائيل. إن الكتاب موضع العرض يثير العديد من الأسئلة المهمة، لعل أبرزها ما يختص بتحديد العنصر المسؤول عن تكوين اليهودي أو من هو اليهودي؟ هل هو التابع للديانة اليهودية؟ أم هو المنتمي لجنس يهودي أو لقومية يهودية؟ أم هو من يصفه الغير بأنه كذلك؟ أم أنه يمثل ذلك كله مجتمعاً؟

(٦)

Fabio Petito and Pavlos Hatzopoulos (eds.). *Religion in International Relations*. New York: Palgrave Macmillan, 2003.

يعيد هذا الكتاب الاعتبار للعامل الثقافي عموماً وللمتغير الديني خصوصاً في تفسير التفاعلات السياسية الدولية، بعدما ساد الاعتقاد أن إقحام الدين في السياسة يؤدي إلى استقطاب في منظومة العلاقات الدولية ما تباينت الديانات والمذاهب، ويحول دون التوصل إلى حلول وسط للنزاعات السياسية. وطالما أصبحت تنحية الدين عن السياسة غير ممكنة من وجهة نظر المؤلفين، فإن مد جسور التفاهم والحوار والانفتاح على الآخر يصبح أمراً لا غنى عنه بين الديانات المختلفة في طرح جديد لدعوة الحوار بين الحضارات.

(٧)

Ira Katznelson and Martin Shefter (eds.). *Shaped by War and Trade: International Influences on American Political Development*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2002. xii, 372 p. (Princeton Studies in American Politics)

يتحدى هذا الكتاب بعض المقولات السائدة والتي تكاد تكون قد استقرت ومؤداها أن الأمريكيين عادة ما ينظرون

إلى أنفسهم على أنهم يمثلون استثناء، يعيشون في دولة معزولة عن العالم الخارجي وتستلهم حركتها السياسية من مثاليتها السياسية الذاتية. وفي المقابل فإن الأوروبيين كما يقال يعيشون تحت ضغط التهديد الخارجي ويتأثرون في توجهاتهم السياسية على المستويين النظري والعملي بالاعتماد الاقتصادي المتبادل. يتحدى الكتاب موضع العرض إذاً تلك الأطروحات من خلال عدد من الدراسات الجادة التي تبرز كيف أثرت عوامل الحرب والتجارة على المؤسسات الأمريكية وعلى الثقافة السياسية الأمريكية. ومن قبيل ذلك ما توضحه تيدا سكوكبول من تأثير التورط الأمريكي في العديد من الحروب على الروح القتالية التطوعية.

(٨)

Michael Mussa. *Argentina and the Fund: From Triumph to Tragedy.* Washington, DC: Institute for International Economics, 2002. xi, 90 p. (Policy Analyses in International Economics; 67)

مؤلف هذا الكتاب أحد أبرز الاقتصاديين الذين عملوا في صندوق النقد الدولي، وهو في كتابه يحاول أن يشرح أسباب انهيار النظام البنكي في الأرجنتين ومعاناة الأخيرة من كساد اقتصادي كبير. كذلك فإنه بحكم سابق موقعه في البنك الدولي يسلط الضوء على دور البنك في مقاربة الأزمة الأرجنتينية والدروس المستفادة من تلك الأزمة.

(٩)

Robert Mandel. *Armies without States: The Privatizetion of Security.* Boulder, CO: L. Rienner, 2002. x, 169 p.

يتامل روبرت ماناديل مؤلف الكتاب وأستاذ العلاقات الدولية في قضية على جانب كبير من الأهمية هي تلك المتعلقة بتأثير التطورات المرتبطة بالعولمة على حدود سيادة الدولة، وذلك بالتطبيق على المهام الأمنية التي انتقلت تدريجياً من حوزة الدولة إلى نطاق القطاع الخاص دون أن تستطيع الدولة أن تحول دون مثل هذا التطور لسببين أساسيين، أحدهما أن الاتجاه نحو خصخصة الخدمات يمثل أحد أبعاد عملية الخصخصة وثيقة الصلة بالليبرالية الغربية. والآخر تزايد أعباء الحفاظ على الأمن الداخلي على نحو بات يعجز الدول عن تحمل تلك الأعباء.

(١٠)

Committee on Science and Technology for Countering Terrorism, National Research Council. *Making the Nation Safer: The Role of Science and Technology in Countering Terrorism.* Washington, DC: National Academy Press, 2002. xvi, 415 p.

يهتم الكتاب موضع العرض برسم خريطة الوسائل العلمية والتكنولوجيا التي تشمل بين ما تشمل تكنولوجيا المعلومات والأسلحة الذكية والتي تفيد تعبئتها في تطوير القدرات الاستباقية للأعمال الإرهابية من خلال إجهاضها المبكر، عوضاً عن الاستراتيجية التقليدية التي كانت تعتمد على مطاردة القائمين بتلك الأعمال، وهو ما يتسق بالأساس مع ما تم الترويج له بواسطة الإدارة الأمريكية الحالية من خلال ما يعرف باسم مبدأ بوش □

تقرير عن:

الدورة الثالثة عشرة لمخيم الشباب القومي العربي

الإسماعيلية ـ مصر، ١ ـ ١٥ آب/أغسطس ٢٠٠٣

عبد الإله بلقزيز

رئيس مجلس أمناء ملتقى الشباب العربي.

باستضافة من وزارة الشباب المصرية، انعقدت الدورة الثالثة عشرة لـ **مخيم الشباب القومي العربي** في مدينة الإسماعيلية خلال الفترة ١ ـ ١٥ آب/أغسطس ٢٠٠٣. وكان «معسكر الشباب الدائم بالقرش» في المدينة إياها فضاءً لفعاليات الدورة، حيث وضع مرافقه كافة تحت تصرف إدارة المخيم والشباب المشارك فيه. وقد تمتعت هذه الدورة برعاية أفضل من وزارة الشباب، الأمر الذي مكّنها من العمل ضمن مساحةٍ من الحرية والاستقلالية أوفر.

أديرَ المخيم ـ كالعادة ـ من قِبَل طاقمه ممثّلاً بالأمين العام أ. فيصل درنيقة، وبمدير المخيمات أ. عبد الله عبد الحميد، وبأعضاء الهيئة الإدارية الأساتذة: خلدون أيّوب، أحمد الأغر جديد، تامي رفيدي، الهزرجي بن جلول، محمد حسن عبد الحافظ. وحضره ـ كالعادة ـ بعض أعضاء مجلس الأمناء (المشرف على **ملتقى الشباب العربي** والمخيم) هم الأساتذة: ياسر عبد الجواد، خالد عمر، يونس عموري، ورئيس مجلس الأمناء عبد الإله بلقزيز. كما حضر جلستيْ الافتتاح والاختتام عضو مجلس الأمناء أ. عمر قسم السيد علي.

أولاً: المشاركون

بلغ عدد المشاركين من الشباب ـ ذكوراً وإناثاً ـ ١٢٨ مشاركاً من اثني عشر قطراً عربياً، ومشارك واحد من نيجيريا. وقد اقتربت نسبة الشابات المشاركات في هذه الدورة من نصف العدد الإجمالي للمشاركة. والجدول التالي يقدم بيانات تفصيلية للمشاركين وانتماءاتهم القطرية:

القطر	عدد المشاركين	عدد الشابات	عدد الشبان
مصر	١٨	٦	١٢
سوريا	١٦	٩	٧
فلسطين	١٩	٩	١٠
لبنان	١٣	٦	٧
الأردن	٨	٢	٦
المغرب	١٠	٥	٥
الجزائر	٨	٤	٤
تونس	٦	٣	٣
السودان	١٢	٦	٦
جيبوتي	١	١	
اليمن	١٠	٣	٧
البحرين	٦	١	٥
نيجيريا	١	١	
المجموع	١٢٨	٥٦	٧٢

وممّا يسترعي الانتباه في موضوع المشاركين في هذه الدورة جملة أمورٍ منها:

أ ـ مشاركة الشابات بلغت أعلى نسبة لها في هذه الدورة، وتجاوزت الـ ٤٥ بالمئة.

ب ـ غاب الشباب العراقي عن هذه الدورة بسبب ظروف الاحتلال الأمريكي.

ج ـ شارك وفد شبابي بحريني لأول مرة في المخيم. وهي ـ أيضاً ـ المرة الأولى التي يشارك فيها شباب خليجي في المخيم.

د ـ الوفد الفلسطيني أتى من داخل فلسطين: من أراضي الـ ٤٨ ومن الضفة الغربية بعد غياب اضطراري في الدورة السابقة (في لبنان).

وقد انقسم المشاركون إلى مجموعات، على ما درجت عليه العادة، مؤلفة من شباب من كافة الأقطار. واختيرت أسماء بعض أعلام الفكر والثقافة في مصر أسماء لهذه المجموعات وهي: محمد عبده، علي عبد الرازق، طه حسين، عباس محمود العقاد، أحمد أمين، توفيق الحكيم، هدى شعراوي، ملك حفني ناصف، جمال حمدان، أمل دنقل، عصمت سيف الدولة. كما أشرفت إدارة المخيم على عملية انتخاب رؤساء المجموعات.

ثانياً: حفل الافتتاح

جرى **الافتتاح الداخلي** للدورة مساء يوم الجمعة ١ آب/أغسطس ٢٠٠٣ في «معسكر الشباب الدائم بالقرش» (الإسماعيلية). وألقى فيه رئيس مجلس الأمناء كلمة ترحيب بالشباب المشارك فيها، متحدثاً عن رسالة المخيم وأهدافه؛ ثم تعاقب على الحديث كلٌ من الأمين العام والمدير اللذيْن عَرَّفا بنظام المخيم الداخلي، وشدَّدا على الحاجة إلى احترامه وإلى التعاون الجماعي: إدارةً ومشاركين، لإنجاح دورة المخيم.

أما **الافتتاح الرسمي**، فجرى مساء يوم الأحد ٣ آب/أغسطس ٢٠٠٣ بحضور وزير الشباب المصري د. علي الدين هلال، الذي ألقى كلمة ترحيب في المناسبة. وتعاقب على الحديث في الحفل كلّ من محافظ الإسماعيلية اللواء فؤاد سعد الدين، ومدير الشباب بالإسماعيلية د. علي يحيى، والأمين العام لملتقى الشباب العربي أ. فيصل درنيقة، والمشارك جمال عبده (فلسطين) باسم الشباب المشارك في الدورة. ثم أعقب ذلك حوار مفتوح بين الوزير د. علي الدين هلال وبين المشاركين امتدَّ قرابة الساعة والنصف، ودار حول موضوعات اجتماعية وثقافية وسياسية مختلفة.

ثالثاً: برنامج المخيم

تألف برنامج المخيم ـ كعادته ـ من فقرات أربع: ثقافية، وفنية، ورياضية، ورحلات:

١ ـ البرنامج الثقافي

تركّز في هذه الدورة على **حلقات النقاش** بين الشباب، وخلا من المحاضرات ما عدا في مناسبتين جرى فيهما حوار مفتوح بين رئيس مجلس أمناء ملتقى الشباب العربي وبين المشاركين، تناول **الأول** منهما موضوع العراق بعد احتلاله، فيما تناول **الثاني** الصراع العربي ـ الصهيوني وتطورات القضية الفلسطينية في ضوء مشروع «خارطة الطريق». وقد كرِّستْ ثلاث حصص يومية لحلقات النقاش في الأيام التي لا تكون فيها رحلات خارج المخيم؛ وكانت الحصة الزمنية لكل حلقة ساعتين. أما إدارة حلقات النقاش وتقديم موضوعاتها وتحرير تقاريرها، فقد تُرِكت للشباب رفعاً لأية وصاية وحفزاً على إطلاق مبادراتهم. كما تُرِكَ أمرُ اختيار موضوعات حلقات النقاش لهم في اجتماع للجنة الثقافية للمخيم. أما بَرْمَجَتُها، فعادت إلى أعضاء اللجنة الثقافية من الشباب المشارك بتشاور مع منسق اللجنة، عضو الهيئة الإدارية، محمد حسن عبد الحافظ. وكانت الموضوعات التي نوقشت في حلقات النقاش هي: الشباب العربي، الإعلام، المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، حقوق الإنسان في الوطن العربي، المجتمع المدني، ظاهرة الإرهاب، المقاطعة الاقتصادية، الأحزاب السياسية وأزمة المعارضة، الفن ووظائفه الاجتماعية والإنسانية، أزمة التعليم في الوطن العربي، العولمة والمسألة الثقافية، القضية الفلسطينية (وقد أطَّر هذه الحلقة الأخيرة عضو مجلس الأمناء الأستاذ يونس عمّوري).

ولقد جُرِّب في هذه الدورة إدخال

أسلوب الندوة في البرنامج الثقافي للمخيم، فجرى تكليف ثلاثة من الشباب المشارك (هم: علي نور الدين من لبنان، وكِنْدَة حتّر من الأردن، ومحمود التميمي من مصر) بإعداد أوراق في موضوع: العروبة والإسلام؛ وسلّمت الأوراق إلى معقّبين للتعقيب عليها كتابةً. ومع أن التكليف جرى في وقت ضيّق لا يتعدى الـ ٤٨ ساعة، إلا أن الأوراق كانت رصينة وتدل على مهارات جيدة في التحرير لدى من حرروها. كما أن التعقيبات والمناقشات أتت تغني الموضوع على نحوٍ بَدَت فيه فكرة الندوة مغرية بالعناية في دورات قادمة.

لم يقتصر البرنامج الثقافي على حلقات النقاش، وإن كانت قد أخذت الحصة الأوفر منه، بل دخل الأدب والإبداع الشعري إلى رحاب هذا البرنامج من خلال تنظيم أمسية شعرية في آخر حصة ثقافية في المخيم ألقيت فيها قصائد لشعراء من الشباب المشارك (علي نور الدين من لبنان، عبد الوهاب العزاوي من سوريا، جمال عبده من فلسطين، وأشرف عمايره من الأردن) كشفت عن طاقات في التعبير الشعري والجمالي خلاقة.

٢ ـ البرنامج الفني

كان عبارة عن حفلات فنية للشباب تراوحت بين الحفلات التلقائية وبين الحفلات المنظمة من قبل اللجنة الفنية. أما حصتها اليومية من البرنامج، فكانت ـ في المعظم ـ ساعة ونصف إلى ساعتين، تبدأ في العاشرة ليلاً. وفي الحفلات المنظمة، قُدّمت عروض فنية من تراث مختلف الأقاليم العربية من قبل مجموعات شبابية؛ فكانت حفلة أولى لشباب المغرب العربي، وثانية لشباب المشرق العربي (فلسطين، لبنان، سوريا، الأردن)، وثالثة لشباب إقليم وادي النيل (مصر، السودان)، ورابعة لشباب الجزيرة العربية (اليمن والبحرين).

٣ ـ البرنامج الرياضي

إضافة إلى الفقرة الرياضية الإجبارية صباح كل يوم في الساعة السابعة، وحصتها ١٥ دقيقة، شهد المخيم نشاطاً رياضياً تمثل في منافسات بين فريق المخيم لكرة القدم وفريق معسكر الشباب الدائم بالقرش (الذي كان يضم لاعبين من «الأهلي» و«الزمالك»)، ومنافسات بين شباب المخيم وموظفي المعسكر الشبابي في كرة الطاولة. ولقد أبدى فريق المخيم تألقاً في المنافسات (انتصر في مباراة ضد فريق المعسكر وتعادل معه في مباراتين). كما جرت مباريات داخلية في كرة السلة وكرة القدم وكرة الطاولة.

٤ ـ الرحلات

برنامج الرحلات كان كثيفاً، وغطى قسماً كبيراً من المواقع التي تستحق الزيارة في مصر. وكان على النحو التالي:

ـ زيارة لـ «تبة الشجرة» (الموقع الذي أطلق عليه الإسرائيليون اسم «خط بارليف» والذي حطمه الجيش المصري في حرب أكتوبر ١٩٧٣) وكانت الزيارة صباح يوم ٢٠٠٣/٨/٢.

ـ زيارة لمدينة بور سعيد يوم ٨/٤، وجولة في متحفها الحربي، ثم جولة حرّة في الإسماعيلية مساء اليوم نفسه.

- رحلة إلى رفح عبر بور فؤاد والعريش والوقوف عند خط الحدود المصرية - الفلسطينية يوم ٨/٦.

- زيارة «بانوراما حرب أكتوبر» و«مدينة الإنتاج الإعلامي» في القاهرة يوم ٨/٩.

- جولة في مدينة العاشر من رمضان وزيارة بعض منشآتها الصناعية يوم ٨/١١.

- زيارة المتحف الوطني في القاهرة وجولة حرّة في خان الخليلي يوم ٨/١٣.

- زيارة الأهرام في الجيزة وجولة حرّة في القاهرة يوم ٨/١٤.

* * *

في ختام فعاليات المخيم، عقدت جلسة تقويم للدورة دار فيها حوار بين الشباب وإدارة المخيم وأعضاء من مجلس الأمناء، تداولوا فيه جميعاً موضوع تطوير هذه المؤسسة وتفعيلها، وإيجاد طرق للتواصل الدائم بين المنتسبين إليها. وكان حواراً إيجابياً وهادئاً جرى التعبير فيه عن آراء ومقترحات جديرة بالعناية والمتابعة من طرف مجلس الأمناء وإدارة المخيم.

رابعاً: حفل الاختتام

جرى اختتام فعاليات الدورة رسميّاً مساء يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/٨/١٢، فيما انتقل المشاركون صباح الأربعاء إلى القاهرة لقضاء ثلاثة أيام سياحية في المدينة قبل مغادرة المخيم يوم ٨/١٦/ ٢٠٠٣. ألقى كلمات الاختتام كل من محافظ الإسماعيلية اللواء فؤاد سعد الدين، ومدير الشباب بالإسماعيلية علي يحيى، ومدير قطاع الشباب محمد عبد العال. كما ألقى كلمة الشباب المشارك أحمد عبد الله (من البحرين). واختتم كلمات الحفل رئيس مجلس الأمناء عبد الإله بلقزيز. ثم وزّع مدير المخيم والأمين العام شهادات المشاركة على الشباب؛ وبعدها أعلن عن أسماء الحاصلين على التكريم من شباب المخيم، وسلّم كل من رئيس مجلس الأمناء والأمين العام جوائز التقدير، وهي عبارة عن كتب تبرّع بها مركز دراسات الوحدة العربية للمخيم، وأضيفت إليها كتب (حوالى ١٦٠ كتاباً) تبرّع بها للمخيم عضو هيئته الإدارية الأستاذ محمد حسن عبد الحافظ. وهذه قائمة الجوائز وأسماء من حصلوا عليها من الشباب:

جائزة المشاركة الإيجابية:

وقد حصل عليها كل من:

١ - سحر قوبر (لبنان).
٢ - مروان مرتبط (المغرب).
٣ - وسام شبلي (لبنان).
٤ - كرامة مقني (تونس).
٥ - محمد شاتيلا (لبنان).
٦ - مها أبو بكر (مصر).
٧ - محمد أحمد مطر (فلسطين).
٨ - علي حسين (البحرين).
٩ - أمال ناجي (الجزائر).

جائزة الانضباط المسلكي:

وحصل عليها كل من:

١٠ ـ عامر شهاب (سوريا).

١١ ـ داوود جلود (فلسطين).

١٢ ـ عهد كلاس (سوريا).

١٣ ـ جميل الزين (لبنان).

١٤ ـ ريم شماعو (المغرب).

جائزة الأداء الإعلامي:

الجائزة الفردية وقد حصل عليها تقديراً لأدائه في إذاعة المخيم:

١٥ ـ باسم الرواس (لبنان).

والجائزة الجماعية وقد مُنِحت لمجموعة تحرير مجلة الحائط في المخيم، وتسلمتها نيابة عن المجموعة:

١٦ ـ آمنة حبال (سوريا).

جائزة أفضل خدمة:

وقد منحت لـ:

١٧ ـ مجموعة عصمت سيف الدولة، وتسلمتها رئيسة المجموعة رنين جريس (فلسطين).

جائزة التنويه الثقافي:

وقد منحت لمجموعة من الشباب تقديراً للجهد الذي بذلوه في إنجاح البرنامج الثقافي للمخيم، وهم:

١٨ ـ أشرف عمايره (الأردن).

١٩ ـ سفيان ريموش (الجزائر).

٢٠ ـ علي نور الدين (لبنان).

٢١ ـ رنين جريس (فلسطين).

٢٢ ـ محمود التميمي (مصر).

٢٣ ـ كنان اسمندر (سوريا).

٢٤ ـ هيثم دحّان (اليمن).

٢٥ ـ نجلاء طاهر (مصر).

٢٦ ـ أحمد عبد الله (البحرين).

٢٧ ـ توفيق بو قاعدة (الجزائر).

جائزة المنافسة الثقافية:

وقد فاز بها ـ بعد تحكيم أعضاء مجلس الأمناء لـ ١٥ مساهمة مكتوبة ـ كل من:

٢٨ ـ محمد علالي (الجزائر).

٢٩ ـ زياد حواس (مصر).

جائزة الإبداع الأدبي:

وقد فاز بها عن شعره الزجلي:

٣٠ ـ جمال عبده (فلسطين).

جائزة الاستحقاق الثقافية:

وهي الجائزة الكبرى في المخيم. وقد فاز بها:

٣١ ـ كندة علي حتّر (الأردن).

٣٢ ـ عبد الوهاب قاسم العزاوي (سوريا).

* * *

مثل سائر الدورات السابقة، ما كان في وسع هذه الدورة أن تنعقد وأن تحرز نجاحاً لافتاً لولا المساعدة المادية التي تلقاها المخيم سنوياً من د. خير الدين حسيب، مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية، ومن «الصندوق القومي» العربي. إذ أمكن لهذه المساعدة أن تذلل الكثير من العقبات في وجه انعقاد المخيم، على

الرغم من أن المخيم لا يملك ـ حتى الآن ـ الموارد الكافية لتغطية نفقات سفر الشباب، الأمر الذي يفرض عليهم أن يتحملوا أعباء تكاليف سفرهم على تواضع إمكاناتهم المادية. وما زال المخيم غير قادر على سدّ هذه الثغرة التي تَحُولُ دون توسعة نشاطه، بل التي تهدد استمرار انعقاد دوراته السنوية.

في كل حال، حققت الدورة الثالثة عشرة لمخيم الشباب القومي العربي قفزة حقيقية في مجال الاندماج والانصهار والتواصل بين المشاركين. وقد لوحظ ذلك منذ اليوم الأول للمخيم خلافاً لدورات سابقة كانت تحتاج فيها علاقة الانصهار والتواصل إلى نصف فترة المخيم حتى تتحقق على الوجه المطلوب. وليس من شك في أن علاقة التعاون بين إدارة المخيم (أميناً عامّاً ومديراً وهيئةً إدارية) وبين الشباب المشارك وفّرت أفضل مناخ لتحقيق ذلك □

صدر حديثاً

أوروبا وفلسطين
من الحروب الصليبية حتى اليوم

د. بشارة خضر

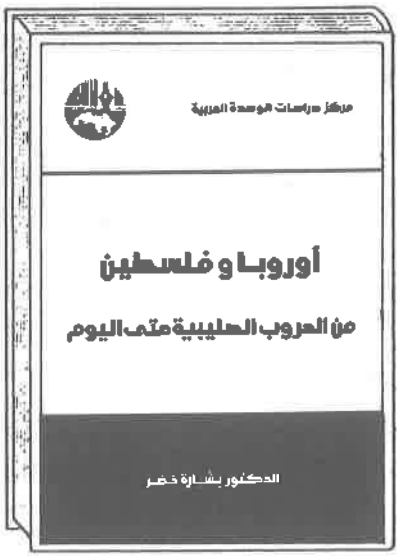

في الكتاب عرض تاريخي موثق لوقائع الحروب الصليبية في محطاتها الثماني بين نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ونهاية القرن الثالث عشر الميلادي، ولوقائع الصدام بين أوروبا الغازية والمشرق العربي منذ لويس التاسع، ونابليون تحديداً، إلى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين وقيام الدولة اليهودية فيها. ويعرض الكتاب أيضاً لسياق العلاقات السياسية بين أوروبا والقضية الفلسطينية للفترة الممتدة من حرب فلسطين في العام ١٩٤٨ إلى نهاية القرن العشرين، مكرساً حيّزاً واسعاً لمؤتمر مدريد و«اتفاق أوسلو» وما أعقبه من اتفاقات فرعية.

٦٩٦ صفحة
الثمن: ١٨ دولاراً
أو ما يعادلها

موجز يوميات الوحدة العربية (*)
تموز (يوليو) ٢٠٠٣

إعداد: قسم التوثيق

في مركز دراسات الوحدة العربية

١ ـ العمل العربي المشترك

ـ تلقى الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى رسالة من المملكة العربية السعودية لإبلاغه باتخاذ الصندوق السعودي للتنمية الإجراءات اللازمة لتحويل قسطي شهري نيسان/أبريل وأيار/مايو عن العام الجاري لدعم موازنة السلطة الوطنية الفلسطينية. وصرح المستشار هشام يوسف الناطق الرسمي باسم الأمين العام بأن هذه الخطوة تأتي في إطار الالتزام المعهود لحكومة خادم الحرمين الشريفين في خدمة قضايا العمل العربي المشترك (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/١٦).

ـ رحبت الأمانة العامة للجامعة العربية بتصريحات وزير الخارجية الكويتي محمد الصباح التي أكد فيها أن العلاقات بين الجامعة وبلاده جيدة ولا يشوبها أي توتر. واعتبر مصدر بالجامعة تصريحات الوزير الكويتي «خطوة طيبة تسهم في خلق أجواء جديدة، بعد ما شهدته العلاقات من توتر» بسبب إساءة تفسير مواقف أمين عام الجامعة عمرو موسى تجاه الأزمة العراقية الأخيرة (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٤/ ٢٠٠٣/٧).

ـ يبحث اجتماع لجنة المتابعة العربية على مستوى الوزراء في آب/أغسطس، مطلباً أمريكياً بإرسال قوات عربية إلى العراق، كما أعلن المكتب الصحافي في الجامعة حسام زكي. وقال زكي إن وزراء خارجية لجنة المتابعة «سيبحثون أيضاً كيفية التعامل مع مجلس الحكم الانتقالي الجديد في العراق» (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٣٠).

٢ ـ العلاقات العربية ـ العربية

التقى الرئيس اليمني علي عبد الله صالح بالأمير

(*) حرصاً من مركز دراسات الوحدة العربية على أن تشكّل هذه اليوميات مشروعاً توثيقياً شاملاً يعتمده الباحث العربي كمرجع أساسي، فقد تمّ توسيع إطارها ليضم ستة أبواب رئيسية هي: **العمل العربي المشترك، العلاقات العربية ـ العربية، الصراع العربي ـ الإسرائيلي، العلاقات العربية ـ الدولية، المجتمع المدني العربي (الاتحادات العربية والمنظمات الشعبية والمؤتمرات القومية)** وشؤون قطرية (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الأقطار العربية وفق تسلسلها الزمني ومكان الحدث).

سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام السعودي في صنعاء. وقالت المصادر اليمنية إن الجانبين بحثا السبل التي تقود إلى تعزيز العلاقات الأخوية المتميزة وميادين التعاون المشترك بين البلدين (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٧/٧). إلى جانب ذلك فقد اختتمت الدورة الخامسة لمجلس التنسيق اليمني ـ السعودي بالتوقيع على سبعة اتفاقيات وبرامج تنفيذية للتعاون بين البلدين في المجالات السياسية والثقافية والفنية والاقتصادية (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٨).

ـ طالبت القمة المصرية ـ السورية التي جمعت الرئيس المصري حسني مبارك والسوري بشار الأسد في القاهرة بإنهاء احتلال العراق والأراضي الفلسطينية، داعية اللجنة الرباعية الدولية إلى العمل من أجل تحريك المسارين السوري واللبناني. وشدد البيان الصادر في ختام أعمال القمة على «ضرورة الانتقال إلى تولي الممثلين المختارين من الشعب العراقي السلطة كاملة في أسرع وقت ممكن». وأشار البيان إلى اتفاق مصري ـ سوري على مواصلة المشاورات والتنسيق في إطار تعزيز العمل العربي المشترك وتبادل الرأي في شأن «الأفكار المطروحة لتطوير العمل في الجامعة العربية ومؤسساتها بما يدعم القدرة العربية على مواجهة التحديات الراهنة» (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٨).

ـ باشرت القوات العربية السورية العاملة في لبنان، عملية إعادة انتشار جديدة لقواتها شملت منطقة خلدة ودوحة عرمون (المطلة على بيروت) ومنطقة بعلبك في البقاع وبعض مناطق الشمال. وأفاد مصدر أمني لبناني أن هذه العملية تأتي استكمالاً للخطة التي وضعت أثناء اجتماع اللجنة العسكرية اللبنانية ـ السورية في نيسان/أبريل الماضي (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٧/١٥). كما شملت الانسحابات السورية الجزئية من لبنان للمرة الأولى بعض المواقع في محيط مدينة بعلبك وشملت بعض المراكز في عكار وتحديداً محيط مطار رينه معوض في القليعات وبعض المواقع داخل المطار فضلاً عن الخط الساحلي واستكمال الانسحابات من مواقع في الكورة والبترون (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/١٧).

ـ التقى الرئيس السوري بشار الأسد في جدة الملك فهد بن عبد العزيز وولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وعرض معهما الوضع العراقي والتطورات في الشرق الأوسط. وأفادت وكالة الأنباء السعودية «واس» أن الجانبين أملا أن «تتحقق طموحات الشعب العراقي الشقيق في الأمن والحياة الكريمة وبما يؤدي إلى إنشاء الحكومة الشرعية التي يرتضيها الشعب العراقي لضمان استقلال العراق ووحدته وسيادته على أرضه» (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٢١).

ـ طالب العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني والرئيس المصري حسني مبارك إسرائيل بـ «وقف العمل في الجدار الأمني وفي بناء المستوطنات والبدء بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية» وأكدا في بيان مشترك في العقبة في ختام محادثات بينهما أهمية مواصلة إسرائيل «الإفراج عن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين». واعتبر الزعيمان اللذان دشنا الجزء البحري من أنبوب غاز يربط بين مصر والأردن في تصريحات وزعتها وكالة الأنباء الأردنية الرسمية (بترا) أن محادثات رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) مع الرئيس الأمريكي جورج بوش «أسفرت عن مؤشرات إيجابية لكن المهم هو أن تتخذ الأطراف المعنية المزيد من الخطوات لتنفيذ خريطة الطريق ضمن الإطار الزمني الذي حددته اللجنة الرباعية التي تضم الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة» (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٢٨).

٣ ـ الصراع العربي ـ الإسرائيلي

ـ حصلت مواجهات عنيفة في وسط مدينة الناصرة، بعدما نفذت جرافات إسرائيلية أمر هدم أصدرته «دائرة أراضي إسرائيل» لأسس مسجد

شهاب الدين المحاذي لكنيسة البشارة، بحجة البناء غير المرخص. ونفذ أمر الهدم بعدما أصدرت المحكمة المركزية في مدينة الناصرة، حكماً بهدم أسس المسجد وإقامة ساحة جديدة في المكان (**النهار**، بيروت، ٢/٧/٢٠٠٣).

ـ التقى رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) للمرة الثالثة منذ توليه منصبه قبل شهرين رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون في القدس وأكد له أن الصراع مع إسرائيل هو سياسي وأنه مصمم على إنهائه بالوسائل السياسية وأن لا عداوة بين الفلسطينيين وإسرائيل، بينما لاحظ شارون أن الفرص المتاحة للسلام هي أكبر الآن مما كانت في الماضي (**النهار**، بيروت، ٢/٧/٢٠٠٣).

ـ نقل الجيش الإسرائيلي المسؤولية الأمنية في مدن بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا والمخيمات والقرى المحيطة بها، إلى الأجهزة الأمنية الفلسطينية وذلك لأول مرة منذ اجتياح هذه المدن في إطار حملة ما يسمى بـ «السور الواقي» في نيسان/أبريل ٢٠٠٢ التي أعادت إسرائيل خلالها احتلال جميع مناطق السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية باستثناء مدينة أريحا. لكن قوات الاحتلال ستبقى في منطقة قبر راحيل في شمال المدينة وحولها وستفرض قيوداً على الدخول إليها والخروج منها (**الشرق الأوسط**، لندن، ٣/٧/٢٠٠٣).

ـ أطلق فلسطينيون قذائف هاون على مستوطنة «كفار داروم» وحاجز «كيسوفيم» العسكري القريب منها، ما أسفر عن إصابة أربعة مستوطنين بجروح مختلفة. وأعلنت «كتائب شهداء الأقصى» مسؤوليتها عن القصف، وجاء هذا القصف بعد أن أقدمت قوات الاحتلال على اغتيال أحد قادة «شهداء الأقصى» وإصابة آخر بجروح خطيرة (**الحياة**، بيروت، ٤/٧/٢٠٠٣).

ـ هرع الأمريكيون للحيلولة دون انهيار الهدنة الهشة المعلنة بين إسرائيل والفلسطينيين في أعقاب قيام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بالرد على الانتهاكات اليومية الإسرائيلية وتنفيذ عملية استشهادية داخل الخط الأخضر. واضطر رئيس الحكومة الفلسطينية أمام حملة الانتقادات الشديدة التي واجهته في اللجنة المركزية لحركة فتح إلى تقديم استقالته من عضوية هذه اللجنة والتهديد بالاستقالة من رئاسة الحكومة (**السفير**، بيروت، ٩/٧/٢٠٠٣).

ـ انتهى اللقاء بين رئيسي الوزراء الفلسطيني محمود عباس والإسرائيلي أرييل شارون في مدينة القدس إلى تأجيل جديد لاستحقاقات «خريطة الطريق»، إذ لم يؤد إلى إحراز أي تقدم حقيقي وملموس في القضايا والمطالب التي طرحها الجانب الفلسطيني في ورقة رسمية تضمنت فك الحصار عن رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات وإطلاق الأسرى والانسحاب من المدن وربط الانسحاب بإزالة الأطواق الداخلية، ووقف بناء الجدار العازل وتفكيك البؤر الاستيطانية وتشغيل مطار غزة والشروع في مشروع استخراج الغاز الطبيعي من شواطىء غزة، ومعاودة العمل في مشروع بناء ميناء غزة (**النهار**، بيروت، ٢١/٧/٢٠٠٣).

ـ أعلن الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله عن منح «المفاوضات مع العدو الصهيوني في شأن الأسرى والمعتقلين فرصة أخرى، فإذا لم تنجح فالبديل سيكون أسر المزيد من الإسرائيليين للتفاوض عليهم». وجاء ذلك في احتفال في بلدة جبشيت الجنوبية في الذكرى الرابعة عشرة لاختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد (**الحياة**، بيروت، ٢٨/٧/٢٠٠٣).

٤ ـ العلاقات العربية ـ الدولية

قتل ثلاثة عراقيين وأصيب عشرة جنود أمريكيين في خلال اشتباكات وهجمات شنتها المقاومة على القوات الأمريكية في بغداد والرمادي (**الحياة**، بيروت، ٤/٧/٢٠٠٣).

ـ توعد الرئيس العراقي السابق صدام حسين في رسالة صوتية نسبت إليه وبثتها قناة «الجزيرة» الفضائية القطرية، قوات الاحتلال الأمريكية والبريطانية للعراق بـ «أيام عسيرة» داعياً العراقيين إلى دعم المقاومة وحمايتها وعدم مساعدة «الغزاة الكفرة»، وذلك في تهديد ألقى

بظلاله على الاحتفالات بذكرى يوم الاستقلال في الولايات المتحدة. تزامن ذلك مع استشهاد ١١ مقاوماً عراقياً حاولوا نصب كمين لدورية عسكرية أمريكية قرب بلدة بلد شمالي بغداد، في اشتباك هو الأكبر مع المقاومين العراقيين منذ سقوط نظام صدام حسين. وجاء بعد ساعات فقط من هجوم للمقاومة بمدفعية الهاون على قاعدة أمريكية في المنطقة نفسها أسفر عن جرح ١٨ جندياً أمريكياً وعن مقتل جندي أمريكي وإصابة آخر في بغداد (**السفير**، بيروت، ٥/٧/٢٠٠٣).

- أعلن الرئيس العراقي السابق صدام حسين نفسه زعيماً للمقاومة العراقية ودعا العراقيين في رسالة صوتية جديدة بثتها محطة «ال.بي.سي.» اللبنانية وقناة «الجزيرة» القطرية، إلى «وحدة الصف» من أجل «طرد الغزاة» معتبراً أن حرب العصابات والعمليات السرية هي الوسيلة المثلى لمقاومة الاحتلال إضافة إلى المقاطعة التجارية والعصيان المدني. ترافق ذلك مع سلسلة من هجمات نفذها مقاومون عراقيون أوقعت سبعة جرحى أمريكيين في وقت دعا فيه «مجلس السبعة» للفصائل العراقية الرئيسية قوات الاحتلال إلى الانسحاب من المدن العراقية واقترح تشكيل قوة عسكرية عراقية تقوم بعملية حفظ الأمن فيها تحت إشراف أمريكي (**السفير**، بيروت، ٩/٧/٢٠٠٣).

- أعلن في بغداد تشكيل «مجلس حكم عراقي» من ٢٥ عضواً بقيت صلاحياته غامضة، جاء ثمرة ولادة عاجلة بقابلة أمريكية اكتفت بالمراقبة والتصفيق في محاولة للإيحاء باستقلالية مزعومة للمولود الجديد الذي تريد «تقاسم المصاعب» معه. وتميزت تشكيلة المجلس بحضور قوي لمن باتوا يعرفون بـ «زعامات الخارج» في وقت توزعت فيه مقاعده بشكل يتناسب والتوزع الديمغرافي الطائفي في البلاد. فحصل الشيعة على ١٣ مقعداً في مقابل خمسة مقاعد للسنة وخمسة للأكراد إضافة إلى مقعد واحد لكل من المسيحيين والتركمان. وبرغم تأكيد أعضاء المجلس خلال مؤتمر صحافي مشترك جاء عقب أولى جلساتهم، على أن قضايا الأمن والاقتصاد وصياغة الدستور ستكون في أولوية اهتماماتهم، إلا أنه لم يكن واضحاً ما هي صلاحيات هذا المجلس على وجه التحديد وكيف ستكون عليه علاقته بكل من إدارة الاحتلال والهيئات الأخرى التي من المقرر إنشاؤها. كما أكد مصدر في الأمم المتحدة أن مسؤولية الأمن ستبقى بين يدي بول بريمر الذي سيكون له حق نقض قرارات المجلس كلها (**السفير**، بيروت، ١٤/٧/٢٠٠٣).

- اتهم الرئيس العراقي السابق صدام حسين أعضاء «مجلس الحكم» العراقي الانتقالي بأنهم أتباع لواشنطن وتل ابيب تم تعيينهم في سياق مخطط يهدف إلى تقسيم العراق، وذلك في كلمة مسجلة بثتها محطتا «الجزيرة» و«العربية» حيا فيها المقاومة العراقية وجاءت لمناسبة ذكرى ثورة ٢ تموز/يوليو للعام ١٩٦٨ (**السفير**، بيروت، ١٨/٧/٢٠٠٣).

- نشر بيشمركة أكراد برعاية أمريكية كأول فوج من حرس الحدود العراقي في ثلاثة مواقع على الحدود مع إيران، وجرت مراسم تخريج الدورة الأولى لقوات حرس الحدود الذي يعد أول تشكيل عراقي نظامي لحراسة الحدود العراقية برعاية أمريكية وحضور عدد من أعضاء قيادة حزب الاتحاد الوطني الكردستاني وبتنظيم القيادة العامة لقوات بيشمركة كردستان التابعة للحزب وجرى توزيعهم على ثلاث مناطق حدودية بمحاذاة إيران (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠/٧/٢٠٠٣).

- قتل أربعة عراقيين برصاص جنود أمريكيين في حادثين منفصلين عند نقطتي تفتيش، فيما اضطرت وحدة أمريكية إلى إخلاء مواقعها في الفلوجة، حيث اشتد التوتر عقب مقتل ١٠ عراقيين بينهم ستة من طلاب الشريعة وجرح أكثر من ١٥ في انفجار غامض حصل في أحد مساجد المدينة. وروى شهود أنهم رأوا كتلة نار اخترقت سقف المسجد ودمرت قاعتين فيه. وعزوا ذلك إلى غارة للجيش الأمريكي مؤكدين أنهم سمعوا هدير طائرات تحلق فوق المدينة قبيل الانفجار. ونفى الجيش الأمريكي في بيان

أي تورط له في الحادث (**النهار**، بيروت، ٢٢/ ٢٠٠٣/٧).

ـ أكدت قوات الاحتلال الأمريكية في العراق مقتل ابني الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين، عدي وقصي في هجوم عنيف شنته على منزل شيخ عشيرة في الموصل وشى بهما. وقد تعرفت القيادة العسكرية على جثتي عدي وقصي من صور أشعة لإصابات الأول في محاولة اغتيال عام ١٩٩٦ وسجل أسنان الثاني، كما أكد شهود عيان أن الجثتين الأخريين اللتين أخرجتا من المنزل هما لمصطفى نجل قصي ولحارس عدي يدعى عبد الصمد. من ناحية ثانية رجح جيران صاحب المنزل أن يكون محمد نواف الزيدان هو الذي أبلغ الأمريكيين بوجود نجلي صدام في منزله. وكانت مجموعات من الفرقة ١٠١ المحمولة قد حاصرت جواً المسكن الفاخر لرجل الأعمال الثري محمد نواف الزيدان، الذي يدعي وجود صلة قرابة بينه وبين صدام وتردد أنه كانت لديه علاقات تجارية مع عدي وقصي (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٤/٧/٢٠٠٣). وقد عرضت القوات الأمريكية صوراً لجثتي عدي وقصي كي تقطع الطريق على المشككين في رواية قتلهما وكي تؤثر على معنويات منفذي الهجمات على القوات الأمريكية بوتيرة قد تصل إلى ١٢ هجوماً يومياً. ولكن قبل ساعات من عرض الصور قتل ثلاثة جنود أمريكيين من الفرقة ١٠١ المحمولة جواً في مكمن نصب لقافلة قرب الموصل، وهي الفرقة التي شاركت في قتل عدي وقصي. وتعهد «فدائيو صدام» في شريط فيديو بثته قناة «العربية» الفضائية تصعيد الهجمات على رغم مقتل نجلي صدام (**النهار**، بيروت، ٢٥/٧/٢٠٠٣).

ـ في زيارة له إلى واشنطن هي الأولى من نوعها التقى رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) الرئيس الأمريكي جورج بوش في البيت الأبيض. وقال بوش بعد انتهاء اجتماعه مع عباس إن المرحلة الراهنة مفتوحة على تحقيق التقدم في المنطقة «وشعوب المنطقة تتوقع من قادتها اغتنام فرص السلام والتقدم». وأعلن عن إنشاء فريق عمل فلسطيني ـ أمريكي مشترك للتنمية الاقتصادية لفلسطين، مؤلف من مسؤولين من الطرفين يلتقون دورياً لبحث «الوسائل العملية لخلق الوظائف والنمو والاستثمارات للاقتصاد الفلسطيني». ووصف بوش اجتماعه بمحمود عباس وأعضاء حكومته بأنه كان اجتماعاً جيداً بحث سبل التقدم على خريطة الطريق (**السفير**، بيروت، ٢٦/٧/ ٢٠٠٣).

ـ توافقت الهيئة الرئاسية لمجلس الحكم الانتقالي العراقي في اجتماع حضره الحاكم الأمريكي بول بريمر، على صيغة عمل يتولى بموجبها ممثل حزب الدعوة في المجلس إبراهيم الجعفري رئاسته خلال شهر آب/أغسطس على أن يتناوب على هذا المنصب باقي أعضاء الهيئة التسعة بحسب تسلسل الأحرف الأبجدية لأسمائهم (**السفير**، بيروت، ٣١/٧/٢٠٠٣).

٥ ـ المجتمع المدني العربي

ـ عقد الأمين العام للمؤتمر القومي العربي معن بشور مؤتمراً صحافياً في فندق ميريديان ـ كومودور في بيروت لإعلان نتائج أعمال الدورة الرابعة عشرة للمؤتمر القومي العربي التي انعقدت في صنعاء بين ٢٣ و٢٧ حزيران/يونيو. واوضح بشور أن المؤتمر ليس حزباً أو تنظيماً أو نقابة أو اتحاداً مهنياً، وهو حدد لنفسه منذ تأسيسه مهمة توفير إطار للتحاور والتشاور بين جمع من أهل الفكر والرأي والخبرة، يتدارسون حال الأمة لتحقيق عناصر المشروع النهضوي الستة وهي الوحدة العربية، والديمقراطية، والاستقلال السياسي والاقتصادي، والتنمية المستقلة، والعدالة الاجتماعية، والتجدد الحضاري. وتلا مقرر المؤتمر الدكتور ساسين عساف البيان الختامي فرأى في المشهد العالمي أن الامبراطورية الأمريكية وجدت طريقها بعد انهيار الاتحاد السوفياتي للتفرد بالقرار الدولي، وشكل الوطن العربي والإسلامي المصدر للطاقة أولوية لتنفيذه هذا المشروع. وفي القضية الفلسطينية أكد البيان «أن خريطة الطريق هي محاولة لإجهاض الانتفاضة والمقاومة». وفي الملف العراقي لفت البيان إلى أن بوش «أعلن

انتهاء الحرب على العراق إلا أن ما يشهده هذا البلد من مقاومة متسارعة ومتصاعدة يظهر بوضوح بأن الحرب العراقية على الاحتلال الأجنبي قد بدأت» (**اللواء**، بيروت، ٢/٧/٢٠٠٣).

ـ بدأت في تونس فعاليات الندوة الإقليمية تحت شعار الحماية الاجتماعية والحوار الاجتماعي في دول المغرب العربي ينظمها الاتحاد النقابي لعمال المغرب العربي وتندرج في إطار المنتدى النقابي اليورومتوسطي بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي والاتحاد العام التونسي للشغل. ويشارك في هذه الندوة ممثلو نقابات واتحادات نقابية في الدول المغاربية الخمس (المغرب وتونس والجزائر وليبيا وموريتانيا). بالإضافة إلى مصر والأردن وفلسطين وسوريا (**الشرق الأوسط**، لندن، ١٠/٧/٢٠٠٣).

ـ عقد مجلس أمناء المنظمة العربية لحقوق الإنسان اجتماعاً ناقش فيه مسار حقوق الإنسان على الساحة العربية في ظل المتغيرات الدولية واستمع إلى تقارير ميدانية عن الأوضاع في العراق وفلسطين والسودان. وتوقف المجلس عند تدهور الأوضاع الإنسانية في العراق في ظل الاحتلال بدءاً من فقدان الأمن، وتدهور الأوضاع المعيشية للمواطنين، كما لاحظ ببالغ القلق تزايد إجراءات القمع من جانب سلطات الاحتلال، وتورطها في أعمال قتل خارج القانون. وقرر المجلس إيفاد بعثة لتقصي الحقائق في العراق لدراسة الأوضاع الإنسانية في البلاد. كذلك توقف المجلس عند استمرار تردي الأوضاع الإنسانية في فلسطين ومواصلة قوات الاحتلال انتهاك كافة حقوق الشعب الفلسطيني (**المنظمة العربية لحقوق الإنسان**، القاهرة، ١٠/٧/٢٠٠٣).

٦ ـ شؤون قطرية

الجزائر

ـ قتل ١٧ شخصاً على الأقل في حادث تحطم طائرة نقل عسكرية جزائرية، من طراز «هركوليز» الأمريكية الصنع فوق منطقة سكنية جنوبي العاصمة الجزائر. وقال عناصر الإنقاذ في منطقة الحادث الذي نتج عن «عطل فني» أن خمسة من أفراد طاقم الطائرة قتلوا بالإضافة إلى امرأتين وثلاثة أطفال كانوا في المنزل الذي حطمته الطائرة لدى سقوطها. فيما قتل سبعة أشخاص آخرين من بينهم أطفال كانوا موجودين في الشارع قرب مكان الحادث (**السفير**، بيروت، ١/٧/٢٠٠٣).

ـ أفرجت السلطات الجزائرية عن نائب رئيس «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» علي بلحاج ورفعت الإقامة الجبرية عن رئيس هذا الحزب المحظور عباسي مدني، بعد أن ذكرتهما بأنهما ما يزالان، بعد انقضاء محكوميتهما (١٢ سنة سجناً) ممنوعين من ممارسة الحقوق السياسية والمدنية (**الشرق الأوسط**، لندن، ٣/٧/٢٠٠٣).

الرياض

ـ عين ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز مديراً عاماً لفريق عمل مكلف إعداد استراتيجية وطنية لمكافحة الفقر في السعودية، هو عبد الله بن محمد المؤيد. وكانت السعودية التي تحتل المرتبة الأولى بين الدول المصدرة للنفط في العالم، أعلنت في شباط/فبراير الماضي أنها أعدت خطة زمنية لمكافحة الفقر وأنشأت صندوقاً لمساعدة السعوديين المعوزين (**السفير**، بيروت، ١/٧/٢٠٠٣).

ـ قتل المطلوب الأول في تفجيرات الرياض تركي ناصر مشعل الدندني ومعه كل من راجح بن حسن العجمي (كويتي) وعبد الرحمن جبارة (كويتي من أصل عراقي)، وعماش السبيعي (سعودي) وذلك بعد تبادل لإطلاق النار مع قوات الأمن السعودي في بلدة صوير التابعة لمحافظة سكاكا (شمال غربي المملكة) وأصيب أثناء الاشتباك اثنان من رجال الأمن، الأول ضابط برتبة رائد والآخر جندي (**الحياة**، بيروت، ٤/٧/٢٠٠٣).

ـ بعد أقل من أسبوع من نشر الكونغرس

الأمريكي تقريره عن هجمات ١١ أيلول/سبتمبر والذي اتهم الرياض بأنها لا تبذل جهوداً كافية لقمع الإرهاب، أعلنت السلطات السعودية التي تطارد المتورطين في التفجيرات الدامية التي حصلت في الرياض في أيار/مايو الماضي، أنها قتلت ستة إسلاميين على صلة بتنظيم «القاعدة»، في منطقة القصيم شمال الرياض، خلال عملية دهم لمخبئهم سقط فيها أيضاً رجلا أمن (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٢٩).

دمشق

ـ نشرت صحيفة **تشرين** السورية نص قرار القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم الذي يفصل بين السلطة والحزب ويحدد التداخل بينهما. وتقضي المادة الأولى من القرار بـ «عدم التدخل في عمل المؤسسات والمديريات ودوائر الدولة وأن يكون دور الحزب القائد هو التخطيط والإشراف والتوجيه والمراقبة والمحاسبة». في حين تطالب المادة الثانية منه بـ «اختيار الأكفأ والأفضل بغض النظر عن الانتماء السياسي» (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٦).

الكويت

ـ أسفرت نتائج الانتخابات الكويتية عن مفاجآت غير متوقعة، حيث أطاحت بأسماء برلمانية عديدة وبرزت أسماء جديدة جلها من المستقلين، في حين كان التيار الليبرالي ابرز الخاسرين. وشملت التغييرات ٤٦ بالمئة من مقاعد مجلس الأمة الخمسين. ووفقاً للنتائج فقد فاز الإسلاميون بنحو ثلث المقاعد. كما أحرز مؤيدو الأسرة الحاكمة نجاحاً كبيراً موجهين ضربة لحملة معارضة دعت لإصلاحات سياسية. ولم يحصل الليبراليون سوى على عدد قليل من المقاعد (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٧/٧).

ـ فصلت الكويت للمرة الأولى منذ استقلالها بين منصبي ولاية العهد ورئاسة الحكومة، ما أثار ارتياحاً في أوساط الليبراليين والإسلاميين على السواء. وقد عين صباح الأحمد الجابر الصباح رئيساً لمجلس الوزراء وكلف بترشيح أعضاء الوزارة الجديدة، بينما احتفظ الشيخ سعد العبد الله الصباح بمنصب ولي العهد بعدما ظل يجمع المنصبين تحت عباءته منذ السبعينيات مستمراً بتقليد متعارف عليه منذ الاستقلال العام ١٩٦١ (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/١٤).

نواكشوط

ـ عين الرئيس الموريتاني معاوية ولد الطايع صفير ولد مبارك رئيساً للوزراء محل الشيخ العافية ولد محمد خونا الذي قدم استقالته. ولم يصدر أي تفسير رسمي حول هذا التعديل الوزاري الذي جرى بعد مرور أقل من شهر على محاولة الانقلاب الفاشلة ضد نظام الرئيس ولد الطايع (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٧/٧).

الخرطوم

ـ قتل ١١٥ سودانياً بينهم قائد قوات الدفاع الجوي في ولاية بور سودان، في كارثة تحطم طائرة للخطوط الجوية السودانية في شرقي السودان، هي الأسوأ منذ العام ١٩٤٧، ونجا من الحادث طفل رضيع (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٩).

ـ انتهت الجولة السادسة من المحادثات بين الحكومة السودانية و«الجيش الشعبي لتحرير السودان» والهادفة إلى إنهاء ٢٠ سنة من الحرب الأهلية، دون التوصل إلى اتفاق. واعتبرت الحكومة السودانية أن الاقتراحات التي قدمتها الهيئة الحكومية للتنمية ومكافحة الجفاف والتصحر في شرق أفريقيا والقرن الأفريقي «إيغاد» خلال المفاوضات بين الخرطوم والثوار الجنوبيين «غير متوازنة» وسيثير تطبيقها «مشكلات في المستقبل» (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/١٣).

عمان

ـ كلف الملك عبد الله الثاني بن الحسين رئيس الوزراء علي أبو الراغب تأليف حكومة جديدة بعد تقديمه استقالة حكومته، في خطوة رأت مصادر سياسية أنها تدل على استمرار الثقة بالرجل الذي أدار حكومات عدة منذ منتصف عام ٢٠٠٠،

مركزاً على إنعاش الاقتصاد واستقطاب الاستثمار الأجنبي (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٢١).

بيروت

ـ أدت سلسلة حوادث مفتعلة إلى تعطيل لقاء سياسي ـ عائلي لأعضاء «لقاء قرنة شهوان» المسيحي المعارض حول مأدبة غداء كان قد دعا إليها النائب السابق غبريال المر صاحب محطة «ام تي في» المقفلة بقرار قضائي في منزله في بتغرين (جبل لبنان)، والذي يقع قرب منزل شقيقه نائب رئيس الحكومة السابق النائب ميشال المر الذي هو على خلاف شديد معه. وكانت الطرقات المؤدية إلى منزل صاحب الدعوة قد شهدت حفريات مفاجئة أدت إلى قطع بعضها، بينما شلت الحركة في البعض الآخر بفعل جرافات وحافلات، الأمر الذي حمل عدداً من أعضاء اللقاء بينهم النائب نسيب لحود والنائبان السابقان كميل زيادة ونديم سالم إلى الترجل من سياراتهم لقطع الطريق سيراً على الأقدام إلا أن هؤلاء جوبهوا باعتراض بعض الأشخاص الذين هاجموهم بعبارات نابية، كما جرى إطلاق نار فوق رؤوسهم ترهيباً، فقفلوا عائدين إلى منزل النائب لحود، حيث عقد اجتماع استثنائي لعدد من أعضاء «لقاء قرنة شهوان» (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٧/٢٧). وقد أجرت النيابة العامة التمييزية التحقيقات المفصلة مع عدد من الموقوفين في القضية (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٣٠).

بغداد

ـ أنهى مجلس الحكم العراقي الانتقالي أسبوعين من المناقشات الحامية فشل خلالها في الاتفاق على اختيار رئيس له، وتوافق على أن تكون رئاسته بالتناوب بين تسعة من أعضائه يتوزعون، كما المجلس نفسه، طائفياً وعرقياً، بين خمسة من الشيعة واثنين من السنة واثنين من الأكراد (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٧/٣٠).

صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة

التداولية اليوم
علم جديد في التواصل

آن روبول وجاك موشلار

عرضٌ متكامل لموضوع التداولية ولاهتماماتها وللبحوث فيها، باعتبارها علمَ استعمال اللغة. من ذلك: العلاقة بالذكاء الاصطناعي وبعمل الدماغ البشري؛ ومنه مشاكل تأويل اللغة في سياقات مختلفة، والعلاقة بين اللغة والحقيقة أو بين العقيدة والحقيقة.

إن في هذا الكتاب من وضوح العرض واللغة ما يجعل منه، لدى الباحثين والطلاب، مدخلاً يسيراً لعلم جديد في الاتصال نحتاج جميعاً إلى معرفته.

٢٨٧ صفحة

ببليوغرافيا الوحدة العربية

إعداد: قسم التوثيق
في مركز دراسات الوحدة العربية

أولاً: المصادر العربية

فكر قومي وسياسة

كتب

١ ـ **التعاون العربي الإيراني: المحاور السياسية والاقتصادية والثقافية.** عمّان: منتدى الفكر العربي، ٢٠٠٣. ٢٧٩ ص. (سلسلة الحوارات العربية العالمية؛ ٣/٢٠٠٣)

٢ ـ حمدان، نهلة ياسين. **الوساطة في الخلافات العربية المعاصرة.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣. ٣٤٢ ص. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٤٦)

٣ ـ عسيلة، صبحي. **خريطة الطريق: احتمالات إقامة الدولة الفلسطينية.** القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٣. ٤٣ ص. (كراسات استراتيجية؛ ١٢٩)

٤ ـ غليون، برهان. **الاختيار الديموقراطي في سورية.** دمشق: بترا للنشر، ٢٠٠٣. ١٩١ ص.

٥ ـ **فلسطينيو لبنان في السياسة والقوانين اللبنانية: دراسة.** بيروت: مركز أجيال، مكتب الإحصاء والتوثيق، ٢٠٠٣. ١٦٣ ص.

٦ ـ المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية. **التقرير الاستراتيجي اليمني ٢٠٠٢.** صنعاء: المركز، ٢٠٠٣. ٢٦٣ ص.

٧ ـ الهيتي، هادي نعمان. **إشكالية المستقبل في الوعي العربي.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣. ٢٥٧ ص.

انظر أيضاً: ٧٧

دوريات

٨ ـ أحمد، أحمد يوسف. «بعد احتلال العراق.. مستقبل النظام العربي.» **الكتب: وجهات نظر:** السنة ٥، العدد ٥٤، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٢٦-٣٢.

٩ ـ الأزعر، محمد خالد. «احتلال العراق ـ التسوية الفلسطينية وخريطة الطريق: المسار والمصير.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٤٥-٦٥.

١٠ ـ اسماعيل، عبد الرؤوف. «فلسطين والعراق في قمم الدوحة وشرم الشيخ وكوالالمبور.» **مجلة دراسات شرق أوسطية:** السنة ٧، العدد ٢٣، ربيع ٢٠٠٣. ص ٧١-٧٥.

١١ ـ الأشعل، عبد الله. «تحديات السلام بعد قمتي شرم الشيخ والعقبة.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١١٤-١١٧.

١٢ ـ البطل، جورج. «عن مصائر العروبة وآفاق الديمقراطية بعد الاحتلال الأميركي للعراق.»

الطريق: السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو - حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ١١-١٦.

١٣ - «البعد الرابع للمقاومة.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٦-١٠.

١٤ - «بيان إلى الأمة صادر عن: المؤتمر القومي العربي الرابع عشر، صنعاء، ٢٣-٢٦ حزيران/يونيو ٢٠٠٣.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ١٦٧-١٨٩.

١٥ - الجمال، أحمد مختار. «الدبلوماسية العربية في عالم متغير.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٨٠-١٩١.

١٦ - حسين، معاذ. «العرب وتحديات ما بعد احتلال العراق.» **الطريق:** السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو - حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ٢٣-٣٤.

١٧ - الخطيب، منير. «الماركسية التاريخانية في فكر العروي.» **الطريق:** السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو - حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ١٤٣-١٥٠.

١٨ - رفعت، سعيد. «نصر عسكري.. وتعثر سياسي.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٨-١٤.

١٩ - «رؤية سياسية واستراتيجية للعملية الانتقالية في العراق.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ١٣٠-١٤٠.

٢٠ - زرير، محمد مصطفى. «القوى السياسية العراقية ودورها في تحديد مستقبل العراق.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٦٦-٧٦.

٢١ - سالمان، عبد المالك. «كيف يمكن إعادة بناء «القوة الحضارية» العربية.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١١٨-١٢١.

٢٢ - سليمان، سماء. «التهديدات الأمريكية لسوريا ولبنان.. لماذا؟» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٤٨-١٥٦.

٢٣ - الشلبي، جمال. «مرتكزات الديموقراطية في الخطاب الناصري.» **مجلة العلوم الاجتماعية:** السنة ٣١، العدد ٢، ٢٠٠٣. ص ٢٩١-٣٢٢.

٢٤ - طحان، محمد جمال. «الكواكبي بين العروبة والإسلام.» **مجلة العلوم الاجتماعية:** السنة ٣١، العدد ٢، ٢٠٠٣. ص ٤٩٣-٤٩٨.

٢٥ - عبد العال، أحمد. «حرب العراق واحتمالات التحول الديمقراطي في الخليج.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٥٣-٥٩.

٢٦ - عبد الفتاح، بشير. «العلاقات الإيرانية - الأمريكية بعد سبتمبر ٢٠٠١ ما بين التوتر الظاهر والتقارب الخفي.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٩-٥٠.

٢٧ - عبد الفتاح، محمد. «ندوة العدد: الحرب الأمريكية على العراق.» **مجلة دراسات شرق أوسطية:** السنة ٧، العدد ٢٣، ربيع ٢٠٠٣. ص ٩١-٩٨.

٢٨ - عبدان، محمد. «تداعيات الهجمة الأمريكية البريطانية على العراق.» **مجلة دراسات شرق أوسطية:** السنة ٧، العدد ٢٣، ربيع ٢٠٠٣. ص ٩٩-١١٨.

٢٩ - «العراق من الاحتلال إلى المقاومة (ملف): بعد حرب العراق (حلقة نقاشية).» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ١١٣-١٢٩.

٣٠ - «العراق من الاحتلال إلى المقاومة (ملف): وثيقة: بيان من السناتور الأمريكي روبرت سي. بيرد أمام مجلس الشيوخ في يوم الثلاثاء ٢٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٣.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ١٠٦-١١٢.

٣١ - علوي، مصطفى. «الغزو الأمريكي للعراق بين القوة الساحقة والرؤية الفاسدة.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٥-٢٤.

٣٢ - العيسوي، أشرف سعد. «حرب الخليج الثالثة ومستقبل توازن القوى في المنطقة.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٧٧-٨٤.

٣٣ - غانم، أشرف. «الانتخابات الإسرائيلية وانعكاساتها السياسية على المنطقة.» **مجلة دراسات شرق أوسطية:** السنة ٧، العدد ٢٣، ربيع ٢٠٠٣. ص ٦٣-٦٩.

٣٤ - الغتم، محمد بن جاسم. «مرحلة جديدة من التعامل الدولي مع العالم العربي والإسلامي.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١١٠-١١٣.

٣٥ - فارس، عبيدة. «خريطة الطريق والحكومة الفلسطينية الجديدة.» **مجلة دراسات شرق أوسطية:** السنة ٧، العدد ٢٣، ربيع ٢٠٠٣. ص ٤٩-٦١.

٣٦ - فاروق، سمير. «دول الخليج وعراق ما بعد الحرب: تباعد أم تقارب؟» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٦٠-٦٥.

٣٧ - قلاوون، ناصر منيف. «النظام العربي... إلى

أين؟» **شؤون عربية**: العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣، ص ٦٦-٧٤.

٣٨ ـ كيالي، ماجد. «التحول في الاستراتيجية السياسية الأمريكية: من احتلال العراق إلى دعوات التغيير في المنطقة.» **شؤون عربية**: العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٣٥-٤٤.

٣٩ ـ كيله، سلامة. «عسكرة العالم أو: الرؤية الأميركية لصياغة العالم.» **الطريق**: السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ٣٥-٤٨.

٤٠ ـ محمود، سامي. «أبعاد وتحديات القضايا العربية المعاصرة.» **شؤون خليجية**: السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٢٢-١٢٨.

٤١ ـ مروة، كريم. «أي مستقبل ينتظر العراقيين بعد سقوط حكم الطغيان والاحتلال الأميركي ـ البريطاني للعراق؟» **الطريق**: السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ١٧-٢٢.

٤٢ ـ مصلح، ماهر. «الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق.» **مجلة دراسات شرق أوسطية**: السنة ٧، العدد ٢٣، ربيع ٢٠٠٣. ص ٧٧-٨١.

٤٣ ـ النعيمي، عبد الجبار. «تركيا وإيران.. صراع أم تعاون: رؤية تحليلية مستقبلية.» **مجلة دراسات شرق أوسطية**: السنة ٧، العدد ٢٣، ربيع ٢٠٠٣. ص ١٥-٣٦.

٤٤ ـ الهزاط، محمد. «الأهداف الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية في عالم ما بعد الحرب الباردة.» **شؤون عربية**: العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٥٦-١٧٩.

٤٥ ـ هيكل، فتوح. «مستقبل عملية التسوية في الشرق الأوسط على ضوء نتائج الحرب ضد العراق.» **شؤون خليجية**: السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٨٥-٩٥.

٤٦ ـ هيكل، محمد حسنين. «صناعة القرار الأمريكي الآن.» **الكتب: وجهات نظر**: السنة ٥، العدد ٥٤، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٤-١٦.

انظر أيضاً: ٦٢، ٦٧، ٧١، ٨٦، ٩١، ٩٩

مراجعة كتب

٤٧ ـ الأنصاري، محمد جابر. «مساءلة الهزيمة: جديد العقل العربي بين صدمة ١٩٦٧ ومنعطف الألفية، ثقافة المراجعة بوجه التراجع.» **شؤون عربية**: العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٣٣-٢٣٦. (تركي علي الربيعو)

٤٨ ـ ثابت، أحمد [وآخرون]. «العولمة وتداعياتها على الوطن العربي.» **حصاد الفكر**: العدد ١٣٥، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٤٩-٥٩. (محمد ربيع زيان)

٤٩ ـ الشويري، يوسف. «القومية العربية: الأمة والدولة في الوطن العربي، نظرة تاريخية.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/ أغسطس ٢٠٠٣. ص ١٤١-١٤٥. (سفيد الزيدي)

٥٠ ـ يحيى، كارم. «رهان المليون السابع: اليهود والهجرة الصهيونية حتى ٢٠٢٠.» **شؤون عربية**: العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٣٧-٢٤٣. (أحمد ثابت)

٥١ ـ يسين، السيد. «الزمن العربي والمستقبل العالمي.» **شؤون عربية**: العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٥٥-٢٥٩. (عصام تمام عثمان)

٥٢ ـ Feldman, Noah. «After Jihad: America and the Struggle for Islamic Democracy.»

الكتب: وجهات نظر: السنة ٥، العدد ٥٤، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٤٤-٤٧. (عبد العليم الأبيض)

اقتصاد

كتب

٥٣ ـ الجعفري، محمود وناصر العارضة. **آفاق التبادل التجاري بين المناطق الفلسطينية ودول مجلس التعاون الخليجي**. القدس: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، ٢٠٠٢. ٩٨ ص.

٥٤ ـ **صندوق النقد العربي: التقرير السنوي ٢٠٠٢**. أبو ظبي: الصندوق، ٢٠٠٣. ٨٠ ص.

٥٥ ـ عبد الرازق، عمر. **تقييم الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية الفلسطينية الدولية**. القدس: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، ٢٠٠٢. ١٦١ ص.

٥٦ ـ مكحول، باسم ونصر عطياني. **دور قطاع الإنشاءات والإسكان في التنمية الاقتصادية الفلسطينية**. القدس: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، ٢٠٠٢. ١١٠ ص.

٥٧ ـ نصر، محمد. **دور القطاع الصناعي في التنمية الاقتصادية الفلسطينية**. القدس: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، ٢٠٠٢. ١٠٩ص.

انظر أيضاً: ١

دوريات

٥٨ ـ أيوب، مدحت. «نحو منظور جديد لعلاقات الاتحاد الأوروبي بمجلس التعاون لدول الخليج العربية.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٦-٢٨.

٥٩ ـ الحجي، أنس. «عودة نفط العراق.. في ميزان الأسعار.» **القافلة:** السنة ٥٢، العدد ٣، تموز/يوليو ـ آب/اغسطس ٢٠٠٣. ص ١٠-١٧.

٦٠ ـ الحفني، حسن محمد. «النفط.. ودور محوري فيما بعد احتلال العراق.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٩٦-١٠٤.

٦١ ـ حمدان، كمال. «الهدف: سيطرة أميركا على النفط، الحجّة: «تدمير أسلحة الدمار الشامل»!!» **الطريق:** السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ٤-١٠.

٦٢ ـ الحمش، منير. «الاقتصاد السياسي للعولمة والحرب.» **الشؤون العامة:** العدد ٢٤، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٦٤-٧٩.

٦٣ ـ سيحة، ريمون قلتة. «مشروع منطقة التجارة الحرة الأمريكية ـ الشرق أوسطية: الفرص والمخاطر.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٤٠-١٤٤.

٦٤ ـ سيد علي، سماح. «قرار مجلس الأمن الخاص برفع العقوبات عن العراق: رؤية تقييمية.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٤٥-١٤٧.

٦٥ ـ صبري، عبد الرحمن. «تقرير التنمية العربية.. من بشرية إلى إنسانية: قراءة عربية.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٣٩-١٤٤.

٦٦ ـ عبد الله، حسين. «أمريكا وبترول الشرق الأوسط.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٢٦-١٣٨.

٦٧ ـ عبد الفضيل، محمود. «الصراع على مستقبل العراق: «إعادة إعمار» أم إعادة فك وتركيب؟» **الكتب: وجهات نظر:** السنة ٥، العدد ٥٤، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٣٣-٣٥.

٦٨ ـ العجيلي، محمد صالح. «التركز الاقتصادي في المدن العربية وإشكالية التنمية.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٤٥-١٥٤.

٦٩ ـ «العراق من الاحتلال إلى المقاومة (ملف): منظمة العفو الدولية: العراق نيابة عن من؟ حقوق الإنسان وعملية إعادة بناء الاقتصاد في العراق.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/اغسطس ٢٠٠٣. ص ٧٧-١٠٥.

٧٠ ـ قناوي، عزت ملوك. «تأثير الشراكة الأوروبية على التجارة الخارجية للدول العربية الأعضاء.» **المجلة العلمية لكلية التجارة** (جامعة أسيوط): السنة ١٩، العدد ٣٣، كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢. ص ٣٨-٧٠.

٧١ ـ نبوي، أحمد. «بمناسبة مرور ٢٣ عاماً على إنشائه: مجلس التعاون الخليجي عام ٢٠٠٣.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٣٠-١٣٩.

٧٢ ـ هيرد، جيوفري. «ليس النفط ولكن الدولار في مواجهة اليورو.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١١٤-١٢٤.

مراجعة كتب

٧٣ ـ النقيب، فضل. «اقتصاد إسرائيل على مشارف القرن الحادي والعشرين.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٤٤-٢٥٠. (عماد الدين حلمي عبد الفتاح)

اجتماع

كتب

٧٤ ـ قرم، جورج. **شرق وغرب: الشرخ الأسطوري.** ترجمة ماري طوق. بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣. ٢١٥ ص.

٧٥ ـ المنظمة العربية لحقوق الإنسان. **حقوق الإنسان في الوطن العربي: تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان عن حالة حقوق الإنسان في الوطن العربي.** القاهرة: المنظمة، ٢٠٠٣. ٢٩٤ ص.

٧٦ ـ **المهجرون الفلسطينيون في لبنان: دراسة.** بيروت: مركز أجيال، مكتب الإحصاء والتوثيق، ٢٠٠٣. ٩١ ص.

٧٧ ـ نصار، علي اسماعيل. **المجتمع المدني العربي: العولمة، الدمقرطة، السوق.** بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ٢٠٠٣. ١١٩ ص. (سلسلة دراسات؛ رقم ١٦)

دوريات

٧٨ ـ جعيط، هشام. «الدكتور هشام جعيط:

الهوية تؤكد ذاتها عفوياً.. ولا بد من غرس الحداثة فيها بقيمها العليا.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/اغسطس ٢٠٠٣. ص ١١-٢٧.

٧٩ ـ مكاوي، ماهيتاب. «مؤتمر «الهمشون في المجتمعات العربية»، ٢٠-٢٢/٢/٢٠٠٣.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٢٤-٢٣٢.

انظر ايضاً: ٦٩، ٨٥

مراجعة كتب

٨٠ ـ شعبان، بثينة. «المرأة العربية في القرن العشرين.» **الرافد:** العدد ٧١، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٩٨-١٠٠. (جميل إبراهيم داري)

تربية وتعليم

دوريات

٨١ ـ بشور، منير. «ماذا يحدث في المدرسة العربية؟!» **القافلة:** السنة ٥٦٢، العدد ٣، تموز/يوليو ـ آب/ أغسطس ٢٠٠٣. ص ٣٢-٣٣.

٨٢ ـ محسن، مصطفى. «التربية ومهام الانتقال الديمقراطي في الوطن العربي: مصاعب الحاضر ومطالب المستقبل.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٢٨-٥٢.

مراجعة كتب

٨٣ ـ عبد الحميد، طلعت. «التعليم وصناعة القهر.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/ اغسطس ٢٠٠٣. ص ١٥٣-١٥٩. (أمجد خليل الجباس)

٨٤ ـ وطفة، علي أسعد. «التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٥١-٢٥٤. (محمد احمد عبد الحافظ)

ثقافة

كتب

انظر أيضاً: ١

دوريات

٨٥ ـ أبو حلاوة، كريم. «عجز المثقف أم عجز المجتمع العربي؟» **الرافد:** العدد ٧١، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٨-١١.

٨٦ ـ أحمد، حسن الحاج علي. «العراق من الاحتلال إلى المقاومة (ملف): تغيير الثقافة باستخدام السياسة: الولايات المتحدة وتجربة العراق.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٤، آب/اغسطس ٢٠٠٣. ص ٥٣-٧٦.

٨٧ ـ الجباعي، جاد الكريم. «أطياف.. «الأيديولوجية الألمانية» في «الأيديولوجية العربية المعاصرة».» **الطريق:** السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ١٢٩-١٤٢.

٨٨ ـ الربيعو، تركي علي. «المثقف العربي وهاجس الأسئلة الزائفة.» **الرافد:** العدد ٧١، تموز/يوليو ٢٠٠٣. ص ٤-٧.

٨٩ ـ ضاهر، مسعود. «العروي مفكر عميق الانتماء إلى عالم الحداثة.» **الطريق:** السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ١١٣-١٢٨.

٩٠ ـ العاني، كريم. «غزو التراث لتدمير الذاكرة العراقية.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٨٦-٩٥.

٩١ ـ عبد اللطيف، كمال. «قراءة في المشروع الفكري لعبد الله العروي.» **الطريق:** السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ٨٤-١٠٢.

٩٢ ـ العجمي، أبو اليزيد أبو زيد. «هويتنا الثقافية في عصر العولمة.» **مجلة العلوم الاجتماعية:** السنة ٣١، العدد ٢، ٢٠٠٣. ص ٤٢٣-٤٥٤.

علوم وتقانة

دوريات

٩٣ ـ بركات، محمود. «إتاحة الإمكانات العلمية النووية والإشعاعية في الدول العربية للعمل العربي المشترك.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٩٢-٢٠٥.

إعلام واتصال

دوريات

٩٤ ـ رجب، حسن. «دور الفضائيات العربية في

مواجهة الغزو الإعلامي الأمريكي.» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٧٥-٨٥.

٩٥ ـ عبد الغني، محمد شحات. «الصحافة الخليجية واليوم العالمي لحرية الصحافة.» **شؤون خليجية:** السنة ٥، العدد ٣٤، صيف ٢٠٠٣. ص ١٠٦-١٠٩.

تاريخ وجغرافيا

كتب

٩٦ ـ تومبسون، توماس ل. وسلمى الخضراء الجيوسي (محرّران). **القدس: أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ.** ترجمة فراس السواح. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣. ٣٨١ ص.

٩٧ ـ كورانسي، لويس دو. **الوهابيون: تاريخ ما أهمله التاريخ.** ترجمة مجموعة من الباحثين. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٣. ٢٠٦ ص.

٩٨ ـ معروف، محمد. **أيام عشتها، ١٩٤٩-١٩٦٩: الإنقلابات العسكرية وأسرارها في سورية.** بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٣. ٣٤ ص.

دوريات

٩٩ ـ الجادرجي، رفعة. «كامل الجادرجي وحركته من أجل عراق ديمقراطي.» **الطريق:** السنة ٦٢، العدد ٣، أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ٥٤-٨٠.

١٠٠ ـ الخفاف، عبد علي. «الجغرافيا العربية.. جهود كبيرة دون مدرسة واضحة!» **شؤون عربية:** العدد ١١٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٠٦-٢٢١.

ثانياً: المصادر الأجنبية

National Thought & Politics

Books

1- Aburish, Saïd K. *Le Vrai Saddam Hussein.* Traduit par Béatrice de Boisanger, Hélène Demazure et Muriel Gilbert. [Neuilly, France]: Ed. Saint-Simon, 2003. 593 p.

2- Aruri, Naseer H. *Dishonest Broker: The U.S. Role in Israel and Palestine.* Cambridge, MA: South End Press, 2003. xix, 265 p.

3- Burgat, François. *Face to Face with Political Islam.* London; New York: I. B. Tauris, 2003. xvii, 230 p.

4- Dieckhoff, Alain et Riva Kastoryano (eds.). *Nationalismes en mutation en Méditerranée orientale.* Paris: CNRS Editions, 2002. (Collection Moyen-Orient)

5- Feldman, Noah. *After Jihad: America and the Struggle for Islamic Democracy.* New York: Farrar, Straus and Giroux, 2003. 260 p.

6- Jabar, Faleh A. *The Shi'ite Movement in Iraq.* London: Saqi, 2003. 391 p.

7- Kristol, William et Lawrence F. Kaplan. *Notre route commence à Bagdad: Par les faucons de la Maison-Blanche.* Préface de François Heisbourg; traduit de l'anglais par Hélène Demazure. Paris: Saint-Simon, 2003. 179 p.

8- Kuntz, Florence. *Faut-il détruire Bagdad? Journal d'une guerre annoncée.* Monaco: Ed. du Rocher, 2002. 107 p.

9- Malbrunot, Georges et Christian Chesnot. *L'Irak de Saddam Hussein: Portrait total.* Paris: Editions 1, 2003. 272 p.

10- Middle East Watch. Département de Human Rights Watch. *Génocide en Irak: La Campagne d'Anfal contre les kurdes.* Paris: Karthala, 2003. 405 p.

11- Miglietta, John P. *American Alliance Policy in the Middle East, 1945-1992: Iran, Israel, and Saudi Arabia.* Lanham, MD: Lexington Books, 2002. x, 360 p.

12- Pinta, Pierre. *L'Iraq.* Paris: Karthala, 2002. 290 p.

13- Pipes, Daniel. *Militant Islam Reaches America.* London: W. W. Norton, 2002. xix, 309 p.

See also: 85

Periodicals

14- Aburish, Saïd K. «Une guere inutile?»

Politique internationale: no. 99, printemps 2003. pp. 83-96.

15- Bazzaz, Sahar. «Heresy and Politics in Nineteenth-Century Morocco.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Fall-Spring 2002-2003. pp. 67-86.

16- Boot, Max. «The New American Way of War.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 41-58.

17- Bradbury, Mark. «Living with Statelessness: The Somali Road to Development.» *Conflict, Security and Development:* vol. 3, no. 1, April 2003. pp. 7-25.

18- Braunschvig, David, Richard L. Garwin and Jeremy C. Marwell. «Space Diplomacy.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 156-164.

19- Catusse, Myriam et Frédéric Vairel. ««Ni tout à fait le même ni tout à fait un autre»: Métamorphoses et continuité du régime marocain.» *Maghreb-Machrek:* no. 175, printemps 2003. pp. 73-91.

20- Debat, Alexis. «Vol au-dessus d'un nid de faucons.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 19-52.

21- Encel, Frédéric et Olivier Guez. «Le Couple Washington-Moscou et la crise irakienne.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 171-183.

22- Garden, Tomothy. «Iraq: The Military Campaign.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 701-718.

23- Heisbourg, François. «Les Risques de la toute-puissance.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 53-68.

24- Kramer, Steven Philip. «Blair's Britain after Iraq.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 90-104.

25- Lawson, Chappell. «How Best to Build Democracy: Laying a Foundation for the New Iraq.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 206-209.

26- Moravcsik, Andrew. «Striking a New Transatlantic Bargain.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 74-89.

27- Nakash, Yitzhak. «The Shi'ites and the Future of Iraq.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 17-26.

28- Nye, Joseph S., Jr. «U.S. Power and Strategy after Iraq.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 60-73.

29- Pollack, Kenneth M. «Securing the Gulf.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 2-16.

30- Ronen, Yehudit. «Sudan and Egypt: The Swing of the Pendulum (1989-2001).» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 81-98.

31- St. John, Ronald Bruce. «Libyan Foreign Policy: New Found Felexibility.» *Orbis:* vol. 47, no. 3, Summer 2003. pp. 463-477.

32- Takeyh, Ray and Nikolas K. Gvosdev. «America's New Mid-East Conundrum.» *Orbis:* vol. 47, no. 3, Summer 2003. pp. 415-431.

33- Vaïsse, Justin. «La Nouvelle politique étrangère américaine.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 69-81.

See also: 68, 87

Book Reviews

34- Aburish, Saïd K. «Le Vrai Saddam Hussein.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 427-428. (Pierre Joannon)

35- Beattie, Kirk J. «Egypt during the Sadat Years.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 182-184. (Dina Shehata)

36- Burgat, François. «Face to Face with Political Islam.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 883-884. (Douglas Little)

37- Dieckhoff, Alain et Riva Kastoryano (eds.). «Nationalismes en mutation en Méditerranée orientale.» *Maghreb-Machrek:* no. 175, printemps 2003. pp. 128-129. (Sophie Pommier)

38- Dumper, Michael. «The Politics of Sacred Space: The Old City of Jerusalem in the Middle East Conflict.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 168-171. (Alejandro Paz)

39- Hassan, Hamdi A. «The Iraqi Invasion of Kuwait: Religion, Identity and Otherness in the Analysis of War and

Conflict.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 125-128. (Charles Anderson)

40- Hassan, Yusuf Fadl and Richard Gray (eds.). «Religion and Conflict in Sudan: Papers from an International Conference at Yale/May 1999.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 213-215. (Gabriel Warburg)

41- Jankowski, James. «Nasser's Egypt, Arab Nationalism, and the United Arab Republic.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 202-205. (Yoram Meital)

42- Kuntz, Florence. «Faut-il détruire Bagdad? Journal d'une guerre annoncée.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 429-432. (Eugène Berg)

43- Luizard, Pierre-Jean. «La Question irakiene.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 429-432. (Eugène Berg)

44- Malbrunot, Georges et Christian Chesnot. «L'Irak de Saddam Hussein: Portrait total.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 427-428. (Pierre Joannon)

45- Middle East Watch. Département de Human Rights Watch. «Génocide en Irak: La Campagne d'Anfal contre les kurdes.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 429-432. (Eugène Berg)

46- Miglietta, John P. «American Alliance Policy in the Middle East, 1945-1992: Iran, Israel, and Saudi Arabia.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 926-928. (David S. Sorenson)

47- Pinta, Pierre. «L'Iraq.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 429-432. (Eugène Berg)

48- Pipes, Daniel. «Militant Islam Reaches America.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 883-884. (Douglas Little)

49- Pollack, Kenneth M. «The Threatening Storm: The Case for Invading Iraq.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 433-434. (Amir Taheri)

50- Ritter, Scott and William Rivers Pitt. «War on Iraq: What Team Bush Doesn't Want You to Know.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. p. 889. (Marc Rattray)

51- Telhami, Shibley and Michael N. Barnett (eds.). «Identity and Foreign Policy in the Middle East.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 926-928. (David S. Sorenson)

See also: 88, 91

Economics

Books

52- Hakimian, Hassan and Jeffrey Nugent (eds.). *Trade Policy and Economic Integration in the Middle East and North Africa: Economic Boundaries in Flux*. New York: Routledge Curzon, 2003.

53- Makdisi, Samir, Zeki Fattah and Imed Limam. *Determinants of Growth in the MENA Countries*. Kuwait: Arab Planning Institute, [n. d.]. 49 p. (API/WPS 0301)

54- El-Tony, M. Nagy. *Quantitative Measures of Financial Sector Reform in the Arab Countries*. Kuwait: Arab Planning Institute, [n. d.]. 36 p. (API/WPS 0303)

Periodicals

55- Alami, Randa. «Official External Debt: Perspectives from the Experiences of Arab Countries.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 99-126.

56- Alter, Karen J. «Resolving or Exacerbating Disputes? The WTO's New Dispute Resolution System.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 783-800.

57- Al-Attiyah, Abdullah Ben Hamad. «OPEP: La Stabilité à tout prix.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 185-192.

58- Azhar, Muhammad. «Economic Cooperation between India and the United Arab Emirates in the 1990s.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 127-143.

59- Bahgat, Gawdat. «The New Geopolitics of Oil: The United States, Saudi Arabia, and Russia.» *Orbis:* vol. 47, no. 3, Summer 2003. pp. 447-461.

60- Gordon, Bernard K. «A High-Risk

Trade Policy.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 105-118.

61- Lowi, Miriam R. «Algérie 1992-2002: Une nouvelle économie politique de la violence.» *Maghreb-Machrek:* no. 175, printemps 2003. pp. 53-72.

62- Maugeri, Leonardo. «Not in Oil's Name.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 165-174.

63- Moore-Harell, Alice. «Decline in European Trade in the Sudan from the Mid-Nineteenth Century.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 65-80.

64- Underhill, Geoffrey R. D. «States, Markets and Governance for Emerging Market Economies: Private Interests, the Public Good and the Legitimacy of the Development Process.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 755-781.

65- With, Timothy E., C. Boyden Gray and John D. Podesta. «The Future of Energy Policy.» *Foreign Affairs:* vol. 82, no. 4, July-August 2003. pp. 132-155.

66- Wolfensohn, James. «Economie mondiale: Les Inconnues de l'après-guerre.» *Politique internationale:* no. 99, printemps 2003. pp. 7-18.

Book Reviews

67- Amuzegar, Jahangir. «Managing the Oil Wealth: OPEC's Windfalls and Pitfalls.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 188-190. (Robert Walters)

Sociology

Periodicals

68- Camau, Michel et Vincent Geisser. «L'Islamisme imaginaire: Identité obsedante et structurante des scènes politiques tunisiennes?» *Maghreb-Machrek:* no. 175, printemps 2003. pp. 35-52.

69- Ferrié, Jean-Noël. «Les Limites d'une démocratisation par la société civile en Afrique du Nord.» *Maghreb-Machrek:* no. 175, printemps 2003. pp. 15-33.

70- Polka, Sagi. «The Centrist Stream in Egypt and its Role in the Public Discourse Surrounding the Shaping of the Country's Cultural Identity.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 39-64.

Book Reviews

71- al-Ali, Nadje. «Secularism, Gender and the State in the Middle East: The Egyptian Women's Movement.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 144-146. (Laura Bier)

72- Hashmi, Sohail H. (ed.). «Islamic Political Ethics: Civil Society, Pluralism, and Conflict.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 881-882. (Vivek Nayar)

73- Johnson, Michael. «All Honourable Men: The Social Origins of War in Lebanon.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 201-202. (Farid El-Khazen)

74- Kanaaneh, Rhoda Ann. «Birthing the Nation: Strategies of Palestinian Women in Israel.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 165-167. (Dana Hearn)

75- Louër, Laurence. «Les Citoyens arabes d'Israel.» *Maghreb-Machrek:* no. 175, printemps 2003. pp. 127-128. (Elisabeth Marteu)

76- Rubenberg, Cheryl A. «Palestinian Women: Patriarchy and Resistance in the West Bank.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 157-160. (Sherry Lowrance)

Education

Book Reviews

77- Coursen-Neff, Zama. «Second Class: Discrimination against Palestinian Arab Children in Israel's Schools.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 121-124. (Ismael Abu Saad)

Literature & Language

Books

78- Cachia, Pierre. *Arabic Literature: An Overview.* New York: RoutledgeCur-

zon, 2002. xiv, 194 p. (Culture and Civilization in the Middle East)

Book Reviews

79- Abdel-Malek and David C. Jacobson (eds.). «Israeli and Palestinian Identities in History and Literature.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Fall-Spring 2002-2003. pp. 117-120. (Ariel Moriah Blumenthal)

80- Allen, Roger. «An Introduction to Arabic Literature.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 129-131. (Haytham Bahoora)

81- Cachia, Pierre. «Arabic Literature: An Overview.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 208-209. (Robert Irwin)

Information & Communication

Periodicals

82- Kabha, Mustafa. «The Palestinian Press and the General Strike, April-October 1936: *Filastin* as a Case Study.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 169-189.

Book Reviews

83- El-Nawawy, Mohammed and Adel Iskander. «Al-Jazeera: How the Free Arab News Network Scooped the World and Changed the Middle East.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 926-928. (David S. Sorenson)

84- Sakr, Naomi. «Satellite Realms: Transnational Television, Globvalization and the Middle East.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 926-928. (David S. Sorenson)

History & Geography

Books

85- Johnson, Douglas H. *The Root Causes of Sudan's Civil Wars.* Bloomington: Indiana University Press; Kampala: Fountain Publishers, 2003. xx, 234 p. (African Issues)

86- Kimmerling, Baruch and Joel S. Migdal. *The Palestinian People: A History.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003. xxix, 568 p.

Periodicals

87- Bick, Etta. «Transnational Actors in a Time of Crisis: The Involvement of American Jews in Israel-United States Relations, 1956-57.» *Middle Eastern Studies:* vol. 39, no. 3, July 2003. pp. 144-168.

See also: 82

Book Reviews

88- Alterman, Jon B. «Egypt and American Foreign Assistance, 1952-1958: Hopes Dashed.» *International Affairs:* vol. 79, no. 4, July 2003. pp. 906-907. (James Jankowski)

89- Dresch, Paul. «A History of Modern Yemen.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 195-198. (John Willis)

90- Farouk-Sluglett, Marion and Peter Sluglett. «Iraq since 1958: From Revolution to Dictatorship.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 132-135. (Bashkin Bashkin)

91- Johnson, Douglas H. «The Root Causes of Sudan's Civil Wars.» *Journal of Refugee Studies:* vol. 16, no. 2, June 2003. pp. 219-221. (Mark Duffield)

92- Rogan, Eugene L. «Frontiers of State in the Late Ottoman Empire: Transjordan, 1850-1921.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring Fall 2002-2003. pp. 161-164. (Shana Minkin)

93- Wall, Irwin. «France, the United States, and the Algerian War.» *Arab Studies Journal:* vols. 10-11, nos. 2-1, Spring-Fall 2002-2003. pp. 199-202. (Julia Voelker)

(١٠٠) حال الطفل في الوطن العربي

إعداد: ربيع كسروان
مركز دراسات الوحدة العربية

- مقدمة
- ترتيب وفيات الأطفال دون سن الخامسة ٢٠٠١
- السكان والوفيات والولادات
- التغذية: حالة الولادات
- التغذية: الرضاعة واستهلاك الملح الميوّد
- الصحة
- التعليم

مقدمة

يقدم الملف الإحصائي في ستة جداول الإحصاءات المتوافرة حول حالة الطفل في الوطن العربي، وعلى وجه الخصوص تلك المتعلقة بالوفيات والولادات والتغذية والصحة والتعليم.

يبين الجدول رقم (١) معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة لكل ألف مولود حي في الأقطار العربية، بالإضافة إلى ترتيب هذه الأقطار مع بقية بلدان العالم بحسب الترتيب التنازلي لقيمة معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة خلال عام ٢٠٠١، حيث إن معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة مؤشر أساسي لرفاه الطفل. ومن هذا الجدول نرى أن هناك ٦٥ طفلاً دون سن الخامسة يموتون لكل ألف ولادة حية في الوطن العربي كمعدل عام. ويزيد هذا المعدل في عدد من الأقطار العربية ليبلغ في الصومال ٢٢٥، وموريتانيا ١٨٣، وجيبوتي ١٤٣، والعراق ١٣٣، والسودان واليمن ١٠٧، وجزر القمر ٧٩، أما في بقية الأقطار فإن المعدل أقل من المعدل العام وبنسب متفاوتة ليصل إلى ٩ في الإمارات العربية المتحدة.

ومن الجدول رقم (٢) نلاحظ بأن مجموع عدد سكان الأقطار العربية خلال عام ٢٠٠١ قد قدر بحوالى ٢٨٨ مليون نسمة. كما يبين لنا هذا الجدول أن معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة لكل ألف مولود حي في الوطن العربي قد بلغ عام ١٩٦٠ حوالى ٢٤٥ وانخفض عام ١٩٩٩ إلى حوالى ٦٥. أما معدل وفيات الأطفال دون سن السنة الواحدة لكل ألف مولود حي فقد بلغ عام ١٩٦٠ حوالى ١٥٨ وانخفض عام ١٩٩٩ إلى حوالى ٤٩. أما العدد السنوي لوفيات الأطفال دون سن الخامسة في الوطن العربي فقد بلغ حوالى ٦٥٥ ألفاً، والعدد السنوي للولادات حوالى ٨٦٨٦ ألفاً خلال عام ٢٠٠١.

ثم يقدم الجدولان رقما (٣) و(٤) ما هو متوافر من بيانات للأقطار العربية حول مؤشرات التغذية المتعلقة بالطفل.

ويبين الجدول رقم (٥) أن النسبة المئوية للأطفال في الوطن العربي في عمر السنة الواحدة المحصنين تحصيناً كاملاً ضد التدرن في عام ٢٠٠١ حوالى ٨٨ بالمئة، وبلغت هذه النسبة ضد الثلاثي ٨٥ بالمئة، وضد شلل الأطفال ٨٥ بالمئة، وضد الحصبة ٨٧ بالمئة.

وأخيراً يبين الجدول رقم (٦) أن معدلات الالتحاق الإجمالية في المدارس الابتدائية للذكور في الوطن العربي خلال الفترة ١٩٩٥ ـ ١٩٩٩ قد بلغت ٩٥ بالمئة، وللإناث ٨٤ بالمئة. أما النسبة المئوية الإجمالية للالتحاق بالمدارس الثانوية في الوطن العربي خلال الفترة ١٩٩٥ ـ ١٩٩٩، فقد بلغت ٦٠ بالمئة للذكور، و٥٥ بالمئة للإناث.

الجدول رقم (١)
ترتيب وفيات الأطفال دون سن الخامسة، ٢٠٠١

القطر	معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة لكل ألف مولود حي	
	القيمة	الترتيب التنازلي بالمقارنة مع دول العالم
الأردن	٣٣	٩٤
الإمارات العربية المتحدة	٩	١٥٢
البحرين	١٦	١٣٨
تونس	٢٧	١٠٨
الجزائر	٤٩	٧٥
جزر القمر	٧٩	٥٧
جيبوتي	١٤٣	٢٨
السعودية	٢٨	١٠٥
السودان	١٠٧	٤٦
سوريا	٢٨	١٠٥
الصومال	٢٢٥	٧
العراق	١٣٣	٣٣
عُمان	١٣	١٤٦
قطر	١٦	١٣٨
الكويت	١٠	١٥١
لبنان	٣٢	٩٥
ليبيا	١٩	١٣٠
مصر	٤١	٨٣
المغرب	٤٤	٧٨
موريتانيا	١٨٣	١٥
اليمن	١٠٧	٤٦
مجموع الوطن العربي	٦٥	

المصدر: منظمة الأمم المتحدة للطفولة [اليونيسيف]، **وضع الأطفال في العالم** ([د. م.]: اليونيسيف، ٢٠٠٣)، ص ٨٣.

الجدول رقم (٢)
السكان والوفيات والولادات

المؤشرات / البلد	مجموع السكان (مليون)	معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة لكل ألف مولود حي		معدل وفيات الرضع (دون السنة) لكل ألف مولود حي		العدد السنوي للولادات (بالألف)	العدد السنوي لوفيات الأطفال دون الخامسة (بالألف)
	٢٠٠١	١٩٦٠	٢٠٠١	١٩٦٠	٢٠٠١	٢٠٠١	٢٠٠١
الأردن	٥,١	١٣٩	٣٣	٩٧	٢٧	١٦٩	٦
الإمارات العربية المتحدة	٢,٧	٢٢٣	٩	١٤٩	٨	٤١	صفر
البحرين	٠,٧	١٦٠	١٦	١١٠	١٣	١١	صفر
تونس	٩,٦	٢٥٤	٢٧	١٧٠	٢١	١٧٦	٥
الجزائر	٣٠,٨	٢٨٠	٤٩	١٦٤	٣٩	٧٥٠	٣٧
جزر القمر	٠,٧	٢٦٥	٧٩	٢٠٠	٥٩	٢٨	٢
جيبوتي	٠,٦	٢٨٩	١٤٣	١٨٦	١٠٠	٢٥	٤
السعودية	٢١,٠	٢٥٠	٢٨	١٧٠	٢٣	٧١٥	٢٠
السودان	٣١,٨	٢٠٨	١٠٧	١٢٣	٦٥	١٠٩٨	١١٧
سوريا	١٦,٦	٢٠١	٢٨	١٣٦	٢٣	٤٩٥	١٤
الصومال	٩,٢	-	٢٢٥	-	١٣٣	٤٨١	١٠٨
العراق	٢٣,٦	١٧١	١٣٣	١١٧	١٠٧	٨٢٣	١٠٩
عُمان	٢,٦	٢٨٠	١٣	١٦٤	١٢	٩٤	١
قطر	٠,٦	١٤٠	١٦	٩٤	١١	١٠	صفر
الكويت	٢,٠	١٢٨	١٠	٨٩	٩	٣٥	صفر
لبنان	٣,٦	٨٥	٣٢	٦٥	٢٨	٦٩	٢
ليبيا	٥,٤	٢٧٠	١٩	١٥٩	١٦	١٤٦	٣
مصر	٦٩,١	٢٨٢	٤١	١٨٩	٣٥	١٦٧٢	٦٩
المغرب	٣٠,٤	٢١١	٤٤	١٣٢	٣٩	٧٧٥	٣٤
موريتانيا	٢,٧	٣١٠	١٨٣	١٨٠	١٢٠	١٢٠	٢٢
اليمن	١٩,١	٣٤٠	١٠٧	٢٢٠	٧٩	٩٥٣	١٠٢
مجموع الوطن العربي	٢٨٧,٨	٢٤٥	٦٥	١٥٨	٤٩	٨٦٨٦	٦٥٥

المصدر: المصدر نفسه، الجدول رقم (١)، ص ٨٤ ـ ٨٧.

الجدول رقم (٣)
التغذية: حالة الولادات

المؤشرات / البلد	الولادات وزن منخفض (نسبة مئوية) ٩٥ ـ ٢٠٠٠(*)	الأطفال دون سن الخامسة الذين يعانون من: نسبة مئوية (١٩٩٥ ـ ٢٠٠١)(*)			
		وزن منخفض		هزال	تقزم
		معتدل وحاد	حاد	معتدل وحاد	معتدل وحاد
الأردن	١٠	٥	١	٢	٨
الإمارات العربية المتحدة	ـ	١٤	ـ	١٥	١٧
البحرين	١٠	٩	ـ	٥	١٠
تونس	٥	٤	١	٢	١٢
الجزائر	٧	٦	١	٣	١٨
جزر القمر	١٨	٢٥	٩	١٢	٤٢
جيبوتي	ـ	١٨	٦	١٣	٢٦
السعودية	٣	١٤	٣	١١	٢٠
السودان	ـ	١٧	٧	ـ	ـ
سوريا	٦	١٣	٤	٩	٢١
الصومال	ـ	٨	٢٦	٧	١٧
العراق	٢٣	١٦	ـ	ـ	٢٢
عُمان	٨	٢٤	٤	١٣	٢٣
قطر	١٠	٦	ـ	٢	٨
الكويت	٧	١٠	٣	١١	٢٤
لبنان	٦	٣	صفر	٣	١٢
ليبيا	٧(**)	٥	١	٣	١٥
مصر	١٠	٤	١	٣	١٩
المغرب	٩(**)	٩(**)	٢(**)	٢(**)	٢٣(**)
موريتانيا	ـ	٣٢	١٠	١٣	٣٥
اليمن	٢٦	٤٦	١٥	١٣	٥٢
مجموع الوطن العربي	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ

ملاحظات عامة:

ـ تعني العلامة (ـ) أن البيانات غير متوافرة.

ـ تعني العلامة (*) أن البيانات تعود إلى آخر سنة تتوافر عنها بيانات خلال الفترة المحددة في العنوان الخاص بها في الجدول.

ـ تعني العلامة (**) أن البيانات المذكورة إلى جانبها ترجع إلى سنوات أو فترات لم تذكر في عناوين الأعمدة وتختلف عن التعريف القياسي أو تشير إلى جزء من البلد المعني.

ـ مجموع الوطن العربي لا يتضمن بالنسبة لبعض المؤشرات وفي عدد من الأعمدة الأقطار التي لا يتوافر عنها بيانات.

المصدر: المصدر نفسه، الجدول رقم (٢)، ص ٨٨ ـ ٩١.

الجدول رقم (٤)
التغذية: الرضاعة واستهلاك الملح الميوّد

المؤشرات / البلد	الرضاعة نسبة مئوية (١٩٩٥ ـ ٢٠٠١)(*)			استهلاك أفراد العائلة للملح الميوّد (نسبة مئوية) ٩٧-٢٠٠٢(*)
	الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية فقط (أقل من ٦ أشهر)	الأطفال الذين يتناولون أغذية مكملة لحليب الأم (من ٦ إلى ٩ أشهر)	الأطفال الذين ما زالوا يرضعون رضاعة طبيعية (من ٢٠ إلى ٢٣ شهراً)	
الأردن	١١	٦٨	١٢	٨٨
الإمارات العربية المتحدة	٣٤(١)	٥٢	٢٩	–
البحرين	٣٤(١)	٦٥	٤١	–
تونس	١٢(**)(١)	–	١٦(**)	٩٧
الجزائر	١٣	٣٨	٢٢	٦٩
جزر القمر	٢١	٣٤	٤٥	٨٣
جيبوتي	–	–	–	–
السعودية	٣١(١)	٦٠	٣٠	–
السودان	١٢(**)	٤٥(**)	٤٤(**)	١
سوريا	–	٥٠(**)	–	٤٠
الصومال	٩	١٣	٨	–
العراق	–	–	٢٥	٤٠
عُمان	٣١(١)	–	–	٦١
قطر	١٢(١)	٤٨	٢١	–
الكويت	١٢(١)	٢٦	٩	–
لبنان	٢٧(١)	٣٥	١١	٨٧
ليبيا	–	–	٢٣	٩٠(**)
مصر	٥٧	٧١	٣٠	٢٨
المغرب	٣١(١)	٣٣	٢٠	–
موريتانيا	٢٨(١)	٧٨	٥٧	٢
اليمن	١٨	٧٩	٤١	٣٩
مجموع الوطن العربي	–	–	–	–

المصدر: المصدر نفسه، الجدول رقم (٢)، ص ٨٨ ـ ٩١.

(١) تشير البيانات إلى الرضاعة الطبيعية الحصرية لمن هم أقل من أربعة أشهر.

الجدول رقم (٥)
الصحة (نسبة مئوية)

المؤشرات / البلد	لقاحات برنامج التحصين الموسع العادي الممول من قبل الحكومة ٢٠٠١	النسبة المئوية للمحصنين في عام ٢٠٠١ الأطفال في عمر سنة واحدة				معدل تفشي فيروس نقص المناعة البشرية بين الراشدين (١٥-٤٩ سنة) ٢٠٠١	استخدام طريقة معالجة الجفاف عبر الفم ٩٤-٢٠٠٠(*)
		الدرن	الثلاثي	الجرعة الثلاثية لشلل الأطفال	الحصبة	التهاب الكبد ب ٣	
الأردن	١٠٠	-	٩٩	٩٧	٩٩	٩٧	< ٠,١	-
الإمارات العربية المتحدة	١٠٠(**)	٩٨	٩٤	٩٤	٩٤	٩٢	-	-
البحرين	١٠٠(**)	-	٩٧	٩٧	٩٨	٩٧	٠,٢٦	-
تونس	١٠٠	٩٧	٩٦	٩٦	٩٢	٩٤	-	-
الجزائر	١٠٠	٩٧	٨٩	٨٩	٨٣	-	٠,١	٦٢
جزر القمر	-	٩٠	٧٠	٧٠	٧٠	-	-	٢٢
جيبوتي	٨٥	٣٨	٤٩	٤٩	-	-	-	
السعودية	١٠٠	٩٤	٩٧	٩٧	٩٤	٩٥	-	-
السودان	٢٥(**)	٥١	٤٦	٤٧	٦٧	-	٢,٦	٢١
سوريا	١٠٠(**)	٩٩	٩٢	٩٢	٩٣	٨٩	-	-
الصومال	صفر(**)	٧٠	٣٣	٣٣	٣٨	-	١,٠	-
العراق	١٠٠	٩٣	٨١	٨٤	٩٠	٧٠	< ٠,١	٣٧
عُمان	١٠٠	٩٨	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٠,١١	٨٨
قطر	١٠٠(**)	٩٩	٩٣	٩٠	٩٢	٩٩	-	-
الكويت	١٠٠(**)	٩٥	٩٨	٩٤	٩٩	-	-	-
لبنان	٤٩	-	٩٣	٩٣	٩٤	٧٠	-	٣٠
ليبيا	٢(**)	٩٩	٩٤	٩٤	٩٣	٩٣	٠,٢٤	-
مصر	١٠٠	٩٨	٩٩	٩٩	٩٧	٩٩	< ٠,١	-
المغرب	١٠٠	٩٣	٩٦	٩٣	٩٦	٨٤	٠,٠٨	-
موريتانيا	١٠٠	٧٠	٦١	٥٨	٥٨	-	-	-
اليمن	٣٨	٧٣	٧٦	٧٦	٧٩	٢١	٠,١٢	-
مجموع الوطن العربي	-	٨٨	٨٥	٨٥	٨٧	-	-	-

المصدر: المصدر نفسه، الجدول رقم (٣)، ص ٩٢ - ٩٥.

الجدول رقم (٦)
التعليم

المؤشرات / البلد	معدلات الالتحاق بالمدارس الابتدائية				نسبة الالتحاق الصافية بالمدارس الابتدائية[٣] (نسبة مئوية) ٩٢-٢٠٠١(*)		الأطفال الذين يدرسون حتى الصف الخامس[٤] (نسبة مئوية) ٩٥-١٩٩٩(*)	نسبة الالتحاق بالمدارس الثانوية	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث		ذكور	إناث
	الاجمالي[١] ٩٥-١٩٩٩(*)		الاجمالي[٢] ٩٥-١٩٩٩(*)					الاجمالي (نسبة مئوية) ٩٥-١٩٩٩(*)	
الأردن	١٠١	١٠١	٩٣	٩٤	٩٥	٩٤	٩٨	٨٦	٨٩
الإمارات العربية المتحدة	٩٥	٩٤	٧٨	٧٩	-	-	٩٢	٧٠	٨٠
البحرين	١٠٢	١٠٣	٩٣	٩٥	٨٥	٨٤	٩٦	٩٩	١٠٥
تونس	١٢١	١١٥	٩٩	٩٧	٩٥	٩٣	٩٢	٧٣	٧٦
الجزائر	١١٩	١١٠	٩٩	٩٦	٩٨	٩٦	٩٥	٦٥	٦٩
جزر القمر	٩١	٧٦	٦٠	٥٠	٣٤	٣٤	٤٨	٢٣	١٨
جيبوتي	٤٣	٣١	٣٥	٢٦	٧٣(**)	٦٢(**)	٧٧	١٣	١٧
السعودية	٧٠	٦٧	٦٠	٥٦	-	-	٩٥	٧٢	٦٥
السودان	٥٩	٥١	٤٩	٤١	٥٤	٥٢	٨٧	٢٢	٣٦
سوريا	١٠٨	٩٩	٩٦	٨٩	٩٩	٩٨	٩٢	٤٤	٣٩
الصومال	١٨(**)	٩(**)	١٣(**)	٧(**)	١٣	١١	-	١٠(**)	٦(**)
العراق	١١١	٩١	١٠٠	٨٦	٨٨	٨٠	٧٢(**)	٤٧	٢٩
عُمان	٧٥	٧١	٦٦	٦٥	٩٠	٨٨	٩٤	٦٨	٦٧
قطر	١٠٨	١٠٤	٩٥	٩٦	-	-	٨٨	٧٨	١٠٧
الكويت	٨٥	٨٤	٦٨	٦٥	-	-	٩٧	٦٥	٦٥
لبنان	١٠٢	٩٨	٧١	٧١	٩٠	٩٠	٩١	٧٥	٨٢
ليبيا	١١٠(**)	١١٠(**)	٩٧(**)	٩٦(**)	-	-	٨٩(**)	٧٥	٨٤
مصر	١٠٤	٩٦	٩٥	٩٠	٨٨	٨٤	٩٢	٨٦	٨١
المغرب	٩٨	٨٣	٧٩	٧٠	٦٥	٤٧	٨٢	٤٤	٣٥
موريتانيا	٨٧	٨٢	٦٣	٥٩	٥٥	٥٣	٦٦	٢١	١٥
اليمن	٩٨	٥٦	٧٦	٤٥	٧٥(**)	٤٠(**)	٧٤	٦٩	٢٥
مجموع الوطن العربي	٩٥	٨٤	٨١	٧٤	-	-	٨٨	٦٠	٥٥

(١) النسبة الإجمالية للالتحاق بالمدارس الابتدائية أو الثانوية هي عدد الأطفال الملتحقين إما بالمدارس الابتدائية أو بالمدارس الثانوية، بغض النظر عن أعمارهم مقسوماً على عدد الأطفال في فئة العمر المقرر قانونياً لالتحاقهم بالمستوى نفسه.

(٢) المعدل الصافي للالتحاق بالمدارس الابتدائية هو عدد الأطفال الملتحقين بالمدارس الابتدائية، والذين يقعون في فئة العمر التي تتناسب مع السن الرسمي للمدارس الابتدائية، مقسوماً على مجمل عدد السكان من نفس فئة العمر.

(٣) نسبة الالتحاق الصافية بالمدارس الابتدائية هي النسبة المئوية للأطفال في فئة العمر التي تقابل فئة الملتحقين بالمدارس الابتدائية، ومصدرها هو مسوحات الأسر التي تجري على نطاق وطني. ومع أن بيانات الحضور والالتحاق يجب أن تقدم عن أطفال يذهبون إلى المدارس الابتدائية، إلا أن عدد الأطفال في سن المدارس الابتدائية غير مؤكد في العديد من الأقطار. وهذا قد يؤدي إلى انحرافات ذات دلالة إحصائية في معدات الالتحاق.

(٤) النسبة المئوية للأطفال الذين يدرسون حتى الصف الخامس هي النسبة المئوية للأطفال الذين يلتحقون بالصف الأول الابتدائي ويدرسون حتى الصف الخامس.

المصدر: المصدر نفسه، الجدول رقم (٤)، ص ٩٦ ـ ٩٩.

أهلاً بكم في موقع

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

Welcome to The Institute for Palestine Studies
Bienvenue sur le site de l'Institut des études palestiniennes

إن هذا الموقع يتيح لكم:

الدخول إلى مكتبة المؤسسة المتخصصة بالشؤون الفلسطينية واليهودية وقضايا الصراع العربي ـ الإسرائيلي

تصفح و/أو شراء الدوريات الأربع التي تصدرها المؤسسة عن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي بالإنكليزية والفرنسية والعربية.

تصفح و/أو شراء مئات الكتب عن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي الصادرة عن المؤسسة بالعربية والإنكليزية والفرنسية.

www.palestine-studies.org

من العـــالم العـــــربي... الى كـــل العـــــالم

اينمـــا كنـــت اطلـــب واســـتلم

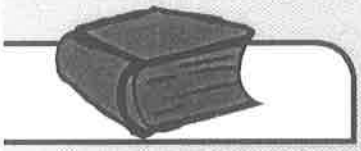

الـــــــــكتب

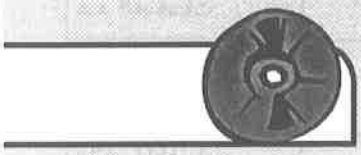

الـــــــــموسيقى

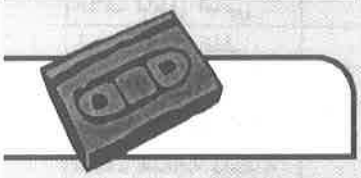

الأفـــــــــلام

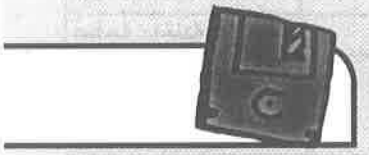

برامج الكـــمبيوتر

الألعاب التـــثقيفية

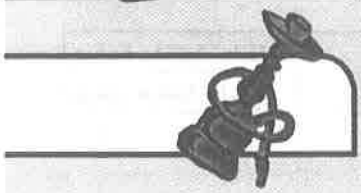

الأعمال الـــحرفية

بأفضـــل ســـعر واســـرع وقـــت

ادبـــب و فـــــن • كـــوم www.adabwafan.com

أسعار الإعلان في مجلة «المستقبل العربي»

(دولار أمريكي)

عدد الصفحات	١ ـ ٤	٥ ـ ٨	٨ وما فوق
أربعة ألوان			
غلاف داخلي أمامي	١١٠٠	١٠٠٠	٩٠٠
غلاف داخلي خلفي	٩٥٠	٨٥٠	٧٥٠
غلاف خلفي	لا ينطبق	لا ينطبق	لا ينطبق
صفحة داخلية كاملة	٨٥٠	٧٥٠	٦٥٠
نصف صفحة داخلية	٤٢٥	٣٧٥	٣٢٥
صفحة داخلية مزدوجة	١٧٠٠	١٥٠٠	١٣٠٠
لونان			
صفحة داخلية كاملة	٧٢٥	٦٢٥	٤٧٥
نصف صفحة داخلية	٢٩٠	٢١٥	١١٥
أسود وأبيض			
صفحة داخلية كاملة	٥٠٠	٤٥٠	١٥٠
نصف صفحة داخلية	٢٥٠	٢٢٥	٧٥
صفحة داخلية مزدوجة	١٠٠٠	٩٠٠	٣٠٠

القياس : ١٧ × ٢٤ سم

يصدر قريباً
عن
مركز دراسات الوحدة العربية

في الوحدة والتداعي
دراسة في أسباب تداعي مشاريع النهضة العربية
الدكتور يوسف مكي

اليهود الشرقيون في إسرائيل
الواقع واحتمالات المستقبل
مجموعة باحثين

القومية العربية والوحدة
في الفكر السياسي العربي
الدكتور يوسف الصواني

AL MUSTAQBAL AL ARABI

(The Arab Future)

No. 295 September 2003
ISSN 1024 - 9834
Published Monthly by Centre for Arab Unity Studies
Address: "Al Mustaqbal Al Arabi"
"Sadat Tower" Bldg. - Lyon Street - P.O. Box: 113-6001
Hamra - Beirut 1103 2090 - Lebanon
Tel: 869164 - 801582 - 801587 - Cable: MARARABI - Beirut
Fax: (9611) 865548
e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

Annual Subscription

- Individuals:	
- Arab Countries	$ 60
- Europe	$ 80
- U.S.A. & Elsewhere	$ 90
- Institutions:	
- Arab Countries	$100
- Elsewhere	$120
Lifetime Subscription:	
- Individuals	$500
- Institutions	$750

سعر البيع

• لبنان	٣٠٠٠ ل.ل.	• الكويت	١,٥ دينار	• اليمن	١٧٥ ريالاً	• الجزائر	٢٠٠ دينار
• سوريا	٧٥ ل.س.	• الإمارات	١٥ درهماً	• عُمان	ريال واحد	• تونس	٢ دينار
• الأردن	٢ دينار	• البحرين	١,٥ دينار	• مصر	٥ جنيهات	• المغرب	١٥ درهماً
• العراق	١٥٠٠ دينار	• قطر	١٥ ريالاً	• السودان	١٥٠٠ جنيه	• موريتانيا	٢٠٠ أوقية
		• السعودية	١٥ ريالاً	• ليبيا	٣ دينار		

Price List

• Cyprus	C£ 3.00	• Greece	6€	• Switzerland	Sfr 10
• France	6€	• Italy	3€	• U.S.A. and other Countries	$ 8
• Germany	4€	• UK	£ 3		